(٢)

روايات عالمية

www.elromancia.com

مرمورية

إعداد وتقديم : إيميلي ديمتري إلياس

لعبة الحبّ والزّواج

إنه أبرد عرض للزواج

شعرت "رومي" أنها قد وَقَّعَتْ على وثيقة لإنهاء حياتها ... وذلك عندما ضغطت عليها أسرتها لقبول عرض الزواج المبهم لـ"جزافييه دي لوكا" ، فصرّحت له قائلة :

– لو أنّ الظروف كانت مختلفه ... لرفضت أن أتّخذك زوجاً لي!!

وكانت تعلم تماماً أنه ليس من السهولة أن تعيش مع رجل ذي قدرة وسلطان مثل هذا البارون الصقلّي ... وهي لا تثق فيه ، بل وربما تحمل له شعوراً بالاحتقار أكثر مما قد تحمل لأيّ شخص آخر ..

ولكن "رومي" لم تحسب حساباً لإمكان التعمق في عاطفة متأججة قد تطرأ فجأة على مشاعرهما .

و لم تأخذ أيضاً في الحسبان مدى الألم الذي قد تسببه لها الزوجة الأولى لـ" جزافييه " .

www.ulmanara.com

شخصيات الرواية

"أرنستو فورلاري" : الوالد .. من أصل صقلي .. مقيم في انجلترا ويمتلك مصانع "فورلاري للنبيذ" .. التي تتعرض للإفلاس .. فيخضع للحارس القضائي .. ويصاب بأزمة قلبية نتيجة لهذه الكارثة ..

"تيو" : الابن الأكبر لـ"أرنستوفورلاري" ... يفضل دائما مصلحته الشخصية... ولا يوجد للعواطف أي مجال في حياته العملية ولا حتى الزوجية ...

"لورا" : زوجة "تيو" التي استسلمت لحياة خاوية من العواطف... وقبلت الاستمرار فيها دون طلب الطلاق ... فهي تجاريه في تقديم المصالح الشخصية خاصة إذا تعلقت بمصلحة العمل ..

"رومي" : وهي الشخصية النسائية .. محور الارتكاز في الرواية..ابنة "أرنستو فورلاري" .. التي تعرضت لصدمة عاطفية وهي بعد في السابعة عشرة ... ثم تجبر على زواج تم تدبيره بين والدها وشقيقها وشخصية مرموقة من صقلية .. بهدف إنقاذ المصنع من الإفلاس ، وإنقاذ حياة والدها المهددة لهذا السبب ...

"جزافييه" : وهو أيضا الشخصية المحورية في الرواية ... وهو "بارون" من صقلية ... يعيش فيها بين أملاكه ومزارعه وثرائه الفاحش ... سبق له الزواج من امرأة أخرى .. طلقها منذ فترة قبل عرضه للزواج من "رومي" ...

"إيفا" : الزوجة الأولى لـ"جزافييه" ... التي ظل على علاقة طيبة معها حتى بعد الطلاق ... وكانت هذه العلاقة مثاراً لغيرة "رومي" ومنبعاً لكثير من الخلافات ... حتى كادت أن تودي بحياة "رومي" .

"كونشتا" : الوصيفة الشخصية لـ"رومي" .

"جوالدو" : السائق الأمين .. كاتم أسرار سيده .

www.elromancia.com

مقدمة

قالت "رومي" :

– قطعاً !! إنني غاضبة ومضطربة ...

واسترسل صوتها بذات النبرة قائلاً :

– لم يمض سوى أسبوع واحد على زواجنا .

فنظر إليها "جزاڤييه" ... وكأنه أيقن فجأة ما تعنيه !! ثم سألها بشيء من النعومة :

– أوه !! إذن فأنت غيور... وكنت أظنك لا تحملين لي أية مشاعر !! فأردفت قائلة :

– إن المسألة لا تتعلق بمشاعري نحوك .. وإنما تتعلق بوضعي في هذا المنزل.. أو بمعنى أصح .. الدور الذي تريدني أن أقوم به ...

ولماذا لم تدع كل عشيقاتك السابقات أيضا ... فبإمكانك بدء عصر الحريم!!

فتمتم قائلا :

– لا بأس بهذه الفكرة ... ولكنها لا تجدي ... أؤكد لك أن "إيڤا" مثلهة جداً لمقابلتك ... فلماذا لا تتقبلين هذا؟ .. والمنزل متسع جداً لإيوائكما معا بعد ظهر يوم واحد ... فأجابت "رومي" باختصار :

– ليس هناك منزل يتسع بالكفاية لزوجتين تقيمان معاً .

تقديم

مالي ناقمة عليك يا فؤادي!!

ألا يكفي أن تحطمت في كل وادي ؟

وهل لك أن تستقر يا قلب

بعد العذاب بين رائح وغادي ؟

أحبته فخذلها ... وهي بعد في السابعة عشرة !

وأفاقت بعد عامين لتبني آمالاً عراضاً ... وظنت أن المستقبل قد يحمل إليها أحلاماً مشرقة ... ولكن تبددت الأحلام وتحطمت الآمال على صخرة الإفلاس والدمار وشبح الموت الذي كان يهدد والدها ...

ماذا تفعل؟

لابدمن إنقاذه .. وإلقاء نفسها طوقاً لنجاته ... وما كان هذا الوفاء إلا سلسلة أخرى من العذاب كادت أن تودي بحياتها ...

فهل تتبدل الأقدار لتغير ما كتب عليها ؟

وهل ينقشع الظلام ... ويرحل الشتاء ... وتبدو في الأفق أزهار الربيع كي تعلن عن إشراقة شمس جديدة .؟

www.elromancia.com

الفصل الأول

لم تكن الأريكة الجلدية ذات اللون العاجي إلا عاملا لإبراز أناقة من جلست عليها فجعلت نظرتها تبدو تقليدية وغريبة في آن واحد .

كانت تتمتع بذلك الجمال الإنجليزي ... غير أن زرقة عينيها الداكنة عكست دفء الأعماق في بحر الجنوب وصبغت الشمس بشرتها بمسحة ذهبية ...

كان ذلك في "بلجرافيا" .. حيث جلست في حجرة تكسوها ألواح من شجر الجوز .. وأخذت ترقب قطرات المطر تتساقط وتنساب في نعومة على زجاج النوافذ المطلة على الشارع ... وكان طراز الحجرة ينم عن مدى الرقي والفخامة... ففي ذات الغرفة أخذت تتدرب على تهذيب انفعالاتها والاحتفاظ بالهدوء والمظهر الجميل ، وذلك هو مسلكها الآن وهي تصغي إلى والدها ...

لم ينظر إليها وهو يتكلم ... ولكنه وقف أمام النافذة الأخرى عاقدا يديه خلف ظهره .. يتطلع إلى الخارج ويرقب هو الآخر أمطار" لندن ".ثم انطلق قائلا :

– لقد فكرنا ألا نخبرك آنذاك بسبب صغر سنك .. فقد كنت في السابعة عشرة فقط ... ولكنه أبدى اهتماماً بك وقتها وأراد أن يتودد إليك .. فطلبت منه أن ينتظر حتى تكبري وأفهمته أيضاً أنني لا أستطيع أن أضمن له أي شيء ... كما أبلغته أنك فتاة متحضرة ومندفعة وسوف يكون لك حرية اتخاذ القرار بنفسك وذلك عندما تنتهين من دراستك .

ثم كانت لحظة صمت استطرد بعدها قائلا :

لم يتطرق لفتح هذا الموضوع مرة أخرى خلال العامين والنصف الأخيرين... ولكنه أخبرني بالأمس أنه لا يزال على تمسكه بك .

وهنا اعتدل والدها ورفع رأسه عالياً وهو يقول :

إنه تمسك قوي .

– وإنني أشعر بالإطراء .

جاءت إجابتها بصوت نمطي لا ينم عن ازدراء حتى كادت كلماتها أن تكون

مدغمة ، ثم أخذت ترقب والدها وهو يضغط بكلتا يديه خلف ظهره حين استطرد قائلا :

– "دى لوكا" رجل مرموق ... ثم إنه كان صديقاً حميماً لنا .

رغم أن سواد شعره قد تحول إلى اللون الفضي الباهت ... وحلته التي لم يغير طرازها الإنجليزي ... فقد كان التشابه كبيراً بينه وبين "أرنستوفورلاري" الذي لم يتغير هو الآخر عن نمط شعوب البحر الأبيض ... فاللون واللهجة والبنية ... كلها تدل على أنه يبدو إيطالياً .

بصوت جاف لا ينطق بعذوبة المرح المعتادة أجابت "رومي" :

– إنه قطعاً رجل أعمال ممتاز .. فهو يرغب في أن ينالني وينال أيضا نصف شركتنا في خبطة واحدة ... كيف يمكن للصديق أن يستغل سوء حظنا في هذه المرحلة يا والدي ؟

لم يستدر إليها الوالد ولكنه ظل في مكانه وقال :

– ليس من اللائق أن تتكلمي عنه بهذه الصورة ... فهو يعرض علينا إنقاذ الشركة من خراب محقق .

فنظرت "رومي" إلى أصابعها الخالية من أي خواتم ثم قالت :

– إنه يحصل على نصيب كبير في الشركة بجانب حصوله على زوجة جديدة ضمن الصفقة ... إنني حقا ما يريده ... ثم لماذا يجعل زواجنا مشروطا بإعادته لإحياء مصانع نبيذ "فورلاري" ؟

– هذه هي رغبته .

– نعم إنها الطريقة التي يرغبها .

قبل ذلك بستة أسابيع ... أخطرت أسرة الشركة أن تخضع إلى الحارس القضائي وكان هذا صدمة صفعت "رومي" في أعماقها ... فبعد أكثر من ثلاثين عاماً .. بل وفي قمة تجارة النبيذ في "لندن" ... توالت الخسائر الفادحة على مصانع "فورلاري للنبيذ" ... وقد كانت السنوات القليلة الماضية من أصعب السنوات التي مرت عليها ... فالسرعة التي تغير بها السوق ... أبرزت معها الطريقة العتيقة التي كان والدها يتبعها في إدارة أعماله ، وهي التي جعلت

الشركة تستغرق وقتاً طويلا لتأخذ مكانتها، ولكن من سخرية القدر أنه لدى البدء في استعادة هذه المكانة .. أفلست الشركة وكأن البساط قد سحب من تحت الأقدام ... ولكنها لا تزال تحتفظ باحترامها ومكانتها كما أنشئت .

أما والدها ... الذي كان يتمتع بالكثير من الكرامة والشرف ... فقد هزته الصدمة القوية حين أحس بعدم قدرته على سداد ديونه ... ومنذ أن دخل الحارس القضائي إلى الشركة فقد أصبح "أرنستوفورلاري" مثل رجل مطحون ومثقل بالأعباء ... إذن ... فلم تكن "رومي" تتورع عن مواجهة أي شيء في سبيل حماية والدها وإنقاذه من النهاية المحتومة .

– ولكن هذا ...

... هذا شيء آخر .

– ألا يمكننا أن نحصل على المال من أي مصدر آخر ؟ ألا يمكن للبنوك أن تساعدنا ؟

وجاءت الإجابة واضحة وحزينة .

– إننا أبعد ما نكون عن مساعدة البنك ... أما عن المصادر الخاصة التي يمكن أن نلجأ إليها لتغطية رأس المال ... فأنت تعلمين ما سوف تفعله بنا تلك الحيتان... وهذا أسوأ من الإفلاس بمراحل ... لا تجعلي انفعالاتك تضع غشاوة على عينيك يا "رومي" .

جربي أن تفكري بوضوح ... ربما أكون قد فاجأتك بما قلته لك هذا الصباح... ولكني أشك في ذلك ... فأنت تعرفين منذ زمن أن "جزافييه" يكن لك اهتماماً بالغاً ...

– نعم لدي فكرة عن هذا .

– بالفعل أعتقد أنه كذلك ... ولكن حاولي أن تأخذي هذه الفكرة بعين الاعتبار... وسوف تتحققين من أنه زوج ممتاز .

كان فمها جميلا حتى حين عبرت بازدراء :

– فعلاً ... ممتاز ...

وهنا تدخل شقيقها بقوله :

– ثم بعد يا "رومي" !!

وكان صبره قد نفد .. وانتفض من مقعده .. ونظر إلى شقيقته بعينين يملؤهما الغضب .

كان أطول من والده .. أسمر البشرة رغم أن والدته إنجليزية .. وبدا "تيو" وكأنه إنسان شرس ... فاستطرد قائلا :

لاوقت للخجل الآن ... ثم ماذا تحملين في صدرك ضد هذا الرجل !

– إنني لا أحبه فحسب !

– يا لها من مشاعر مزرية !

استدار أخيراً "إرنستوفورلاري" من جانب النافذة ... ونظر إلى ولديه بعينين مرهقتين ثم صاح :

– لا داعي لاستفزازها يا "تيو" .

وصعقت "رومي" عندما لمحت علامات الشيخوخة على وجه والدها الذي استطرد قائلا :

ليس هذا هو الوقت المناسب للخلافات الأسرية ... وإذا كانت "رومي" تشعر بعدم قابلية للزواج من "جزافييه دي لوكا" فلابد لنا من تقبل هذا الوضع !!

وأضاف "تيو":

– ثم نحن ... نخبط رأسينا في الحائط !!

فأومأ الوالد وقال :

– إذا كان لابد ... فالأهم هو اتخاذ قرار سريع لأن "دي لوكا" ليس هو الرجل الذي نتركه للانتظار ...

أجابت "رومي" بذات الطريقة الجافة :

– قطعاً لا !!

أشعل "تيو" سيجارة .. ونفخ دخانها عالياً ... وبدا وكأن صبره قد نفد مرة أخرى حين هب قائلا :

– تعقلي يا "رومي" ... يجب أن تفكري فينا كلنا مثلما تفكرين في نفسك ... أعلم أن هذا التدبير هو بمثابة ضربة قوية بالنسبة لك .

فأجابت ببرود :

– كلا ... وإنما هي تبدو فقط وكأنها خطة مدبرة !

– وهل هذا فظيع للغاية ؟

سؤال "تيو" بنبرات ملؤها الغضب ... فقد تزوج هو نفسه منذ ستة أعوام أساساً لصالح الشركة والعمل . وكانت "رومي" تعلم تماماً أن القليل جداً من الحب جمع بينه وبين زوجته التي كانت ابنة لإحدى الأسر الأنجلو / إيطالية المتيسرة والتي كانت هي الأخرى تعمل في مجال تصنيع النبيذ ... وقد جلبت لهم هذه الفتاة الكثير من الثراء والاحترام .. ومع ذلك لم ينجح هذا الزواج ... ولكنهما تقبلاه إذ لم ترد كلمة الطلاق في قواعد هذه الأسرة .

استطاع "تيو" أن يلمح من موقف شقيقته الحالي .. أنه نوع من الترف الذي لا يقاوم .. خاصة فيما يتعلق بمثل هذه الظروف فاستطرد قائلا :

– هل فكرت في الدمار الذي سوف يلحق بوالدنا ؟ وبي أنا ؟ بل وبك أنت أيضاً .. لقد عشت حياة مرفهة يا "رومي" !

فاجابت بهدوء :

– نعم ! أعلم ذلك !

تجاهل "تيو" اعتراضها المبهم وعلق بشدة قائلا :

–لابد وأنك سوف تفتقدين كل هذه الثياب الفاخرة ... والرفاهية التي تعيشينها ...

وأيضاً حصانك الأصيل !

فأومأت "رومي" قائلة :

– نعم سوف أفتقدها !

ولكنها شعرت بقليل من الشفقة على نفسها ... ثم وجهت عاطفتها إلى والدها ..ماذا إذا حدث بالفعل واختفت مصانع "فورلاري للنبيذ" نتيجة لسداد الديون و مصاريف الحارس القضائي ... كل أحلامها سوف تذهب في مهب الريح ... قد يفلس والدها بالفعل ... وقد يشعر بالعار ... وكان ينبغي بالأحرى أن يجني ثمار تعبه وكده في هذه المرحلة من الحياة ...

وهنا أضاف "تيو" قائلا :

– بصراحة إنني دهش أن يطلب الزواج منك بعد كل ما حدث ...

أبعدت "رومي" نظرها ولكنها لم تتورع أن تسأل :

– ما هو الذي حدث ؟

ودون شك لم تكن هناك حاجة لتسأل "تيو" ماذا حدث ... فقد كانت الحادثة طامة كبرى لشقيقها الأكبر ولوالدها أيضاً ...

تلك العلاقة الغرامية مع رجل متزوج قد صدمتها صدمة شديدة .. وقد كانت أسرتها بعيدة كل البعد عن المجتمعات الإباحية ... أما هي فقد لفظت تقاليد أسرتها والحلقة التي تدور فيها أي امرأة من الأسرة إذ لابد وأن تثبت عذريتها في يوم زفافها ... وهذا ما تبدد بتلك العلاقة الآثمة ... إذن قد يكون أصلاً حظها قليلا في العثور على زوج ...

ورغم أن شعور والدها بالأسى كان أكثر من شعور "تيو" إلا أن هذا الأخير هو الذي وجه إليها اللوم بقسوة وعنف ...

ثم عقب بقوله :

– أنت تعلمين جيداً أنه بإمكان هذا الرجل الحصول على أي امرأة يمكن أن يختارها !

– نعم ! أعلم ذلك .

– إنه بالفعل عرض لا يصدق ! كان يجب عليك أن تسجدي له شاكرة ...

ومر بعض الوقت حتى أحست بشعور غريب يطرأ عليها ... إن "تيو" قد بدا غريباً عنها ... أو كأنها لم تعرفه من قبل على الإطلاق .. هل شعر بمدى إساءته إليها عندما خاطبها بهذا الأسلوب ؟

وبذات النبرات الباردة استطردت "رومي" وهي تسأل :

– وماذا عن النصيب الذي سوف يحصل عليه كمهر ... من مصانع "فورلاري للنبيذ" ... هل هذا يعتبر أيضاً كرماً منه ؟ !

فأجاب والدها بنعومة :

– لا تنسي كم من المال سوف يغدق به "جزافيه" على مصانع "فورلاري" ...

www.elromancia.com

ويكفي أن يقوم بسداد كافة الديون فيعيد لنا اعتبارنا مرة أخرى .

– ولكنه سوف ينال جزاءه مقابل هذا وذاك بإعطائه نصيبا في الشركة ... فما دخل زواجي منه إذن ؟

إنها قطعاً صفقة إجمالية !

وعاد والدها ليذكرها :

– في عالمنا هذا ، فإن المسائل الأسرية ومسائل الأعمال تسير دائما جنباً إلى جنب ..

فأومأت وقالت :

– أعلم ذلك ... ولكن في ظروف ...

تنحنح "تيو" ثم قاطعها :

– هل تحاولين إفهامنا أنك لن ترتمي عليه لو كانت الظروف والأوضاع مخالفة لما نحن فيه ؟ !

فأجابت "رومي" ببساطة وصدق شديدين :

– لم أكن أحلم إطلاقاً أن أكون زوجة لـ "جزافييه" .كما أنني لا أدعي عدم علمي باهتمامه بي كما قلتم ، ولكني تأملت للمرة الأولى فكرة زواجه مني هذا الصباح ... فقوس "تيو" حاجبيه وهو يعلق :

– هل تنتظرين منا تصديق كل ما تقولين ؟

وبادرته "رومي" قائلة :

– نعم !

ثم استمر "تيو" :

– إذن ! فأنت أحمق مما تصورنا .

وهنا جاء صوت الوالد ناعما وهو يقول :

– ربما كان فارق السن هو الذي يزعجها ... ولكن إذا افترضنا عشرا أو اثنتي عشرة سنة .. فهي ليست بالفارق الكبير بين رجل وزوجته ... "رومي" ... أنت تعلمين أنني أكبر من والدتك تقريباً بعشر سنوات ... وهذا أفضل بكل تأكيد ... فلابد من توافر الخبرة والسيطرة في الرجل ...

ثم إن ثقتي في "جزافييه" تساوي عمري ...

وبعد برهة ... نظر إليها نظرة غريبة معبرة عن مدى دفاعه حيث قال :

– أما عن نصيبه في مصانع "فورلاري" ... فهو يعرض الكثير في مقابلها ... وهي في الواقع ليست إلا وسيلة لتدعيم الروابط بين أسرتينا .

فأجابت "رومي" :

– على العموم إنها وسيلة للحصول على ثمن جيد يفعل به ما يشاء .. لا عجب لثرائه الفاحش .. إن حاسته لا تخطئ وهو يتحين الفرص لشراء ما يريد في الوقت المناسب سواء أكانت شركة .. أم كانت زوجة !!

وتغيرت نبرات "إرنستوفورلاري" حين استطرد بشدة :

– إنه لا يشتريك ..حسب رأي "تيو" ... يستطيع هذا الرجل الحصول على أي امرأة يختارها ... فكري جيدا يا "رومي" سوف تصبحين "بارونة" وهذا أمر لا يستهان به ...

ثم حياتك .. فهي حتما ستكون رائعة .. هذا إلى جانب ما سوف يعم عليك وعلى الأسرة كلها وحتى على العمل .. من أفضال ... ومن الضروري إذن أن نرد له شيئا حتى نتوازن ...

أما إذا رفضنا ... فسنظل غارقين في ديونه إلى الأبد ...

وبذات الطريقة المستغلة في المناقشة ... انتفض "تيو" قائلا :

– كان من الأحرى أن تسجدي شاكرة السماء في مثل هذه اللحظة ... معظم الفتيات في سنك يفعلن ذلك .. بل وتغمرهن السعادة ... أما أنت ... فإنك تحاولين التنقيب عن أي ثغرة للتخلص من عرض هذا الرجل ..

وهنا ابتسمت "رومي" وهي تتعجب من قول أخيها .. إذا كان حقاً يعتقد أن السعادة سوف تغمرها ... فأضافت :

– ثم إذا كان بإمكانه حقا الحصول على أي امرأة أخرى .. لماذا يصر إذن على فتاة مسكينه مثلي ؟ ولماذا يفكر أصلا في الزواج إذا كانت أمامه كل الفرص للاستمتاع بوقته كما هو الحال مع أي رجل مطلق !! أليس كذلك ؟ !

فأجاب "تيو" بهدوء :

www.elromancia.com

– عليك أن تدركي أنه لم يقدم على الزواج إلا ليصبح له وريث .. وأما المعلومة التي أدركها الجميع فهي أن "إيفا" لم تحمل منه ...

والآن بعد طلاقهما ...

فقاطعته "رومي" بحرارة :

– والآن بعد أن تعدى الثلاثين من عمره ...

هز "تيو" كتفيه باستخفاف واستطرد :

– نعم .. رغبته في أن يكون له وريث ... أصبحت سبباً حيوياً لتبرير عرضه.. فقد آن الأوان لكي يستقر ... ولا داعي للقلق من جهة القيل والقال أو حتى إعلان الفضائح فسوف يكون زوجاً جيداً لك يا "رومي" ...

أمالت "رومي" رأسها الجميل وكأنما تأخذ كلامه بعين الاعتبار .. ثم قالت :

– زوج جيد ؟ ... قد يكون هذا إلى الحد الذي يناسبه ...

فصرخ "تيو" قائلا:

– كيف تكونين بمثل هذه الأنانية ؟ !

أجابت "رومي" بنفس الطريقة:

– ومن القائل ؟ انظر إلى نفسك يا "تيو" فأنت تبدو وكأنك خارج هذه اللعبة ... إنها دراما القرن الثامن عشر للشاب الآتي من "صقلية" ... هل نسيت أنني شقيقتك ؟؟ ثم أنت تتكلم عن حياتي أنا وليس عن صالح الشركة أو شرف الأسرة !!

– إن أخاك منزعج !

قالها "إرنستوفورلاري" بصورة لطيفة .. حتى أن "تيو" استدار منتفضاً ثم اتجه إلى النافذة دون أن ينبس بكلمة واحدة ... فاستطرد الوالد :

– ولكنه يهتم بك مثلما أفعل أنا ذاتي ... إن عرض الزواج هذا لهو فرصة عظيمة يا "رومي" ... وأنا لا أتكلم الآن عن شرف الأسرة أو مصلحة الشركة .. بل إنني أتكلم عنك أنت ... ثم جلس إلى جانبها . وربت بيده على ركبتها قائلا: لقد حلمت كثيراً بمستقبلك عندما كنت فتاة صغيرة ... ولم يرد في أحلامي قط أي معنى للمذلة والإفلاس والفقر .

فاغرورقت عيناها بالدموع حين قالت :

– آه يا والدي !! لا تلم نفسك ... فالغلطة ليست غلطتك !! ثم ماذا لو أغلقت مصانع "فورلاري" أبوابها ؟ باستطاعتنا أن نبدأ من جديد خاصة وأننا سوف نحتفظ بالمنزل ... أنت نفسك قلت هذا ...

وما أوقفها عن الاسترسال في الكلام إلا صوت والدها الحاني وهو يقول :

– "رومي" ... لن تكون لي بداية أخرى ... فالشيخوخة قد دبت في كياني ... وأصبحت خاويا لا أملك شيئا أتركه لأولادي بعد الوفاة ... ولا حتى الاسم والسمعة الطيبة

شعرت "رومي" بقلبها وكأنه يتحطم ... فقالت :

– ولكن لا تنس يا والدي أن الزواج بدون حب ... سوف يكون أسوأ من الإفلاس... بل هو سيئ إلى ما لا نهاية ... ثم افتعلت نوعاً من الدلال حين قالت:

– أنا أعلم أن المسألة صعبة .. ولكن في مثل هذا اليوم وفي هذه السن ...

فقاطعها والدها قائلا:

– حتى في هذا اليوم وفي هذه السن .. فإنها مذلة ... بل ونكبة ... سوف تتحطم حياة شقيقك وكذا حياتك أنت ... خاصة بعد الأقاويل عما جرى بينك وبين ... (ولم يستطع أن يذكر اسم "مورتيمر" ..) وبين ذلك الرجل ... إن هذا وحده كفيل بأن يجعلك في عزلة عن العالم ... أي رجل ذو مقام أو سمعة طيبة سوف يجرؤ أن يتقدم للزواج منك ؟ سوف يتجنبك الجميع ثم تتحطم كل توقعاتك ...

أجابت بهدوء :

– إنني لا أتفق معك في هذا ... ولكن بخلاف هذه النقطة ...فإنني لا أحمل أية عاطفة لهذا الرجل ...

– هل مازلت تحبين الرجل الآخر ؟ ... الرجل الذي خذلك ... و ...

تخلصت "رومي" من نظرتها المحدقة وقالت :

– لا ... فقد كان الموضوع مؤلما للغاية ... إنني لاأحب "بول" .

www.elromancia.com

– إذن .. فلماذا تفترضين عدم قدرتك على حب "جزافييه دي لوكا" ؟

سألته بشيء من المرارة :

– هل تعني أن فارق السن فقط هو ما يجعلني أعترض ؟لا ... فبجانب هذا الواقع ... إنني لا أحمل له أية مشاعر وهو يبادلني ذات الشيء ولا يكن لي مشاعر من أي نوع ... وهناك سبب رئيسي مدعاة لرفضي... إنني كنت أرهبه طيلة حياتي ...

ثم جالت بخاطرها هاتان العينان الرماديتان الباردتان وكأنهما أتيتان تواً من البحار القطبية .. وسرت في جسدها رعدة خاطفة ...

فرفع والدها حاجبيه في تعجب وقال :

– ترهبينه ! لماذا ؟

اتكأ "تيو" على المكتب ونفض رماد سيجارته في المنفضة "المورانو" ... ثم عقد ذراعيه وقد نفد صبره وقال :

– هذا لأنه أفزعها مرة وهي طفلة ... منذ عشر سنوات ... كان هنا في زيارة عمل ... فوجدها تلعب في قبو الخمر ..ولم يفعل سوى أن حملها ونظر إليها محاولاً التودد فقط فما كان منها إلا أن فزعت وأخذت تبكي بحرقة شديدة ...

ثم هز شقيقها كتفيه بازدراء ... وأضاف :

– طفلة غبية ...

استدار والدها من خلف "تيو" متجها إلى "رومي" وقد بدت على وجهها ملامح الاهتمام حين قال :

– أنا لا أتذكر شيئا من هذا القبيل يا "رومي" ...

فأجابت "رومي" مؤكدة ...

– نعم ! لقد أفزعني بشدة وقتها ... ولكنها حادثة تافهة ..فهناك شيء أعمق بكثير ... لقد شعرت دائما بالخوف منه ...

– إذن فأنت تشعرين بعض الشيء بأنه سخيف !

فجاءت إجابتها بسؤال آخر :

– هل أنت متأكد من أنه لن ينسحب من إنقاذ الشركة لو أنني رفضت الزواج

منه؟

– ولماذا إذن يعرض مثل هذا المبلغ لمخاطرة فقدانه من أجل أسرة لاينتمي إليها بأي رباط ؟

– ليس هناك رباط سوى الصداقة الحميمة التي سبق أن ذكرتها !

مرة أخرى قاطعهما "تيو" وكانت نبرات صوته قاسية :

– لقد سبق وأن لطخت اسمنا في الوحل بعلاقتك مع ذلك الشخص الحقير المدعو"بول مورتيمر"...فماذا تريدين الآن ؟ تهدميننا كلنا ، أم أن تقتلي والدك؟!

– كلامك هذا فظيع !

انزعج "تيو" لهذا الرد .. ثم قال :

– ألا تدركين أننا نتكلم عن حياة والدنا ؟

– اسكت يا "تيو"

قالها الوالد بأسلوب لاذع .. بينما استدارت "رومي" لتحدق في عيني والدها الواسعتين ... ثم تساءلت :

– ماذا يعني بذلك ؟

– إنه لا يعني أي شيء ...

فقاطعهما "تيو" بنوع من البرود :

– كان يجب أن تعرفي الحقيقة ... ولماذا تخفي عنها ؟

إنها لم تعد الطفلة الصغيرة ...

ثم استدار موجها الكلام إلى "رومي" :

لقد حذر الطبيب والدنا من أن حياته في خطر ... إن ضغط الدم مرتفع .. وقلبه في حالة سيئة ... ولو أنك تحملين عينين في وجهك .. لكنت لمست مدى الإعياء الذي أصاب هذا الرجل ... إنه على حافة الوقوع في أزمة قلبية قاتلة...

– لا ! لا !

– بل نعم ! (قالها "تيو" بنوع من الشراسة) ... لقد حذره الأطباء من الضغوط النفسية التي يمكن أن تودي بحياته خلال هذا العام ...

www.elromancia.com

فزعت "رومي" وأخذت تحدق في وجه والدها الباهت ... فلم يكن قد أخبرها قط عن حالته الصحية .. وإنما كانت هي تستنبط بعض الشيء عن تلك الحقيقة بغريزتها فقط ... ومن شدة ما تألمت لهذا الواقع ... فقد انسحب الدم من وجهها وقالت :

– آه يا والدي !! لماذا لم تخبرني بكل هذا من قبل ؟ لماذا أخفيت عني الحقيقة؟ إنني لم أعد طفلة صغيرة ...

وجاء صوت والدها أكثر هدوءا :

– بالنسبة لي ... فأنت لا تزالين طفلة يا عزيزتي ... وسوف تظلين ابنتي مهما حدث وإلى الأبد ... ثم إنه ليس من حق شقيقك أن يصرح بذلك ... (ورمق "تيو" بنظرة خاطفة وغاضبة) ثم استكمل :

إن هذا الوضع لا يرتبط إطلاقاً بموضوع حديثنا ... فالشخص الواقع في المأزق حقاً هو أنت ولست أنا ...

وتدخل "تيو" قائلا :

– إذا حدث بالفعل وخذلت "جزافييه" فلن يكون لك حديث معي مدى الحياة ... وسوف تؤكدين بذلك عدم اهتمامك بأسرتك وأنها لا تعني شيئاً بالنسبة لك ... ومن الآن فصاعداً .. يمكنك اعتبار نفسك ميتة بالنسبة لي يا "رومي" ...

ثم ضرب بيده على الجانبين وكأنما يقلع شجرة من مكانها ... وأضاف بحدة مرة أخرى :

– ميتة !!!

فصدقته "رومي" إذ لمحت أن انفعاله قد هدأ وكأن ما دفعه إلى مثل هذا القول ليس سوى بعض الفخر الذي انتابه وقتيا .

وقفت "رومي" على قدميها فجأة ... وسارت تجاه المكتب ... وكانت عينا والدها تتبعانها وكذلك شقيقها ... وكأنهما يرقبان جسدها الرشيق النحيل .. وشعرها الأسود اللامع في الضوء ... وقد ذكرتهما في هذه اللحظة بامرأة أخرى .. هي الزوجة ... والأم ... وكأن المفاجأة قد غمرتهما ... كم أن "روما فورلاري" شديدة الشبه بوالدتها ... في كل شيء ... ما عدا لونها ... فقد

كانت "ايديت فورلاري" ذات الشعر الفضي ... تتمتع يوماً .. مثل ابنتها ... بشعر داكن السواد .

وخلال حياتها .. كانت دائما مثار تعجب الجميع ... فهذه الأم البيضاء وتلك الابنة بشعرها الأسود الداكن .... ولكن "ايديت" قد أعطت ملامحها وقوامها إلى الابنة التي اسمتها على اسم المدينة التي ولدت بها : "روما" ... وكانت تتمتع بذات الهدوء وبذات الوجه اللطيف وبنفس القوام الممشوق بل وبدا لونها أكثر دفئا ...

وهي لم تولد في محيط إحدى الشركات المرموقة المستوردة للنبيذ في "لندن" ، ربما كانت قد تلقت عدة عروض للعمل في مجال عرض الأزياء أو حتى التمثيل... فهي تتمتع بهيئة وحضور يؤهلانها لهذا المجال ... وتتذكر "رومي" أنها كانت تسمع العديد من الأشخاص وهم يقولون :

"إنها أجمل طفلة رأتها عين" ... كان هذا في الماضي ... أما منذ أن توفيت والدتها منذ حوالي عشر سنوات ... فقد آثرت الخلوة وابتعدت عن الناس حتى هدأت ملاحظاتهم ولم تعد شفاههم تنطق بكلمة . والآن فإن بعض الناس يطري جمالها... ومنهم المقربون ... رغم أن هذا الجمال حقيقة واقعة .. ثم أخذت تفكر في والدتها وتتأمل صورتها الموضوعة على المكتب في إطار أنيق .. ثم حملتها بين يديها وكأنها تستشيرها ... فماذا كانت والدتها تشير به لو كانت حية بعد ؟ هل تتزوج من رجل لا تحبه لإنقاذ الشركة ... أم لإنقاذ حياة والدها..؟ وهنا قطعا يختلف الوضع .

ثم رفعت عينيها عن ذلك الوجه البيضاوي الذي في الإطار ... وأطلت خارج النافذة لترى شارع الملك وقد تراكمت فيه سيارات الأجرة والأوتوبيسات .. ولمحت سائق سيارة "رولز رويس" وهو يقطع الطريق بلامبالاة ونوع من الكبرياء... ثم لمحت أيضاً المقعد الخلفي للسيارة وقد اكتظ بلفافات – يبدو أنها مشتراة من أفخر محال المدينة ، مثل "أرماني"... "هارودز"... "ميتسو كيكو"... وكان المطر وقتها قد بدأ يتحول إلى جليد ... وعرفت أن "جزافييه" هنا بكل تأكيد .. في مكان ما ... أو في فندق "أثينيوم" ... فقد اعتاد أن ينزل فيه ...

www.elromancia.com

وقد يكون في أحد أجنحته الفاخرة ... وربما يتطلع هو الآخر من النافذة ليرى "لندن" الممطرة ... بينما هو في انتظار الإجابة على عرضه .

ولكن ... برود عينيه جعلها تخشاه ... ولقد فزعت منه بالفعل ذلك اليوم في القبو.. وكانت وقتها طفلة خيالية .. ثم إن "جزافييه دي لوكا" رجل طويل القامة ويتمتع بشباب خلاب .. وكثيرا ما كان يأتي للإقامة معهم وكانت له آنذاك أعمال كثيرة تربطه بوالدها ... وكانت هي في بعض الأحيان تحوم حوله وتحيط نفسها بأوهام الفتيات الصغيرات ... وبالتأكيد كانت في الماضي تلمس الحقيقة من حيث جاذبيته الفائقة للنساء ... وربما كانت تقرأ ذلك على وجوه البالغات بمهارتها الصبيانية ... ولكن هذا المزيج من الخوف والجاذبية قد تملكاها بقوة فعالة .

لهذه الأسباب ... عندما انحنى "دي لوكا" أمامها في القبو ... بوجهه الطويل... واحتواها بذراعين قويين ليرفعها عالياً حتى أن استوى وجهها الباهت مع نظرة عينيه الشرسة مثل النسر المفترس ... فقد فزعت وأجهشت بالبكاء ثم حملها خارج ظلام القبو وهو يضحك وأخذها إلى والدها الذي جفف دموعها ... إنها حادثة صبيانية ... وكان هو أحد الذين تخيلتهم في أحلامها أكثر من مرة منذ ذلك الحين ... حتى مؤخراً .. منذ بضعة أشهر .. فقد حلمت بذلك الوجه الطويل ... الداكن .. المخيف ... الذي حلق بها عالياً ... وقد فهمت الآن لماذا كانت هذه الواقعة بمثابة نوع من التفاؤل . وكانت هذه إشارة لمزيج من الخوف والسخرية ودلالة لما حدث منذ أكثر من عشر سنوات .

وكان هو في خلال هذه السنوات .. قد تزوج ... وطلق .. كانت زوجته شقراء تتمتع بجمال ألماني .. وتدعى "إيفا فون شيمل" وبدا زواجهما مثاليا لمدة عامين فقط .. حيث التقت بها "رومي" في عدد من المناسبات لا تتعدى الست . ومر بذاكرتها ذلك الجمال المتعجرف وكأنه قد اختلط بنوع من الأرستقراطية التي كانت ترهبها كفتاة مراهقة ... كانت "إيفا" ذات عينين خضراوين مثل الزمرد وفم واسع .. آمر .. كما لو أنه خلق لإعطاء الأوامر بدلا من القبلات ... أما عظام وجهها فقد تكونت بطريقة تنم عن العظمة ... ولم يستمر هذا الزواج إلا

بضع سنوات ..

ومنذ أن تم الطلاق ... عاد "جزافييه" إلى حياة العزوبة ليمارسها بحرية مطلقة.. وكثيراً ما نشرت الصحف أنباء عن علاقاته الغرامية .. ورغم أنه كان في العقد الثالث من عمره ... إلا أنه بدا وكأنه أكبر بكثير ...

أما فارق السن بينه وبين "رومي" فقد كان واضحاً عندما كانت فتاة صغيرة.. إلا أنه ابتعد عن مرآها كلية طوال هذه السنوات ثم إنه ينتمي إلى جيل مختلف.. وقد أتى من بلد بعيد ... حتى ثقافته .. فهي في الواقع مختلفة أيضاً.

وقد كان والد "جزافييه دي لوكا" ووالدها صديقين منذ زمن بعيد ... حيث كان يمدهم بأجود أصناف النبيذ المستورد من مقاطعته في صقلية .. وقد توطدت علاقات العمل بينهما لمدة طويلة قبل الحرب .

أما البارون الصغير .. فقد كان في سن المراهقة عندما توفي والده فورث عنه المقاطعة وإدارة العمل وأثبت في وقت قصير أنه رجل أعمال فريد من نوعه .. وكانت هي تعلم تماما أن والدها يكن له احتراماً عظيماً ... وعرفته صديقاً للأسرة قبل أن تتفتح عيناها على الدنيا ...

كانت بنيته الطويلة .. ووسامته ... ورجولته .. دائما تؤثر على "رومي" ولكنه ليس بالتأثير الذي تبتغيه .. فهي تسترجع في ذاكرتها حتى الآن الطريقة التي كان ينظر إليها بها .. وتلك العينين المسيطرتين اللتين طالما غمرتاها وأفزعتاها في آن واحد.. فقد كان تأثيره عليها من النوع المقلق .. غير المستقر .. ومن القوة حتى أنها كانت تتنفس الصعداء بعد مغادرته لمنزلها .

لم تكترث على الإطلاق لدى علمها أن معظم صديقاتها اللائي قابلن "جزافييه" وقعن في غرامه وكن يحسدنها عليه .. وقد أسمينه "الأمير الصقلي"...

هناك شيء ما في "جزافييه" لم تكن هي تستسيغه ... ولم تستطع أن تحبه... لذلك أتت لنفسها بهذا القول :

"إنني لا أحبه .. فحسب وما صمتي إلا دليل على ذلك ! ويعلم الرب"

* * *

وفي هذا الصباح .. تذكرت أنه منذ عامين ماضيين كان يرغب في الزواج منها.. وكانت وقتها .. عذراء ... في السابعة عشرة من عمرها .. ودارت الذكريات أمامها إلى أن وقفت عند هذا الحدث بالذات ...

ففي خلال إحدى زياراته لمنزلهم ... وكان قد طلق زوجته "إيفا فون شيمل" منذ حوالي عامين ... أما هي فكانت قد أنهت المرحلة الأولى من دراستها .. وتذكرت الحديث السري الذي سمعته من خلف الأبواب المغلقة ...

كان "تيو" ضمن المتحدثين ... أما هي فقد أثرت التصنت فقط ... ولكنها استطاعت بغريزتها أن تستنبط لب الموضوع ...

شعرت وقتها بشعور ساخر وعدم ثقة في إخلاص هذا الرجل ... خاصة بعد فترة قصيرة من طلاقه ... فكيف له أن يشعر نحوها بأي شيء وهي مازالت فتاة صغيرة ... في السابعة عشرة ... وهو يكبرها بأكثر من عشرة أعوام ...

شكراً لله إذ استطاع والدها بحاسته الأبوية أن يرفض مطلبه وقتئذ ... وظل بعدها "جزافييه" يتردد على الفنادق كلما حضر إلى "لندن".

لم تمض عدة أشهر بعد ذلك .. حتى سافرت "رومي" إلى "لوسرن" لمدة عام لتنهي دراستها ... فاختفى "جزافييه دي لوكا" من مخيلتها خلال هذه الفترة... إذ إنها استمتعت بالإقامة هناك بين الجليد ... والأصدقاء الجدد ... والخبرات الجديدة ... ثم جاء العام التالي وبدأت دراستها الجامعية ...

أما هذا العام وقد اختلفت الظروف ... فقد تقدم بعرض للزواج منها مرة أخرى إذ إن "روما فورلاري" هي فرصته الذهبية ... كيف لا وهي ابنة الرجل اليائس الذي دنا من حافة الإفلاس ! على كل حال ... فقد مر "جزافييه" بتجربة الحب تارة .. و بالزواج تارة أخرى .. وربما استبعد فكرة الوقوع في الغرام مرة أخرى .. فهذه الزيجة لا تمثل سوى صفقة تشمل في طياتها إنجاب وريث للبارون ...

ومع ذلك ... فليس من حقه أن يشتريها أو ينظر إليها بعدم احترام ... حتى لو أن حياتها فيها ما قد يكون مثاراً للإذلال والإهمال .فقد استقرت الأحوال بعد ما واجهته في مثل حالتها ... إلى أن جاء "تيو" ليهددها بما كانت عليه .

وكانت تهديدات "تيو" من الوحشية بحيث جرحت مشاعرها أشد جرح ... ولكنها لم تكن تتعلق بصلب القضية ...

فالقضية الحقيقية كانت تتمثل في والدها ... تخيلت ما قد يفجره رفضها من خسارة فادحة ، ومن تأثير على صحة والدها وهي التي علمت مبلغ تدهور حالته الصحية ، وأن قلبه لن يتحمل أية ضغوط قد تكون خطراً يهدد حياته ... ولم يفعل "تيو" سوى أن أكد شكوكها من هذه الناحية .

شعرت حينئذ وكأنها قد كبرت عشر سنوات ... إذن "تيو" على حق في تأييد فكرة زواجها من "جزافييه دي لوكا"، خاصة وأن المنطق يحتم إنقاذ حياة والدها .

ولكن لمجرد التفكير في "جزافييه" كانت تشعر بالدم يغلي في عروقها ... وتسري في بدنها قشعريرة تهز كيانها ...فتبادر بدعك ذراعها بكف يدها وهي تعلم أنه ينبغي سرعة التفكير واتخاذ قرار في هذا الموضوع.

لم تتغير تعبيرات وجهها حين استدارت لتواجه والدها وشقيقها ... ولكنهما علما بالغريزة أنها قد استقرت على رأي ما ... أطفأ "تيو" سيجارته ... ورمق وجهها بعينين هادفتين ثم بادرها بالسؤال:

– إذن !! هل توصلت إلى قرار ؟

فأجابت "رومي" بهدوء :

– نعم ... وسوف أتحدث بنفسي مع "جزافييه دي لوكا" على حدة.

ثم عاد "تيو" ليسألها ثانية :

– وماذا ستقولين له ؟

وبينما هي تسير نحو الباب ... أجابت :

– هذا من اختصاصي أنا ... عليكما تدبير بقية الأمور ... أما الآن ... فسوف أخرج لأركب حصاني...

كانت السماء تمطر بخفة فوق سطح مدرسة التدريب على ركوب الخيل ... فالتحفت "رومي" برداء المطر .. وامتطت جوادها "دودو" وخرجت من الإسطبل متجهة إلى الحقل القريب من المنزل .

أما الحصان فقد كان كبيراً .. بني اللون ... وأخذ يقاوم الحركة وكأنه مكره عليها .

كانت وهي في داخل الإسطبل تشعر بالدفء ... أما الآن ... فقد دبت في بدنها قشعريرة حيث بدأ المطر يهطل بغزارة وينساب على معطفها اللامع ... إنه لجنون من البشر الخروج في مثل هذا الجو... ولكنها أرادت الاختلاء بنفسها ... وكانت قد ابتلت ... فشعرت وكأنها تريد أن تطفئ النار التي اشتعلت في رأسها وتعمل على تنظيم أفكارها التي كادت أن تختل ... كما شعرت أن هذه اللحظات قد تكون الأخيرة من حريتها الشخصية ... وإن كانت بالتأكيد الأخيرة أيضاً مع "دودو" .

لقد قررت عدم اصطحاب جوادها إلى "صقلية" ... فالمنطق والمشاكل والعقبات بل والنفقات كانت تحظى بالنصيب الأكبر في قرارها .

ولو أنها باعت حصانها "دودو" خلال هذا الأسبوع ... لأمكنها على الأقل تغطية نفقات الجهاز ... وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي ارتأتها .

نزلت عن الحصان لتفتح البوابة المؤدية إلى الحقل ... فخرج الحصان وبدأ يسير على العشب المبتل الذي كان يبعث برائحة عطرة ... بعد أن نقى الهواء هطول المطر .

أحاطت نفسها بسرج الجواد .. وبدأت تدفع "دودو" برقة حتى وصل بها إلى الأشجار الراسخة في آخر الحقل .

أخذت تمعن التفكير وهي تقول : هل يمكن أن تتحقق مثل هذه الزيجة ؟ وكيف ستكون حياتها مع "جزافييه دي لوكا" ؟

هل هو مجرد تواجد جسدي بلا مشاعر دافئة ... بدون احترام ... بدون حب؟ هل باستطاعتها عدم الالتفات إلى أي فرصة تأتيها من أجل والدها ؟ ربما كان أي شيء آخر أفضل بكثير من زواجها بهذه الصورة ... هكذا جعلت اللاواقعية تعم تفكيرها ... ثم ماذا يحدث لو أخذت عهداً على نفسها بأن تتزوج من شخص غريب عنها ... والتزمت بترك منزلها وأسرتها وكل ما اعتادت عليه ... ثم بدأت حياة جديدة بين أشخاص لا تعرفهم وأماكن لم تطرقها من قبل ولا

تعلم أي شيء عنها ... فماذا يتبقى لها ... وأي ملجأ تلوذ به إذا ما ساءت الأمور واتجهت في اتجاه خطأ ؟ !

بدا كل ذلك وكأن الوضع برمته غير مقنع ... ومع ذلك فقد وقعت في المصيدة.. وتغلغلت في نسيج الواجبات والالتزامات والولاء للأسرة ... ولم لا يتطرق تفكيرها إلى أي شيء يمكن أن يجعلها تندم على ما تبقى من حياتها ؟

باستطاعتها الآن أن تقف وتعلن على الملأ أنها غيرت رأيها وليذهب "جزافييه" بملايينه إلى الجحيم ... وإذا كان الثمن لإنقاذ الشركة هو التخلي كلية عن حريتها ... فإلى الجحيم تلك الشركة أيضاً ...

ولكن ... ماذا يحدث لوالدها لو أنها فعلا تصرفت هكذا ؟

لا ... ليس باستطاعتها أن تدير ظهرها لأسرتها ...

تكتمت كل هذه المشاعر .. وأثرت الصمت وسارت بـ "دودو" في محاذاة السور بطوله .

وكانت كلما ثابت إلى ذات الوضع ... تذكرت أنه لم يكن غارقا في هذه المحنة سوى أكثر الأشخاص المعنيين لديها والمقربين إلى قلبها ... ولم تكن هناك وسيلة أخرى لمساعدتهم ... وإذا وضعت نفسها في المجال الواقعي ... فلن تكون ذات فائدة لأي شخص ... فيما عدا "جزافييه دي لوكا" .

ثم ماذا يمكنها أن تفعل إذا رفضت الزواج منه ؟

العودة إلى الجامعة في الدورة المقبلة لم تخطر على بالها ... خاصة بعد تجربتها المريرة مع "بول" ... وبعد الإفلاس ... إنها لاتستطيع مواجهة ذلك أبدا .

وعلى كل حال ... فما هي الفائدة من وجودها في المنزل ... هل هي لرعاية والدها فقط ... نعم فقد يفلس ... وهي لا تملك ما يعينه مادياً .. وما لديها إلا الحب والرعاية لتقدمهما له ..

وقد يحتاج للكثير من هذا القبيل .

أما من جهة العودة إلى الدراسة .. فلم تكن تعني الكثير بالنسبة لها .. بل ويمكنها الالتحاق بها في أي وقت لاحق إذا شاءت .

هكذا أخذت الأفكار تتطاحن في رأسها وظلت ممتطية جوادها قرب الساعة... إلى أن شعرت بحرارة تسري في بدنها وبدأ الإرهاق يعمها ويعم حصانها... وبدأت أشعة الشمس الذهبية تشق عنان السماء ... وشعرت بآلام في ظهرها، فأيقنت أن الوقت قد حان لتعود ... فوجهت "دودو" عائدا تجاه البوابة وقد انتابها شعور بالإحباط الشديد لمجرد إحساسها بالعودة إلى المنزل.

وبينما هي في طريقها إلى الإسطبل ... كانت تعلم يقيناً أن كل الأفكار التي خطرت على بالها بعد الظهر لم تكن سوى أحلام ... ولم يكن فيها من مواساة سوى كلمة : "ماذا ... لو أن ؟ ..." وقد كانت خائفة ... لا محالة ..

وهل كان لديها اختيار آخر؟ !

أخيراً تحول المطر إلى جليد .. وكانت قد وصلت إلى المنزل... وفيما بعد ... أخذت تتطلع إلى المرآة وتخيلت الوضع برمته ...

وبأفكارها المتسرعة ... الباردة .. وبدون أي انفعالات ... لابد وأن يكون هناك مجال للمقايضة مع "دي لوكا" فيما يتعلق بمطالبها الشخصية ..

لم تكن تنتظر مقابلته في الغد ... كما أنها لا تنتظر حتى التطلع إليه والاسترسال في طلباتها .. وكل ماطرأ على بالها هو أنه لم يرها منذ العام الماضي أثناء زيارته الأخيرة إلى "لندن" وربما يكون قد نسي شكلها ...

ومن خلال تلك المرآة .. لمحت وجهاً آخر وقد بدا لها وكأنه خيال وجه رجل غريب في حدته وتحديقه وشراسته ...

أما شعره فقد كان مثل شعرها أسود كسواد الليل ... وهكذا بدا وكأنه قناع للقوة والسلطة .

لم تهدأ "رومي" بعد أن قامت عن كرسي التسريحة وسارت نحو الحمام الصغير المؤدي إلى غرفتها والمدهون باللون العاجي ... وأثناء استحمامها أخذت تفكر في الأيام الأولى التي تعرفت فيها علي "بول" ... وهو الرجل الذي تصورت يوماً أنها تحبه والذي غير بالفعل تفكيرها .. مجرد التفكير في الحب إلى الأبد ...

فقد كان وسيماً ... يكبرها بعدة أعوام ...

وكان قد أرسل في دورة تدريبية لمدة ثمانية أشهر من قبل الشركة الدولية التي كان يعمل بها ... وقد تقابلا معاً بالصدفة وجمعتهما عاطفة جياشة في ذات اللحظة ...

ولم يتعذر عليها فهم "بول" حتى وإن كان قد أخفى عنها حقيقة أن له زوجة وطفلا عمره سنتان .. في "اسكتلندا" ...

فقد خضع لـ"رومي" وللعاطفة التي غمرتهما .. وتخيل أن نكران وضعه أفضل من فقدانه لها بعد أن تدعمت علاقتهما أثناء الدراسة بجامعة "لندن" .. وأصبحت علاقة غرامية متكاملة .

فاختار إخفاء الحقيقة عن وجود الزوجة والابن .

وأما "رومي" فقد تصرفت بغباء ولم تسأله يوماً عن حاجته الملحة إلى العودة إلي "اسكتلندا" بدونها في نهاية كل أسبوع دون انقطاع ... وتوهمت أنه ربما يذهب لينجز أعمال الشركة ولكنها اضطربت بالفعل من مقاومة "بول" للحيلولة دون تدخلها في شئون حياته الأسرية ... أو بذات المعنى ... أن يتدخل هو في حياتها العائلية . وتقبلت روايته من أن والديه كانا مريضين وأنه ينبغي إرجاء مقابلتها لهما إلى وقت لاحق .

ولم يحطمها سوى تلك العلاقة الغرامية التي كانت الأولى في حياتها ... حيث اندفعت مع رجل ماكر .. ولم تكن لديها خبرة مسبقة في سبل الحياة لكي تتحقق من مدى الخيانة في معاملة "بول" لها .

ثم روعتها الصدمة عندما اضطر "بول" أن يصرح لها بالحقيقة ، وخاصة بالقرار المخيف الذي أيد التزامه بزوجة وطفل ذي عامين .. مما اعتصر قلبها وهدم حصن العاطفة التي شملتها.وكان آخر ما عرفته هو أن "ماريان" زوجة "بول" قد قامت برفع دعوى طلاق .. حيث تقحم فيها "رومي" بصفتها عشيقته وذلك عند إعداد ملف الدعوى أمام القاضي .

وفي ذروة هذه الكارثة ... ظل "بول" يدعي ويدعي أنه سوف يتزوج "رومي" بعد الحصول على الطلاق .. وبذلك يسعدان معا بحياة بوهيمية ..

ولكن اختلت الموازين أمام "رومي" وانقلبت إلى صورة انتقامية ..

فقد علمت أسرتها كل شيء ولحق بهم العار من مختلف الطرق .. وقد كان سكوت والدها مؤلماً للغاية حتى أصبح أصعب بكثير من أن تحتمله حتى عن ثورة وغضب "تيو" ... وعاشت الأسرة كلها أياما سوداء إلى أن جاء نبأ تصالح "ماريان" مع زوجها وطلب إسقاط دعوى الطلاق .

وفي أحلك الظروف ... كانت تتشكك في قلق الأسرة عليها ... وتعزوه إلى بعض الأسباب الأخرى وربما كان أخرها عدم قدرة والدها السيطرة على العمل...

نعم .. لقد جعل "بول" الأسرة كلها تعيش جحيماً من الألم .

وباستعادة ذكرى تلك الأحداث المؤلمة ... تصورت اتهام قلبها لها .. وأنه لن يغفر لها ذلك الحرج الذي توغل فيه أكثر مما كانت تتخيل ... وطغى هذا التأثير على أحاسيسها بصورة وحشية ... وكانت هذه الواقعة تشعرها بأنها مثل النبات الصغير الذي بدأ ينبت أزهاراً ... وحينما بدأت تلك الأزهار تنمو .. إذ برياح الشمال تهب لتقتلعها ...

والحقيقة أن "جزافييه دي لوكا" لن يستطيع أن يحبها مثلما أحبها "بول" ولكن إذا كانت هذه الزيجة سوف تتم لا محالة ... فعليها أن تسرع باتخاذ القرار ... حتى تتمكن من الحصول على أي شيء بقدر المستطاع لصالح أسرتها .

وقد أحيطت علماً أن عليها أن تنجب له وريثا ... وهذا لا يستدعي ضماناً لرباط عاطفي .

أما "تيو" فقد كان على حق .. ذلك لأن الإفلاس الوشيك قد أثر على حياتها تأثيراً عميقاً تماماً مثلما فعلت خيانة "بول" لها ... وبين هذا وذاك... تغيرت كل توقعاتها عن المستقبل ... والواقع أن الأمان المادي هو أفضل ما بقي من أمل في الحياة ...

أما هي فمن أجل بابا ... والدها الحبيب ... يمكنها أن تفعل أكثر من ذلك.

رن جرس التليفون .. ليقطع عليها أفكارها .. فلفت المنشفة حول جسدها

العاري والتقطت السماعة ... جاء صوت "تيو" وهو يطلبها من المخازن . حيث قال :

- سوف يراك صباح الغد الساعة العاشرة في فندق "أثينيوم" ... وسوف أصطحبك إلى هناك .

- إنني أستطيع الذهاب وحدي .

فبادرها قائلاً :

- من الأسهل أن آمر عليك وأصطحبك لأوصلك إلي صالة الاستقبال فقط . أما هو ... فسوف ينتظرك في غرفة الاجتماعات .

فأجابت "رومي" بجفاء :

- ياله من أسلوب ملائم ... موافقة ... إذن عليك أن تمر حوالي التاسعة والنصف لتأخذني من هنا ، واسترسل "تيو" وجاءت نبرات صوته خافتة وحانية وكأنها دلالة على أنه حقاً شقيقها .... فقال :

- "رومي" ... هذه هي فرصتك الذهبية ... بل هي فرصتنا العظمى ... فلا تفعلي ...

فقاطعته قائلة :

- لن أفعل أي شيء أحمق ... اطمئن ...

- بل سوف تتيسر الأمور إذا علمنا ماذا تنوين قوله ..

فأجابت "رومي" برقة :

- أعتقد أن هذا من شأني فقط .

- كل ما أعنيه يا "رومي" هو ألا تعملي على نسف الموضوع ... وقد يكون هذا هو أهم قرار تتخذينه في حياتك ... ولا تنسي أن هذا الشاب يملك الكثير من القوة والسلطة .

- بل إنني أعلم مدى سلطانه وقوته ... ولا داعي لأن تتعب نفسك في شرح هذا .

- ثم أنت تعلمين أيضاً حقيقة الوضع بالنسبة لصحة والدنا ...

- لا تكن عنيفا يا "تيو" ... إنني أعلم هذا ايضاً .

وكما لو أنه يريد الاعتذار عن قسوته في هذا النهار ولكنه لا يدري كيف ... فقبل أن يضع السماعة أضاف :

– حسناً ... إذن إلى اللقاء واعتني بنفسك !!

الفصل الثاني

وأخيراً فكرت "رومي" في شيء واحد ... وهو كيف تتأنق بأسلوب متميز وجميل في آن واحد ...

وبدأت بوضع مكياجها .. واستخدمت من مساحيقه أكثر مما يلزم، حيث اعتبرته قناعاً دفاعياً لا تريده أن يتصدع ... إلى أن أصبح جمالها المقنع نوعا من الحماية التي كانت تبتغيها .

وكذلك تم بالنسبة للملابس ... فقد اختارت منها ما كان بمثابة حماية خفية .. ارتدت (چاكيت) ذا حواف طوالا من الكريب الأسود حتى بدت وكأنها دروع يابانية .. وظهرت الأكتاف عريضة ... كعلامة مميزة للمجموعة الآتية من "ميلانو" ... وبذلك أضافت إلى صورتها النحيلة مسحة من القوة ...

كانت قد ارتدت تحت الچاكيت حلة فاحمة السواد ومحبوكة على جسدها .. فما كان إلا أن أظهرتها بلون قاتم للغاية ، غير أنها فضلت ارتداء بلوزة بيضاء حتى تخفف قليلا من حدة تلك الألوان الداكنة .

أما الحذاء .. فهو أسود مصنوع من جلد الخراف ، وكذلك حقيبة يدها ... فهي من ذات الجلد وبذات اللون أيضا ، ثم أضافت اللمسات الأخيرة بارتداء القفاز الأسود حتى تستكمل الطاقم .

وعندما تطلعت إلى المرآة .. لم تشاهد سوى وجه بيضاوي لامرأة وقد أحاطه ظلام حالك .. واللمسة الوحيدة التي كسرت حدة هذا الظلام – الناتج عن ملابسها القاتمة – لم تكن سوى الشفاه القرمزية وومضة من الزرقة الداكنة في عينيها .

إذن ... فلن يجد "جزافييه" مجالاً للوقوع فريسة للأوهام وسوف تبادله هي نفس الشعور حتى لا تقع هي أيضاً فيها .

لابدأن يستنتج إذن أنها رفضت أن تتبهرج في ملبسها حتى لا يشعر أنها تتملقه أو ترضي غروره كرجل ، وقبل خروجها لمقابلة "تيو" سحبت من صندوق جواهرها .. ذلك الحبل الطويل الثقيل من الذهب الإيطالي – وقد كان هدية من

www.elromancia.com

والدها بمناسبة عيد ميلادها الثامن عشر – ولفته حول عنقها فأضفى على لونها القاتم بريقاً ذهبيا ينم عن الثراء ... حتى تذكره أنه إذا كان هو يتفاخر بثرائه الفاحش .. فلم تكن أسرة "فورلاري" أقل منه فخراً .

وعندما حضر "تيو" في سيارته "الجاجوار" الفضية ليأخذها ... اتسعت عيناه من الدهشة ...

وإذ رأته كذلك ... سألته بإيجاز ... بينما دلفت داخل السيارة وغاصت في المقعد :

– ماذا هناك ؟ هل يبدو في شكلي شيء خطأ . لا يتلاءم مع المناسبة ؟

وبعد إمعان النظر وكأنه قد روع ... أجاب :

– إنك تبدين ... تبدين في غاية الجمال .. ولكن كما لو أنك لست في التاسعة عشرة ... أو كأنك شخص آخر مختلف ... ابتسمت "رومي" باقتضاب وقالت :

– هيا بنا !!

وكانت تعبيرات "تيو" قد تسمرت بنوع من الجمود بينما بدأ يدير محرك سيارته. وقد كان فندق "أثينيوم" صغيراً نسبياً ولكن موقعه ممتاز والمنظر من خلاله غاية في الإبداع ، حيث كان يطل على حديقة تعرف بـ"الحديقة الخضراء" ... غير أنها في هذه اللحظة قد أصبحت "الحديقة البيضاء" لشدة ما تراكم عليها من جليد ...

وقف نائب مدير الفندق في البهو انتظارا لقدوم "رومي" .. حتى يوصلها إلى غرفة الاجتماعات بالأدوار العليا .. حيث مكان المقابلة ...

قبلها "تيو" على خدها ... وأخذ يتمتم بهذه الكلمات :

– إن وجهك بارد مثل الثلج ... هل تعانين شيئا ما ؟

فأومأت وقالت وهي تأخذ نفساً عميقاً :

– نعم !!

– إذن ... اطلبي من الاستقبال أن يستدعوني عندما تنتهين ... وحافظي على نفسك ...

ثم خرج مسرعاً من البهو دون إبداء أي نصائح أخرى ... كما لو كان

مسروراً للخروج من الموضوع ... وبدأ قلبها ينبض فجأة بنوع من الثقل والألم... ثم استدارت إلى نائب المدير وقالت :

– إنني مستعدة ...

– من هنا ... إلى المصعد يا آنسه "فورلاري" ...

(ثم استرسل) ... يبدو أن الخريف قد انقضى بالفعل ...

وقد أذاع التليفزيون أننا بصدد التعرض للمزيد من الثلوج هذا المساء ...

فأجابت :

– هل أذاع ذلك حقاً ؟

ولكنها في الواقع كانت تستمع بصعوبة إلى تعقيبه عن الجو ... وبينما وصل المصعد إلى الدور الخامس ... قادها إلى مدخل مفروش بسجاد ذي نسيج فاخر ... وتوقفا أمام باب مكسو بألواح من خشب السند يان ... ففتح لها الباب .. وانحنى في انتظار دخولها ...

كانت الغرفة صغيرة نوعاً ما .. وكانت الستائر تغطي النوافذ حتى أن محتويات الحجرة – المكونة من مائدة من خشب السنديان ومعها اثنا عشر كرسياً – قد بدت ناعمة نظراً للإضاءة الخافتة .. دلفت من الباب ببطء ... وكان أول ما وقع عليه بصرها هو الكراسي الخاوية فشعرت لبرهة أن الغرفة كلها خالية .. ولكن ما إن أغلق الباب من خلفها حتى رأت رجلا واقفا في نهاية الغرفة.. فسارت في اتجاهه وكانت قدماها تغوصان في السجاد الرمادي.. وكأنما قلبها قد صعد إلى حلقها .

ولم يبذل "جزافييه دي لوكا" أي مجهود للتقدم إلى الأمام بل ظل في مكانه ببساطة تامة وهو متكئ على حافة النافذة .. كان في وضع مريح .. غير أنه اندفع يتأرجح بهدوء مما دفعها إلى الشعور بأنه كان في انتظارها هنا ليس لدقائق فقط وإنما لسنوات عديدة مضت .

ظهر خياله منعكسا على شعاع من ضوء تسلل إلى الحجرة وكأنه وجه بدون معالم ... ولكنه وجه مألوف جدا لـ"رومي" إلى حد إمكان تعرفها على خطوطه في لمح البصر حتى ولو كان بين ملايين البشر ... ومع ذلك فرؤيتها له الآن قد

www.elromancia.com

جاءت من خلال نظرة مختلفة ومعرفة جديدة بل وأحاسيس لم تعرفها من قبل .

لقد كان هو فارع الطول حتى أنه كان يعلو عنها بنسبة كبيرة تماما مثلما كان منذ سنوات مضت ... ولكن مع بصيص من ضوء تسلل من خلال الستارة... أضاء تلك السوالف الفضية في شعره الأسود .. فهذه لم تكن ظاهرة منذ عشر سنوات ... أما ظلال الوجه فقد أبرزت خطوطا عريضة تنم عن السلطة الناضجة . لم تكن تحتاج أن تري ملامحه إلا لمجرد الاحساس بالحضور .. ولو أن هناك امرأة عمياء للمست بحسها مدي جاذبيته .

وقفت "رومي" أمامه .. وقد جف حلقها .وضاق صدرها .. وحملقت في ظلال عينيه فلمست نظرة محدقة تحتضنها .. أخذت تتغلغل في أعماقها كما لو كانت كل محاولات الإغراء التى بذلتها هذا الصباح قد ذهبت هباء .

ظل هو صامتا ... أما "رومي" فقد قربت يديها من بعض كي تخلع باليسري القفاز الأسود الجلدي من أصابع اليد اليمني إصبعا بعد الآخر ...

ثم مدت إليه يدها ... وقالت بصوت خافت : صباح الخير ياسيدي البارون فأخذ يدها في يده ... وكان صوته عميقا ... فيه بحة خفيفة ربما كانت من سماته الأصلية أو أنها تنم عن السخرية .

– صباح الخير يا "روما" ... كنت أعتقد أنك لن تتحدثي أبداً بلغة والديك !!

فردت بنوع من التعالي :

– إنني أتحدث الإيطالية بطلاقة .. ولكني أفضل الحديث بالإنجليزية .

فترك يدها وهو يقول :

– إذن ... سوف نتحدث اليوم بالانجليزية ...

تفضلي بالجلوس ... هل تشربين معي فنجاناً من القهوة ؟

فأومأت . طاعة لأمره بالجلوس .

لم يتبع اللباقة ... ومع ذلك فقد وجدت نفسها تحدق في وجهه الداكن ... ثم رن الجرس ... ويبدو أن عامل الفندق كان واقفاً بمحاذاة الباب حيث دخل الغرفة في التو واللحظة وهو يحمل صينية عليها طاقم من الفضة به القهوة ... وبدأ يصبها لكل منهما ...

وبناء على طلب "رومي" فقد أضاف إلى فنجانها بعض اللبن ... ثم تركهما وخرج في صمت تام ... إذ يبدو أن البارون "دي لوكا" لديه موهبة في تسهيل الأمور حتى يدور كل شيء من حوله في سلاسة تامة .

أما الضوء الموجود حالياً بالغرفة فقد انعكس على وجه "رومي" حتى طمس تعبيراته ولكنه على الأقل جعله مرئياً .

وأول فكرة طرأت عليها منذ أن رأته كانت ذات الفكرة التي ظلت تدور في رأسها دوماً .

... ماذا يريد هذا الرجل مني ؟

وما أن اعتادت عيناها هذا الضوء الخافت ، حتى استطاعت أن تتبين فيه تفاصيل أخرى :

مثلا ... حلته الرائعة لم تغير من جسد ذلك الرجل الذي بدت فيه طاقة عدوانية وخشونة لا يمكن إنكارها ...

وتلك العينين الرماديتين المترقبتين ... فقد لمع فيهما بريق دل على مدى الذكاء الخارق ... فهذا الرجل كامل النضج ولكنه خطر جداً .

وبالمقارنة .. فإن "بول" لم يكن سوى طفل أو ربما صبي لم يستكمل نموه ... فلم تأمل أن تحظى بأي شيء .. مقابل هذه القوة المخيفة ...

رشفت "رومي" قهوتها وشعرت بالبن حاراً على لسانها .. فكاد أن يصيبها غثيان .. لدى وصوله إلى معدتها التي كانت مضطربة نتيجة لاضطراب أعصابها .

أما هو ... فقد تناول قهوته .. سادة ... وبدون سكر... وكان يرشفها بطريقة إيطالية ...

ثم قال وهو ينظر من خلال الستائر المسدلة على النافذة :

– لم أكن انتظر نزول الجليد ... فقد تركت إيطاليا وكانت لا تزال تنعم بدفء الشمس ... والأشجار مثقلة بفواكه الخريف ..

فأجابت بلا مبالاة :

– أما في إنجلترا ... فيميل الجليد إلى النزول مبكراً ... كما يميل إلى البقاء

www.elromancia.com

مدة طويلة ... ربما تكون نزوة ... ولكنها تحدث في بعض الأحيان .

– إنني أفضل المناخ الإيطالي ..

– معظم الناس يفضلونه ... ولكن يمكن التعود على جو إنجلترا ...

– هل تريدين مزيداً من القهوة ؟

فأجابت بإيجاز :

– كلا .. إنني لم آت إلى هنا لأتكلم عن الجو .. وأظن أن هذا ينطبق عليك أيضاً .. كما أنني أبغي المختصر المفيد إن لم يكن لديك مانع ..

رمقها بنظرة خاطفة حتى أنها لم تستطع استنباط تعبيره من خلالها ... ثم سكب لنفسه فنجاناً آخر من القهوة واستطرد قائلا :

– لا ... لامانع عندي ..

فجاء صوتها هشاً نتيجه توتر الأعصاب ... ولكنه يدل على الجدية والتأكيد .

– إذن !! دعنا ندخل في العمل ...

– عمل ؟ وليكن ... إذا أردت هذه التسمية ...

وكان صوته أجش ... وله لهجة خفيفة ... ولكنه من العمق بحيث أعطى لكل كلمة نطق بها .. نوعيه خاصة .. لم تكن عدوانية ولكن ربما كانت تهكمية ... ثم جلس مقابلها حيث تلاقت عيناه الخارقتان .. بعينيها .. وقال :

– حسنا !! أعتقد أن والدك قد أنبأك بعرضي الزواج منك ...

فأومأت وقالت : نعم !

فسألها عرضاً وهو يشرب فنجانه الثاني ببطء :

– وهل تقبلين ؟

– لدي عرض مماثل أعرضه أنا أيضاً .

هكذا أجابت وهي تلتقط قفازها المطروح جانبا لتطويه ..

فبدا تعبيره متسائلا بأدب :

– حقاً ؟ .. تفضلي ..

وكما خططت في الليلة السابقة .. فقد انطلقت المبادرة بحدة:

– في البداية ... إنني لا أقبل أن يشمل عرضك هذا الحصول على نصيب

في مصانع "فورلاري للنبيذ" .

وحتى لا يبدو من صوتها أية مشاعر .. فقد تعمدت أن تضفي عليه نوعاً من الصلابة وهي تقول :

– لقد فشلت في إيجاد أي صلة وثيقة للموضوع بهذه الفقرة ...إنها تحمل أسرتي عبئا غير مقبول ... كما أنها تحط من قدري ...

فوضع ساقاً على الأخرى ثم قال :

– تحط من قدرك من أي جهة ؟

تقوس فمها الجميل إلى أسفل بصفة لحظية ... معبراً عن شيء من النفور..

– سوف أشعر وكأنني مشتراة ...

فبدت حينئذ شبه ابتسامة جافة كما لو أنها خدعة ناتجة عن الإضاءة ..

– وهل أنت لست كذلك ؟

تمالكت أعصابها إذ أجابت :

– كلا .. إن عرض الزواج يمثل عقدا اجتماعيا وليس عقد عمل ..

وأثناء الحديث ... اتسعت عيناها المحاطة بأهداب كثيفة داكنة واسترسلت قائلة: لا أستطيع إطلاقاً قبول عرض يمكن أن يمنح شخصا غريبا أيه حقوق على أعمال والدي ...

– ولكن ... ربما كان لوالدك تفكير مخالف ... أو أنك تتكلمين عنه ؟

هكذا أجابها "جزافييه دي لوكا" وهو يحاول أن يضفي على صوته نبرة ناعمة...

– إنني أتحدث عن نفسي فقط ...فإذا كنت حقاً ترغبني يا"جزافييه دي لوكا" فعليك أن تستعد لدفع السعر بالكامل للبضاعة ...

هكذا .. فقد تم القول ... ولم يطرأ أي رد فعل على الوجه المقابل لها ... بل واستمر في مراقبتها بلا أي تعبير ولكنه لم يقل شيئا ...

فاقتحمته قائلة :

– سوف أتزوجك على شرط واحد .. هو أن تمنح والدي – كهدية وبلا أي ارتباطات – المبلغ الذي تكلمت عن استثماره في الشركة بالكامل ... ومن

www.elromancia.com

المحال أن يكون لك أي نصيب فعلي أو حقوق على مصانع "فورلاري" ... هكذا وإلا فالغ الاتفاق .

– أكملي !!

قال هذا بصوت حاد ... هل هو غاضب ؟ لقد توقعته وقد ينفجر فيها .. ولكن هدوءه كان أسوأ .

تعجبت وقالت :

– أكملي؟!!

ليس هناك ما يقال بعد ذلك ... لقد سمعت عرضي ... فإما أن تقبل ... وإما أن ترفض .

– إنني أرفض .

أسكتتها الصدمة للحظات ... ثم كررت الكلمة وقد تبدل صوتها :

– أنت ترفض ؟

اتكأ إلى الخلف واضعا يده على ذراع الكرسي بإهمال ثم قال:

– إن الثمن غال جداً .. أغلي بكثير مما أتصور ...

– إذن .. فكم تساوي الزوجة ؟

أجاب بشيء من النعومة :

– إنه يتوقف على نوع الزوجة – هل لديك فكرة عن المبلغ المطلوب لإعادة "مصانع فورلاري" تعمل من جديد ...

فقالت باختصار:

– كلا ...

– إذا افترضنا نصف مليون جنيه ... فهل هذا يعتبر تطرفا في التقدير ؟

شعرت "رومي" بدوار ... فلم تكن تعلم أن المبالغ المطلوبة باهظة إلى هذا الحد... ولا عجب أن والدها يبدو محطماً للغاية ... فكتمت مشاعرها حتى لا تبدو في تعبيراتها وقالت :

– حسنا جداً !! إذن .. نصف مليون جنيه هو المبلغ موضوع حديثنا ...

رفع "جزافييه" حاجبه معلقاً :

– ماذا لديك فيما تعرضينه يساوي نصف مليون جنيه ؟

– أنا نفسي فقط .

– آه !! أنت نفسك فقط !!

وتباعدت عيناه بنوع من اللهو .

أما هي فقد بدا فمها مثل خط عتيد وفكرت في نفسها ... "ذلك الوغد ذو الدم البارد" ... ثم جلست مستقيمة ... وشدت صدرها من خلف الكريب الأسود..حتى جعلت عينيه تقع وقتيا على هذا الصدر المنتفخ ثم قالت بوضوح:

– أنت تريد وريثا ... وأنا كفيلة بإعطائك واحداً .

وتحدته بحاجبين نحيلين ، أما هو فقد فعل حركة مختصره بيديه ثم قال .

– أتخيل أنه لن تكون هناك مشاكل ...

– لا . لن تكون هناك مشاكل ... فسوف أمنحك طفلين .. لك كل الحق أن تتوقع ذلك من زوجة ... وبالتأكيد فكل طفل يساوي ربع مليون بالنسبة لرجل متيسر مثلك ...

– إذا كان يهمك أن تضعي الموضوع في هذا القالب ... فهو دليل على أن أفكارك قد ترتبت بصورة قاطعة فيما يتعلق به ...

أومأت بشراسة وقالت :

– فعلا ... ولكن بعد أن أمنحك الطفلين ... تكون علاقتنا الجسدية قد انتهت... وسأعيش أينما أردتني أن أعيش ... وأظل زوجتك بكافة المعاني الأخرى ... أما بعد أن نجري تعميد الطفل الثاني ... فلن نظل بعدها .. عاشقين ...

(ولمعت عيناها ببريق شرس ، مثل مياه البحر إذا ارتطمت بالأحجار) فاكملت... عاشقين ... أليس هذا هو التعبير الأفضل !!

لم يتحرك له ساكن .. ولكنها شعرت به يتكتم الغضب .. وبالتأكيد فإن عينيه اللتين لم تتحولا عنها .. قد حملت ومضة تنذر بالسوء .

وبعد مجهود جبار ... أنهت خطابها الذي تدربت عليه بمنتهى الحرص ثم أكملت:

www.elromancia.com

بالتأكيد ... فلن أتوقع أن تعيش راهباً .

وأصبح الموقف لا يحتمل استمرارية تلك النظرة المحدقة ... فاسترسلت :

إذن !! أفضل الحلول بالنسبة لك .. هو اتخاذ عشيقة ... وأعتقد أن لديك واحدة ...

ثم ضربت بقفازها على راحة يدها .. مما يدل على حركة عصبية متحدية ..

لا أعلم .. ولا أهتم ... ولن أعترض إذا أبقيت عليها ... حتى ولو كان لديك عدد من العشيقات .. فافعل ما تشاء .

وفي هذه اللحظة ... بدا عليه شيء من رد الفعل الإيجابي وكان من الصعب استبيان حقيقته .. تماماً مثل اضطراب الضوء في سماء رمادية ... أو مثل رعشة في بدن النمر إذ سرت تحت فرائه لدى اصطياده ... ثم تفوه :

– وهذا إذن هو العرض الذي أتيت به هذا الصباح ؟

وخطر على بالها ... أنه لو حدث مثل هذا الموقف منذ مائة عام ... لهب هذا الرجل ليقتلها بنهشة من أصابعه ... فهل هي تطاولت عليه إلى هذا الحد ؟ ولكنها تخيلت كل هذا في الليلة السابقة غير أنه كان بصورة متعقلة وبغيتها تأدية عمل ... أما اليوم ... فقد تحقق ما تخيلته ولكن بصورة قاسية وأيقنت أن مشاعره قد وضحت ... فما هي الآن بالضبط : اشمئزاز ؟ أم غضب ؟

انتفض واقفاً من مقعده .. وقذف بعيداً تلك الستائر الثقيلة على النافذة .. فأضيئت الحجرة بضوء مؤلم جعلها تجفل .... هذا الضوء الشتوي كان مبهراً حيث اختلط ببياض الجليد المتراقص خلف الألواح الزجاجية .. فنظرت إلى "دي لوكا" وكانت المرة الأولى التي ترى فيها تفاصيل ملامحه ... ولو لم يكن تعبيره مفعما بالغضب لبدا وسيماً بصورة لا تصدق .. وسيماً إلى حد مخيف...

وقد تجسم كل شيء على وجه "جزافييه دي لوكا" ... فتلك الثقة الفائقة قد تأصلت منذ مئات السنين وهي تنم عن سلطان متعجرف وثراء فاحش وقوة... تركت آثارها على حاجبيه الأسودين ... وفمه الأنيق التكوين .. وعينيه الرمادتين العاصفتين اللتين بدأتا تضيقان كلما حدق فيها .. ثم بدأت تلك النقط التي تحملها تتحول تارة إلى اللون الذهبي ... إذا تبسم لها .. أو إلى اللون الفضي

إذا أراد إبداء غضبه ... أما في هذه اللحظة بالذات ... فقد بدت كشرائح من الثلج ملؤها تعبيرات ... قلبت قلبها داخل جسدها ... وقد بدأت خطوط التجاعيد تظهر على البشرة الداكنة حول عينيه وانتشرت .. على الصدغين الفضيين حيث تقوست إلى أسفل على عظام وجنتيه العاليتين ... وكذلك حول الفم ... غير أنها تقوست إلى أعلى حول فتحات أنفه ... ولم تكن تلك الخطوط تدل على شيء من الملل أو الضجر بقدر ما دلت على خبرة تركت آثاراً برونزية على وجه نشيط تملؤه رجولة ناضجة ... أما حاجباه الداكنان .. فقد تحددا بشكل ثقيل ... معبرين للغاية وتقوسا إلى منتصف الطريق حول عينيه العميقتين اللتين اتسمتا بحدة مستمرة .. وقد تقابلتا تقريبا في الوسط لتؤكدا عزيمته الجبارة . وكانت العاطفة والدراما والعمق والتكبر ترتسم على فمه ..

إنه من نوع الرجال الذين قد تقابلهم مرة واحده في العمر كله .. وبالإيحاء يمكن استنباط أن هذا الجسد المتكئ قد يبدو جميلا وهو عار ... فبنيته الجسدية تعكس الخطورة والعذوبة التي ارتسمت على وجهه ... وأما يداه .. فقد حملتا ذات الطاقة الرجولية .. حتى أن اليد التي اتكأ عليها قد أطبقت بإحكام على رسغه المفعم بالشرايين ... كما لو أنه أراد أن يجعلها تتمدد على السجادة الجميلة وتمزقها .

فقال بصوت مغرض :

– من الطبيعي أن تكوني قد تحدثت مع والدك قبل أن تأتي إليّ هذا الصباح..

فأخذت نفساً عميقاً وظنت أنه بكل تأكيد يعلم أن مظهره الجسماني قد يرهبها... ولكنها ليست بذلك الغباء الذي يجعلها تظهر له هذا الشعور ... فأجابته قائلة:

– كلا ... لم أفعل ذلك ... إنه عقلي أنا يا "بارون دي لوكا" كما أن هذا الموضوع من شأني أنا فقط ...

– ومن شأني أنا أيضاً .

قال هذا وهو يشير إلى نفسه ...

وإذ بيديها ترتجفان وتتشابكان بإحكام ثم قالت :

– إذا أردت أن تجعله من شأنك ... فليكن ... ويرجع لاختيارك .

فأخذت ترقبه وهي تشعر أن بحلقها غدة ثلجية ... ثم رأته يطلق إحكام قبضته.. ليضع يده على جنبه وهو يبعد سترته إلى الجنب لتكشف عن خصر مشدود وملفوف بحزام مقصوص على طريقة أهل صقلية ...

– إذن ... بطريقة أو بأخرى .. فأنت لا تحملين أية مشاعر ...

قال ذلك وهو يختصر كلماته بازدراء .

فحولت نظرها عن عينيه ثم قالت :

– نعم ... لدي مشاعر ... بل ولدي كرامة أيضاً مثلك تماماً .

فلمعت عيناه وهو يقول :

– يبدو فعلا كذلك .

– إنني أريد أن يسعد والدي بما تبقي له في الحياة وأرجو ألا ينكسر قلبه فيموت حسرة وهو منبوذ وفقير .. كما أنني أريد أن أضمن شيئا من الأمان لأسرتي ... وكل ما أطلبه منك هو أن تمنحنا ذلك الأمان ... وليكن في سياق الترتيب للزواج ... وفي المقابل .. فأنا أعرض عليك طفلين يكونان وريثين لولايتك . ويتضمن عرضي هذا أن أكون أماً مثالية لهما ... (ثم وجهت إليه نظرة مباشرة) .. إنني فقط لا أريد أي نوع من المكر أو الادعاء ...

ألا يبدو هذا العرض مناسباً ؟

– ... مناسب ؟

فتغير لونها ولهجتها لدى مقاطعته :

– أرجو ألا تنسى أنك أنت الذى طلبت الزواج مني ... وليس العكس بالعكس... فلم أكن لأبتغي هذا الزواج ... ولولا تلك الظروف فبكل تأكيد لم أكن أفكر إطلاقاً أن تكون زوجاً لي ...

فسألها :

– هل أنا بغيض إلى هذا الحد ؟

فبادرت بتذكيره ... بنفس النبرة القاسية :

– أنت تكبرني بأكثر من عشر سنوات ... ولكنني لم أعن أية إهانة يا بارون.. كما أعلم تماماً أنك تستمتع بنجاح كبير مع النساء ...

وبينما هي تقول هذه الكلمات ... وقفت "رومي" على قدميها ... وقد افتعلت ابتسامة لم تحمل سوى التوتر ... ثم استطردت :

– والآن ... فإنني على يقين من أنك تحتاج بعض الوقت لتفكر في هذا الحديث.. وليس هناك بعد الكثير للمناقشة ...

– قد لا يكون ... من جهتك .

وماإن استدارت لتخرج .. حتى جذبها بأصابع فولاذية من المعصم العاري من القفاز ... وقال :

– انتظري ...

قالها بنعومة وهو يجذبها لتواجهه دون أدنى مجهود .

فقدت توازنها للحظات ... حيث فاجأها بقوته وبطريقة لاشعورية ... وضعت يدها التي ترتدي القفاز ... لتقف حائلاً بينها وبين صدره ... ومن خلال الجسدالمعطر وكذلك القميص ... شعرت بعضلاته قوية وبالتلامس الجسدي .. ما جعل وجنتيها تلتهبان بحرارة .

– دعينا نستعيد عرضك هذا مرة أخرى .

أيقنت أنها أسيرة لديه ... وبدا وجهها متوهجاً .. وعيناها محجبة بأهداب طويلة... ثم تكلم بهدوء وبذلك الصوت البارد الأجش ...

من وجهة نظرك ... ترين أنه ليس من حقي أن يكون لي نصيب في مصانع "فورلاري للنبيذ" وتريدين أن أنقذ شركة والدك من جيبي الخاص ... وتتوقعين أن أتحملك بأسلوب معين ...

ثم سقطت عيناه على شفتيها اللتين انفرجتا بخفة لتظهر الخط الأبيض الزاهي الذي يحمل أسنانها ... وصار تنفسها أسرع من ذي قبل ... عندما قبضت أصابعه بإحكام ووحشية على معصمها ... وقد استرسل في حديثه قائلاً: وسوف تتنازلين لتكوني "حبيبتي –(إذا أردت تسمية أفضل) – إلى أن تمنحيني الطفلين ... وبعد أدائك لهذا الواجب .. فلن تكوني مجبرة على توطيد

اهتماماتي ... ومع ذلك ... فعلى سبيل التراضي ... فقد منحت الحق للاحتفاظ بعدد من العشيقات إذا أنا رغبت في ذلك ... والآن هل نجحت في توضيح كافة الأمور؟

عضت "رومي" بعنف علي شفتها وقالت :

– أرى أنني كنت عديمة الإحساس تجاهك .. وأعتذر لأني أغضبتك ...

– لا داعي لذلك ...

ثم خلص معصمها من قبضته ؟ فأخذت هي تدلكه لتمحو العلامة الحمراء التي ظهرت على جلدها الباهت ... واسترسل هو في الحديث بعد أن حول صوته إلى شيء من النعومة ..

– على كل حال ... لماذا ينبغي أن أكون غاضباً ؟ لقد أوضحت كل شيء بمنتهى الأمانه والصراحة ...

رمقته "رومي" بنظرة سريعة .. إذ إنها أخذت على حين غرة – بسبب التغير الظاهر في مزاجه ... وبدأت تنزع قفازها ببطء مرة أخرى ثم قالت :

– لقد أردت أن أكون واقعية (قالت هذا ببرود) فقد كان عرضك فظاً وشعرت أنه لابد من الإجابة عليه بنفس الفظاظة ...

– إن موقفك هذا في قمة النضج بالنسبة لفتاة في التاسعة عشرة .

ولعلمها أنه يستهزئ بها ... فقد صعد الدم إلى رأسها ليضفي لوناً على وجنتيها الباهتتين ... وما كان إلا أن أجابت :

– لقد كبرت بما فيه الكفاية لأتعقل أقوالي ... ولكني أفهم ماذا سيكون عليه مثل هذا الزواج ....

أحاطها بذراعيه وسألها :

– وماذا سيكون عليه ؟ ...

– تماماً مثل الزيجات الأخرى ... فما هو إلا ترتيب ملائم يتيح للرجل أن يسجن المرأة ... ثم يظل هو حراً ...

فسألها بنوع من السخرية :

– هل هذا هو ما تعلمته في الجامعة ؟ ... إنك تذكرينني بأحد الثعالب ... أو

بمعني أصح ... أنثى الثعلب ... وكان أمامها على الشجر كمية من العنب ... كل ما هو بعيد المنال ... يبدو مراً ...

فتساءلت "رومي" :

– وما المفروض أن يعني هذا ؟؟

– علاقاتك السابقة لم تنل نجاحاً مبهراً حتى الآن ... أليس كذلك ؟؟

كانت كلماته مثل ضرب السياط المتقطع على جلد داجر ...

فنظرت "رومي" إليه بحرارة ثم قالت :

– إذن .. فقد سمعت عن "بول" وعني!!

– لقد جعلت سماع هذا ضمن أعمالي ... التقطت رجلاً متزوجاً لأن عرف الزواج جرى على هذا ...

ثم ومضت عيناه :

أو أن العلاقة الجنسية قد أمالت رأسك ؟

حاولت أن تمسك أعصابها وتثبت وهي تقول :

– لم أكن أعلم أنه متزوج ... ثم إنني لا أجد مبرراً للدفاع عن نفسي أمامك...

والكل يعلم أنك لست ملاكاً خاصة فيما يتعلق بالنساء ... وعلى أي الأحوال... فقد جربت موضوع الطلاق ... فهل لديك بعد ... نظرة مغايرة وطبيعية عن الزواج ؟ ...

وقد خذلها عدم إمكانها إزعاج هدوئه الحانق الذي بدا على هذا الوجه الوسيم .

ثم ردد هو بعدها بعض كلماتها ... وقد تدلت جفونه بنوع من الكسل :

– تجربة الطلاق .. أنت تجعلينها مثل قصة "سادوم وعامورة" ...

– كما أنها توضح لماذا أنت هنا الآن ... على أي الأحوال ... فإن زوجتك الأولى لم تنجب لك أطفالا ... وأتصور أن هذا من الأسباب التي دفعتك للطلاق...

أما الآن وقد تقدمت بك السن ... فقد بدأت تفكر فى ترك ممتلكاتك واسمك

للجيل الذي يليك ... لذا وجدت نفسك في حاجة إلي زوجة أخرى يمكنها أن تمنحك الورثة الذين ترغبهم ...

حدق فيها "جزافييه دي لوكا" ... وقد أسبل عينيه..

ولو لم يكن معصمها مازال يحمل علامة نتيجة لضغط أصابعه ... لكان من الصعب عليها أن تصدق أن هذا الرجل يمكن أن يحمل أية عواطف على الإطلاق ...

– كم أنك مرهفة الحس .. ولكن هذا لا يوضح لماذا وقع اختياري عليك دون كل نساء أوروبا !!

– بل إنه واضح .. فمنذ أن علمت بنبأ إفلاس والدي ... أراهن أنك سحبت قلمك لتشطبني من سجل العرائس الجديرات بك ...

تحرك فمه بابتسامة ساخرة وقال:

– ولكني وقفت .. حيث اتزن قلمي على هذه الصفحة ...

ودون الاستجابة لابتسامته ... استرسلت :

– نعم ... وقفت ... فكلما فكرت في الموضوع ... أيقنت أن فرصتك كانت هنا للحصول على كل شيء تريده ... بل وأكثر ... فاستطرد بصوت ذي نعومة بالغة:

– تفضلي واشرحي ...

فهزت كتفيها وقالت :

– هل هذا يحتاج إلى شرح ؟ كان باستطاعتك تقديم نفسك على أنك المخلص في هذا الوقت .. ثم تضع والدي وشقيقي في التزام جبري ثقيل ... وبدلاً من أن تدفع مهراً مثلما يفعل أهل "صقلية" .. أردت أن تشتري لنفسك هدية زواج.. حصة ثمينة من مصانع "فورلاري للنبيذ" ...

وحينئذ لمعت عيناها وهي تستكمل :

إن موقفك الورع هذا لا يمكن أن يستغفلني يا "جزافييه" إن رأسي قد يصلح للأعمال .. ومع ذلك فأنا أعرف أن نصف مليون جنيه سعر رخيص جداً مقابل نصف مصانع "فورلاري" وحالما تبدأ الشركة في الوقوف على قدميها مرة

أخرى ... يصبح استثمارك مضمونا في خلال أربع أو خمس سنوات وبعد ذلك تصبح أرباحا صافية ... وتكون أيضاً قد ربحت زوجة صغيرة ملائمة لتدخل دعامة على الصفقة ...

فأخذ يتشدق ويهز رأسه قائلاً :

– أحقا هذا ... إن بصيرتك غاية في الإحباط ...

وإذ باستخفافه الصلب يشعل في روحها شرارة شيطانية ... فقد شعرت "رومي" أن الكلمات الغاضبة قد صعدت إلى شفتيها ... فلفظتها :

– هل حقيقة اعتقدت أنك تستطيع أن تخرج بكل هذا ...

قد يكون والدي من النوع العاطفي البريء ... وشقيقي في منتهي الشراهة إذا تعلق الأمر بمصلحته الشخصية ... أما أنا ... فإنني أختلف كلية عنهما ... إنني أرى كل شيء من داخل أعماقك يا "سنيوري" !!

كان الجليد قد قل للحظات ... فانسح مجالاً لشعاع من الشمس ليدخل عبر النافذة ويسقط عليها وهي تتكلم ... فأضفى على شعرها ألوانا مثل قوس قزح فبدا كجناح الطير ... أما الجليد الذي في عينيه ... فقد بدأ يذوب بنار دافئة.. وشعرت "رومي" بيديها ترتجفان وبتقلصات انفعالية في معدتها ...

فقام هو وسار إلى النافذه ليطل على الحديقة .. فقد انتهت اللحظات التي ظهرت فيها الشمس ... وانتشرت حفنة من الجليد على الألواح الزجاجية التي أمامه ... ودون أن يستدير إلى "رومي" ... قال بصوت هادئ :

– تقولين إنك لا تريدين أي مكر أو ادعاء ...

ألا تظنين أن المكر والادعاء هما العملة الرائجة في معظم العلاقات الآدمية ؟

فردت بحدة :

– إنه قصر نظر !!

فصحح لها المعلومة قائلاً :

– بل إنها فكرة عملية ... وفي مثل زواجنا ... فإن نسبة معينة مما أسميته بالادعاء ... قد تساعد على جعل الحياة أسهل تحملا ...

فقالت بازدراء :

www.elromancia.com

– هل تعني بذلك أنك تريدني أن أدعي أنني أحبك ؟

– نساء أخريات لم يجدن صعوبة في ذلك !!

نظرت "رومي" إلى ظهره ... فوجدت أنه رجل بمعنى الكلمة .. له جاذبية فائقة...

إنه من الرجال الذين لا تستطيع معظم النساء مقاومتهم ...

رجل يحمل مثل هذا الوجه والبدن .. لابد وأن يعيش في مناخ متهور من عبادة النساء ..وقد لا يمكن إحصاء عدد من أخضعهن عاطفياً وجسديا ... فالتركيبة التي تحمل كل معاني التهديد والجاذبية الجنسية في تصرفاته ... هي من النوع الذي لا يقاوم بالنسبة للنساء ...

هل هو حقاً توقعها أن تخضع مثل مجتمع النساء التواق للغزل إذا ضجرن من أزواجهن ... وهنا تراقص الغضب في عينيها إذ قالت :

– إنني لست امرأة أخرى يا "بارون" ... وليس لدي أي اهتمام تجاهك ... كما هو الحال معك وعدم الاهتمام بي ...

فرد عليها بجفاء :

– إنني أهتم بما فيه الكفاية حتى إنني عرضت الزواج ...

– لك أسبابك الشخصية ... أما أنا ... فعلي الأقل كنت صريحة جداً ... وإنني أفضل حقيقة واحدة عن أي عدد من الأكاذيب مهما كانت منمقة ... إنني لاأبغي العراك معك أو حتى إهانتك ...

قالت "رومي" ذلك وهي تبذل جهداً لتخفض من نبرات صوتها ... ثم استرسلت :

أما إذا تلاعب كلانا بالقواعد .. فلن يكون هناك أي مبرر لعدم حصولنا على كل ما نريد ... وقد استعمل شقيقي تعبيراً صحيحاً إذ أسماه "تدبير" .

فاستدار أخيراً ليواجهها وقد بدا عليه تعبير ينم عن التسلية والازدراء في آن واحد ... ثم قال :

– تدبير!!!

فرفعت عينيها لتنظر إليه وقد هدأت نوعاً ما حين قالت :

– إنه ما يحدث بالفعل ... فهو تدبير بين شخصين بالغين يتمتعان بالذكاء ...

وضع إحدى يديه في جيبه ... ثم ردد ما قالته بصوت جعلها تجفل :

– ذكاء !! بالغين !!

فأومأت "رومي" وقالت :

– نعم ، ثم إنني أراك تظنني باردة وجامدة ... هذا من وجهة نظرك ...

ثم نظرت إلى أسفل وهي تسترسل :

إنني أحاول فقط استنباط مستقبلي من الوضوح ... قطعا سوف أحب أطفالي ... ولكن كيف يمكنني أن أحمل لك أية مشاعر على الإطلاق ... وأظن هو ذات الحال بالنسبة لك ... فأنت أيضاً لن تشعر بأي شيء نحوي ..

ثم ضاقت عيناها ومضت وهي تقول :

– أرجوك .. لا تدع لأوهامك مجالا ... إنني أنذرك ... فالحقيقة يا "بارون" هي أن كلينا قد فقد القدرة على الحب ولم يتبق لنا سوى الزواج بمثل هذه الطريقة...

– نعم !!

قالها بهدوء وقد بهتت ابتسامته ...

أما هي ... فقد فغرت فاها وحدقت فيه وهي تتأمل إذ كان قد حدث بالفعل ما كانت ترنو إليه ... فقالت وهي تبذل مجهوداً في السؤال :

– إذن ! هل ستعطي والدي النقود كلها بالكامل ؟

– لقد قلت ذلك !!

وأومأ في لحظة الصمت التي تلت هذا ... فشعرت "رومي" بتفاقم انفعالاتها حتى استعدت لتنفجر في البكاء على صورة لا يمكن أن تعني إلا الحزن والخلاص في آن واحد ... فقد حاربت العواطف بوحشية .. والعلامة الوحيدة التي دلت على التعاطف كانت تلك الغشاوة على عينيها ..

ثم رمقها "جزافييه دي لوكا" بنظرة غير عاطفية ... ولم يعلق إذ لمح الدموع في عينيها – فمن الصعب ألا يكون قد لاحظها بالفعل – وبدلاً من التعليق .. فقد سحب دفتر الشيكات المغلف بجلد التمساح من داخل جيب سترته ... ثم

جلس مقابلها وأخذ يكتب بالقلم الذهبي ... وهو يقول :

– هناك بعض الخانات التي يجب أن تملأ ... فهيا نتتبعها معاً... وعلاقتك مع "بول مورتيمر" هل يمكنني أن أسأل كيف حدثت ؟

فقالت بنوع من التكبر :

– ربما لن تفهم أقل شيء عنها ... وليس في نيتي إيضاح ذلك ... بل لنقل إنه كان ضعيفاً إلى حد لا يصدق ... وإنني كنت غبية إلى نفس الحد ...

وافق على كلامها بجفاء وأجاب :

– نعم ... ولنقل كلا الاثنين ...

وكان يحاول أن يخفي ازدراءه إلى أن توهجت وجنتا "رومي" ببلادة وخجل من نفسها ومن "بول" ... فاستطرد هو قائلاً :

– وكم طالت فترة هذا الغرام ؟

– لفترة !!

– ما طول هذه الفترة ؟

فقالت باختصار :

– طويلة إلى حد التورط ... ولكنها ليست بالطول الذي يسمح بالتعرف على حقيقة شخص ما ...

– وهذه العلاقة التي تعتقدين أنني لن أفهمها أبداً ... هل انتهت ؟

– نعم !!

– بصفة مستديمة ؟

فقالت وهي تحاول أن تعطيه خلفية عن الموضوع :

– بصفة مستديمة !! ولكن هناك شيء يجب أن تعرفه عن علاقتي بـ"بول مورتيمر"..

فنظر إليها قائلاً :

– استرسلي ...

أخذت نفساً عميقاً وهي تقول :

– لقد غيرتني ... فقد كنت في منتهي السذاجة والبراءة قبل ... قبل كل ما

حدث ... والآن لم أعد هكذا ... فقد تعلمت الكثير عن علاقات البشر من خلال "بول" قد تتصورني باردة وأحسب لكل شيء حسابه ... ولكني في الواقع أخذت درساً قاسياً .. ولن أدع المجال لأي رجل آخر كي يستغلني ... أبداً .

حدق فيها لفترة طويلة وكأن عينيه تقيمان الموقف .. ثم قال :

– حسنا جداً !! والآن هناك شيء لابد وأن تعرفيه عني ...لقد قلت إنني أستطيع اتخاذ عشيقة عندما تنتهي علاقتنا الجنسية ... ولكني لن أسمح لك بمثل هذه الصلاحية ... وإذا بدا منك أي نوع من عدم الإخلاص .. فسوف أطلقك في الحال يا "روما" ... هل هذا مفهوم ؟

لم يكن في نبرات صوته الآن ما ينم عن أي سخرية أو مراوغة ... فاحمرت وجنتاها ... وأومأت "رومي" بصلابة قائلة :

– إنني أفهم ذلك !!

فانخفض حاجباه منذرين وهو يقول :

– إن المحاكم الإيطالية سوف تؤيد تركك دون الحصول على أي شيء ..ولا حتى أولادك ... وربما تجدين أنه لن يحق لك مطلقاً التواجد معهم علي انفراد .. فهل تقبلين هذا الشرط ؟

فأجابت ببرود :

– إنني أرى إهانة في ذكرك لهذا ... ومع ذلك فإنني أوافق ... نعم ...

فاعتبرها بتلك الصلابة التي تسمح له بالقول :

– ربما تمنحينني الورثة قبل أن يصل سنك إلى الخامسة والعشرين ..ثم بعدها..لن تنامي بجانبي ... ولن يسمح لك باتخاذ عشيق ... فيبدو إذن أنك لاتجدين صعوبة في التوقيع على التخلي عن حياتك الجنسية ابتداء من ذلك الوقت وحتى نهاية حياتك !!

أثارت هذه الكلمات رعدة في بدنها ... ولكنها رفعت ذقنها قليلا عندما أجابت بحيوية :

– مهما ظننت بي ... فلست من النوع المشوش ... ثم إن الامتناع ... من أسهل الأمور على المرأة ... أما الرجال فهم الذين يعانون ...

www.elromancia.com

فقال بتعبير ساخر :

– بكل تأكيد ...

– من خلال خبرتي .. فإنه بالفعل كذلك ...

– وفي حالتك هذه ... فإنني أنحني أمام اتساع معرفتك ...

فجرى الدم في وجهها ... واحمرت وجنتاها كما لو كان قد صفعها ... فاستطرد هو قائلاً :

على والدك أن يشرح لك الشروط الأخرى الملازمة للزواج ... فسوف تعيشين في "صقلية" – في منزلي .. بـ"لوكا" ... وسوف تكونين دائما معي ... ولن أسمح لك باتخاذ مسكن مستقل .. أتفهمين هذا ؟

فأجابت بحدة وكأنما تكره الأسلوب الذي يعاملها به :

– نعم !!

ثم استرسل قائلاً :

– إن حياتي تسير بنظام مستقر ... فلن أضع نفسي أمام الأمر الواقع إذا تطرق لزواجك أو رغباتك ... وأتوقع منك أن تكوني دائما إلى جانبي في أسفاري ... وأن تكوني أيضاً حاضرة إذا أنجزت أية ارتباطات ... ثم رمقها بنظرة باردة وأكمل :

وبجانب ما شرحته بكل وضوح من حيث ما ستكونين عليه ومن حيث دعامة الإنجاب ... فأتوقع أيضاً أن تنالي قسطاً كاملاً من حياتي الاجتماعية .. وسوف تكرمين بالأسلوب الملائم لمقامك .. وسوف ترين كذلك أن كافة الأمور تسير في منزلي بصورة فعالة وسلسة ...

فأجابت بازدراء :

– أعتقد أنه باستطاعتي ألا أخزيك ...

فقال بصراحة :

– أنت لا تعرفين شيئا ... ومازال أمامك الكثير لتتعلميه .. ولا أتوقع منك أن تكوني الزوجة المثالية والمضيفة الممتازة في غضون يوم وليلة... ولكن كل ماأرجوه هو أن تكون لديك القابلية للتعلم ...

فأجابت بمرارة :

– أنا متأكدة أنك سوف تجدني خيبة أمل بعد زوجتك الأولى ... أما إذا أردتني أن ألعب دور سيدة المجتمعات .. ففي هذه الحالة سوف أبذل قصارى جهدي ...

ضاقت عيناه قليلا وهو يقول:

– قبل كل شيء ... أطالبك بشيء واحد : الطاعة !!

وسكن هو كما لو أنه يعطيها مهلة لتستوعب الفكرة في ذهنها ... ولم تتفوه "رومي" للحظة ... ثم لمحت القلم الذهبي على دفتر الشيكات ... وابتلعت ريقها.. وقالت بحدة :

– لك كل الحق في مطالبتي بالتعاون ... وأما مسألة الطاعة ... فهي شيء آخر...

فقال بشراسة :

– نعم ... إنه شيء آخر ويختلف كثيراً ... ولكن الشيء الوحيد الذي أطلبه منك يا "روما" ...

فابتسمت ابتسامة حزينة وقالت :

– ماذا علي أن أفقد بعد ... ؟ سوف أطيعك يا "سنيور" فأخذ يكتب باختصار وبدقة قاطعة .. ثم قطع الشيك من الدفتر أعطاه إليها وهو يقول :

– إذن ! فقد فهم كل منا الآخر ...

تمت كتابة الشيك باسم والدها ... وكان بمبلغ خمسمائة ألف جنيه.. تناولته "رومي" وكأنها مخدرة ولا تستطيع الكلام أو التفكير بوضوح ...

وقف هو ... وتبعته هي ... وهي تشعر أن ساقيها ترتعشان ...

ثم قال :

– من الآن فصاعداً يكون اتفاقي مع والدك ...

–والدي ؟

– لمناقشة ترتيبات الزواج ... فإنني أرغب أن يتم كل شيء بأقصى سرعة ... وأرجو ألا تطلبي شيئا مفصلا ...

شدت "رومي" على فمها وقالت :

– هذا نوع من المكر ...

– في نيتي أن أطلب من والدك أن يجعل أي استقبال في أضيق الحدود ...ثم سار بعيداً متجها إلى الباب كما لو أنهما ناقشا كافة الأمور دون أن يتبقى أي تعقيب لأي منهما ...

هذا الوجه الملون .. حفرت فيه خطوط تلك الحواجب الرائعة ... ثم انحدار ذلك الفم المتسلط والمقوس إلى أسفل... كانت كلها مثل قناع المحارب ...

واستطرد قائلا :

هل هناك شيء آخر ؟

فأجابت بصوت منخفض :

– كلا ... لا شيء غير ذلك .

وبينما هي تسير معه إلى المصعد ... كانت مفعمة بالاضطراب ... وأمام المصعد شعرت وكأن الغدة التي في حلقها تهدد بالذوبان وتكاد تتحول إلى تشنجات ..

فقد تمالكت نفسها قبل ذلك لأبعد الحدود ..ولفترة ما ... ولكنه سيطر عليها بطريقة جعلتها تهتز فأصبحت غير قادرة على مجاراة ذكائه الحاد أو تبدلاته غير المتوقعة من حيث مزاجه ونبراته فمن منهما هو الفائز فعلا ؟...

وما الذي دفعها إلى الخوض في هذا ... في مثل هذا الصباح من أيام الخريف الجليدية ..؟

أخذ "دي لوكا" ظهر كفها .. ورفعه إلى شفتيه ... كانت هذه الحركة ليست إلا على سبيل الرسميات ... لا تحمل أي دفء .. وعلى كل حال فلم تشعر حتى بشفتيه من خلال القفاز الجلدي الأسود ...

ثم قال :

– سوف أتركك هنا يا "روما" ... إنني لا أرى أي داع أن نتقابل قبل يوم زفافنا ... ولكن إذا كان لديك أي شيء آخر للمناقشة فأنت تعلمين أين تجدينني...

فأومأت وهي غير قادرة على الكلام ...

ثم فتح الباب الحديدي ووجدت نفسها تدخل المصعد وكأنه سجن صغير ... فتحسست الأزرار ... وآخر ما لمحته .. كانت عيناه الرماديتان وقد عكستا نقطاً فضية من باب المصعد ...

ثم أغلق باب المصعد لكي تسجن بداخله ...

www.elromancia.com

الفصل الثالث

جاء صوت "كاترين دروموند" مدويا بالغرفة المملوءة بالثرثرة ...

-أوه !! هذا الرجل رائع .. بلا منازع وبكل ما في الكلمة من معان ...

ثم انحنت تستنشق رائحة الشراب ذي اللون الذهبي الباهت وكأنها خبيرة ... وبالفعل ... فقد كانت ... إذ إنها شريكة كبرى في أحد مخازن النبيذ في الجنوب .

وكانت "روما" تنصت بأدب إلى شخص كبير السن ،، وهو ابن عم "دي لوكا" الذي لا يتحدث سوى الإيطالية ... وكان أحد أعضاء أسرة العريس القليلين الذين جاءوا خصيصاً لحضور حفل الزفاف ... وقد عبر الغرفة وانحرف عن "جزافييه" الذي كان يتحدث مع "لورا فورلاري" زوجه "تيو" التي أثبتت لـ"رومي" ذلك الصباح أنها امرأة شريفة لا تقدر بمال ...

ومما لاشك فيه أن "كاترين دروموند" كانت على حق فيما قالته ...

فلم يكن بالغرفة رجل فيما عدا والدها الذي كان يطابقه فى تأثير نظراته..

وبخلاف تلك القوة الكامنة ... كانت بقية الملامح كأنها عجينة واحدة ...

كان طوله فارعا حتى أن "لورا" - وهي سيدة قصيرة القامة - كانت مترددة في تحويل وجهها عنه ... تماما مثل طفل صغير .. تلونت وجنتاها ... ولمعت عيناها بفعل من الإثارة التي وضحت عليها نتيجة لقرب "جزافييه" منها ..

أدرك "جزافييه" لمحتها من خلف أكتاف "لورا" ... وقد صدمتها تلك العيون الرمادية ورأته يومئ بلا إدراك كما لو كان يقرأ أفكارها .. أو كأنه يؤيد رأيها أن هذه مسرحية لا يعرف حقيقة مخططيها سواهما الاثنين .

استدارت بعيداً وهي تشعر بتوهج اتصاله يندفع بحرارة خلال دمائها ... ثم تمتمت بالموافقة على ما قاله ابن عم "دي لوكا" أياً كان، وعاد صوت "كاترين دروموند" يندفع من خلال الصخب مرة أخرى ... إذ كانت تتحدث مع كل فرد ومع لا أحد ... ولم تبد اهتماماً بما إذا كانت "رومي" تسمعها بوضوح من غرفة الرسم - وهي تتكلم وتقول :

- ولكن هذا يعمق اللغز ... فعلى حسب علمي .. لم تقابل هذا الرجل سوى بضع مرات في حياتها ... ومع ذلك ... فهاهما يتزوجان من وحي السماء ... ثم إن هناك فجوة السن ...

إنها فتاة لطيفة ونادرة في هذا الجيل ... أليس كذلك ؟

فأضاف أحد الأصوات الأكثر هدوء ا قائلا :

- ربما كانت هذه إحدى الزيجات التي يتم تدبيرها في "صقلية" ...

فأنت تعرفين أنهم يميلون إلى إتمام كل شيء على الطراز التقليدي القديم ...

ابتسمت "كاترين" ابتسامة ماكرة وقالت :

- طراز قديم ؟ إن مصانع "فورلاري" تخلصت من الحارس القضائي بصورة مفاجئة .. هل علمت ذلك ؟

- هل تعنين ...؟

- أعني أنه حصل على حقنة ضخمة من رأس المال ... حقن بها في المكان المناسب ، فهل تظنين أنها لدغة أصابت البارون الرائع ؟

شعرت "رومي" بابتسامة صغيرة جافة تصعد إلى شفتيها ... إذ كانت على يقين من أن أحاديث كثيرة .. مثل حديث "كاترين دروموند" ... قد ترددت وتناثرت في أرجاء الغرفة ...

حتى مجموعة أصدقائها المفعمة بالضجيج .. أخذت تثرثر في نهاية الغرفة... وكانت تلمح التهامسات والنظرات التأملية ... ومع ذلك فقد سرت لهذا الاستقبال... ولو أنه كان صغيراً نسبياً وذلك مراعاة لرغبة "جزافييه" .

هذا وقد تزوجت ...

ووقفت هنا ... "البارونة دي لوكا" وقد أصبح مستقبلها بين يدي الرجل الذي وقف على بعد خطوات منها وهو غريب كلية عنها، كان الزفاف هادئاً ولكن جميلا ... وكانت الكنيسة زاخرة برائحة الورود ... ولم يكن في هذا الاحتفال سوى المقربين جداً من أعضاء الأسرة ... أما المصورون ... فقد حضروا بطبيعة الحال ... وانتظروا بالخارج تحت الجليد المتساقط واضطرت هي أن تمسك عن الابتسام ، إذ إن رقائق الجليد قد تناثرت على شعرها وملابسها مثل

الماس ... أما صديقاتها فقد أخذن يلقين بقصاصات الورق الملون ، وكانت زوجة شقيقها تبكي ...

وكان المجهود الذي بذل للوصول إلى هذا جباراً للغاية .

سمعت والدها من خلال الغرفة وهو يضحك من أعماقه وكأن قلبه قد انشرح لأول مرة منذ عدة أشهر ... وقد دلت تعبيراته طوال النهار على أنه كاد ينفجر من شدة فخره بزواج ابنته ...

مسكين أيها الوالد ... لقد اقتنع تماماً أنها لا تفعل سوى الصواب ، وعندما أخبرته أنها سوف تتزوج "جزافييه" ... دمعت عيناه من شدة الفرح ... فلم تكن لديه أدنى فكرة عن التدبير الساخر والقائم على عدم الحب والذي توصلت إليه مع "دي لوكا" ...

فلم يكن هو أو "تيو" قد توصلا إلى فهم حقيقة الصفقة التي عقدتها مع "جزافييه" ... وكانت تعلم أنهما يفضلان الاعتقاد بأن هناك شيئا من الرغبة الرومانسية من جهتها لنظيرها ... وتعلم أيضا أن معرفتهما للحقيقة قد تروعهما... وقد اعتقدا أن رفض الحصول على حصة من مصانع "فورلاري" لم تكن سوى حركة تلقائية من جانب "جزافييه" ...

وما كان منها إلا أن قهقهت ... فمجرد الفكرة أن "جزافييه دي لوكا" قد أتى بشيء من الجود والكرم ... هي فكرة مثيرة للضحك إن لم تكن شاذة في حد ذاتها ...

استأذنت من ابن عم "دي لوكا" وتركته لتفسح لنفسها الطريق حيث كانت "كاترين دروموند" واقفة ...

كانت قد فقدت بعض الوزن خلال الأسبوعين الماضيين ، إذ جعلها هذا تبدو في غاية الأناقة ...

كما أنها رفضت رفضاً قاطعاً أن تطلق العنان لرغبة "جزافييه" من حيث لبسها للفستان الأبيض الطويل في القطار ...

وصممت على أن يكون ملبسها خارج نطاق اللون الأبيض ...

فهذا الطقم الكريم ... ليس به عيب خاصة مع الجاكيت القصير الذي أضفى

عليه جمالا ساحراً ... وقد رتبته ليتلاءم مع الحذاء والقفازين وكذلك مع القبعة الصغيرة المحلاة بطرحة قصيرة من ذات اللون الكريم.. وقد نم هذا عن عدم الاهتمام بالمناسبة ... أو كنوع من الابتهاج الوقح الجريء ...

فما كان من "مدام ليكلو" .. حائكة ملابسها إلا أن أبدت ملاحظتها قائلة :

– إنه طاقم جميل جداً لحضور السباق ... ولكنه في الواقع لا يليق للزفاف يا عزيزتي ...

... حسنا !! لقد أرادت أن تبدو بشيء من الوقاحة ... كما تمنت أن ينعكس نفس الابتهاج الوقح على تعبيراتها .. رغم علمها بأن زرقة عينيها الدالة على أنها من أصل سكان حوض البحر الأبيض .. قد تحولت إلى زرقة داكنة ... كما تبدلت المسحة الذهبية التي صبغت جلدها فبدت بلون عاجي باهت ... وربما عزا الناس هذه المظاهر إلى الجو المفعم بالجليد أو إلى شيء من الإثارة ... فجمال ملامحها الأصيل لم يشوهه أي انفعال لدى وصولها إلى المجموعة...

وقالت بخفة :

– أهلا يا "كاترين" أهلا بكم جميعاً ...أشكركم على المجيء لحضور زفافي...

واستمرت لبضع دقائق .. دائرة القبلات والإطراءات مثل "كم تبدين جميلة يا عزيزتي" ... حيث ابتسمت "كاترين" مصاحبة للإطراء الذي أبدته قائلة :

– أعتقد أنه ينبغي أن ندعوك "البارونة" من الآن فصاعداً ...

وإذا جاء اليوم الذي ترغبين فيه أن تتخلي عنه أو تكوني قد تعبت منه .. فما عليك إلا أن تقذفيه إليّ ... هل لك أن تفعلي ذلك ؟

فاشرأبت إحدى النساء من خلف كتفيها وهي تنظر تجاه "جزافييه" وانطلقت في التعليق :

– إنه خرافي ... ولقد كنا نتحدث تواً عن أنك لم تظهري معه من قبل ولم ترك إحدانا معه ... فمنذ متى قد تعرفت عليه ؟

فأجابت بصدق :

– تقريباً كل حياتي ... إنه صديق قديم للأسرة غير أنه لا يأتي كثيراً إلى

"لندن" ... كما أن والده ووالدي كانا صديقين حميمين ...

فأخذت "كاترين دروموند" تتفحصها وقد أخفت هذا التفحص الحاد وراء ابتسامة وهي تقول :

وهل كنت موعودة له منذ زمن طويل يا عزيزتي ؟.. وهل تم تدبير ذلك على الطريقة الراقية لأهل "صقلية" ؟.. أو أنها خطبة منذ الطفولة ... أم أن اسميكما قد نقشا بالماس على زجاج نافذة المكتبة ؟!

– شيء من هذا القبيل ...

وكانت هذه الإجابة بمثابة تأييد هادئ من قبل "رومي" ... إذ إنه يصلح كترجمة للواقع مثله مثل أي شيء آخر ...

وعادت "كاترين" للتعليق .

– إنها لرومانسية رائعة ...

فأجابت "رومي" بحيوية ..

– نعم ... فزوجي رجل عاطفي للغاية .

– يبدو كذلك !!

قالت "كاترين" هذا ... وهي تتذوق الشراب بنوع من التقدير .. وقد كانت في أواخر العقد الخامس ... ولم تكن ممتلئة القوام بعد ... ولكن بدت آثار الجراحة على جلد وجهها المشدود ... ثم استرسلت :

ومع أنني لم أتصورك إطلاقاً من ذلك الطراز التقليدي العميق ، بل تخيلتك وأنت في هذه السن الصغيرة أن تكوني متمشية مع أحدث خطوط الموضة .. ولكنك احتفظت بخطيبك الوسيم الداكن البشرة يا "رومي" .

فحولت "رومي" بصرها بهاتين العينين الزرقاوين .. تجاه "جزافييه" وقد حجبت تعبيراتهما تلك الأهداب الكثيفة الجميلة .. وقالت :

– حسنا !! .. والآن يمكنك أن تشبعي عينيك بمرأه ...

ثم ابتسمت ببرود ... حيث كانت بالفعل معظم النساء في الغرفة يفعلن ذلك .. بل وكادت تحديقاتهن فيه أن تبتلعه ... فكم منهن حسدنها عليه .. وتقن إلى أن يكن في مكانها ... ولم يحجب ابتسامتها سوى حسها الحاد بتصاعد الأصوات

الهجائية ... ورددت في أعماقها ...

" آه لو كن يعلمن ! " ... ثم استدارت إلى إحدى النساء في المجموعة وقالت:

– لم تكن لدي الفرصة لأشكرك على الشمعدان الجميل يا "شيلا" إنه بالفعل النوع الذي أحبه ...

– أنا سعيدة لأنه أعجبك ...

هكذا أجابت "شيلا ديفز" التي كانت تكبرها بحوالي سنتين وكانت متألقة قليلا.. وهي امرأة شقراء وسيمة وكانت رفيقة اللعب أثناء طفولتهما .. كما كانت "شيلا" وزوجها من الأشخاص المعدودين الذين قدموا هدايا في هذا اليوم ... إذ إن "رومي" كانت قد أوضحت خلال الفترة القصيرة السابقة للزفاف ... بأنها لا ترغب في تلقي أي هدايا ... ولكن بعض المدعوين ... إما تجاهل رغبتها وإما اختلط عليهم الأمر فقدموا الهدايا ... وكانت "شيلا" إحدى هؤلاء... ثم استطردت قائلة :

– أعلم أنك تحبين فضيات "چورچيا" ... لذلك ... "ديفيد" وأنا ...

ثم أطالت في كلمتها .. وخفت صوتها حتى كاد يختفي .. إذ ظهر "جزافييه" إلى جانب "رومي" وهو يبتسم إليهم من خلال طوله الفارع ..ثم ردد بصوته الأجش العميق وكانت عيناه متجهتين إلى "شيلا" :

– شمعدان ... إذن فقد أصبحنا مدينين لك بهذا الشمعدان الفضي الظريف..

– إنها مجرد فكرة بسيطة ...

قالت "شيلا" ذلك ونفسها يكاد ينقطع ... ثم عدت حاجبيها وتوهجت تحت تأثير "جزافييه" واستطردت قائلة :

– لقد اختلط علينا الأمر في عدم رغبتكما الحصول على هدايا... ونرجو ألا نكون قد سببنا لكما أي حرج ...

وبكل ما أوتي من لطف ولباقة ... أخذ "جزافييه" يدها .. ورفعها إلى شفتيه وهو يقول :

– أرجوك ... إن هذه لأجمل وأكرم هدية ... ولا يسعني أنا وزوجتي إلا أن

نشكركما من الأعماق ...

فقالت "رومي" بنوع من الجفاء ... وهي ترقب "شيلا" من خلال عينيها اللتين كادتا أن تذوبا ووجنتيها إذ بدتا ترمزيتين .

– دعيني أقدمكما لباقي المدعوين ...

ومرت على الأسماء دون جلبة ... بل إنها في داخلها كانت تشعر بتسلية خاصة وهي تراقب المجموعات المختلفة من النساء ومدى رد فعل عيونهن لدى رؤية "جزافييه" ... والغريب في الأمر ... أن أكثر ما أثار تسليتها ... هي فكرة أنها كانت المرأة الوحيدة في هذه الغرفة التي لم تأبه لظرفه على الإطلاق ...أو على الأقل ... تتظاهر باللامبالاة !

ومنذ تلك المقابلة في "أثينيوم" كان لديها الوقت الكافي لتهذيب انفعالاتها ورعاية مشاعر الصداقة التي كونتها خلال لقاءاتها ... لقد اختارت الطريق ... وما عليها الآن إلا أن تتخلله ببصيرتها ودون ضعف ...

وقد نمت تلك المشاعر وأصبحت مثل لؤلؤة ... إذ بلغت ذروتها من خلال استعداداتها ... وكانت أولاها بعد ظهر اليوم ... حيث احتوتها في مظهر اللامبالاة... على هيئة برود وسكون ... وسألتها إحداهن :

– هل ستطيرين هذا المساء إلى "صقلية" ؟

– الساعة السادسة ...

ثم أومأت وقد شعرت بمعدتها تنقلب رأساً على عقب لمجرد سماع ذلك ... وبادرت "كاترين دروموند" بسؤال "جزافييه" :

– هل إلى قلعة الأسرة ؟

فرد "جزافييه" ببساطة :

– من الصعب اعتبارها قلعة ... بل إنها أقرب إلى منزل قديم للنزهة ... وإن كان في الواقع يحمل برجاً نورمانديا ...

فعقبت "كاترين" بقولها :

– يبدو أنه في عنوبة الرومانسية ... ولكن الآن ... مجمل الموضوع يبدو كأسطورة خيالية بالنسبة لنا .. نحن الإنجليز الأغبياء ...لقد أخبرتنا "رومي"

تواً عن خطبتها لك وهي طفلة ... وليس هناك مجال للشك!! إنسان يكون مثل هذه التدابير قد اختفى في القرن التاسع عشر ...

– بالفعل إنه كذلك !!

وبعينيه الرماديتين .. رمق "جزافييه" وجه "رومي" الذي انتشح بنقاب من السخرية ... ولكنه لم يؤيد أو ينكر موضوع الأسطورة لتستغله "كاترين" ... بل على العكس ... ابتسم في عينيها وقال :

– كيفما كانت التدابير ... فقد أنعمت علي بعروس صغيرة وجميلة ... وإنني لأشكر الأقدار التي وهبتني إياها ...

وشعرت "رومي" بأصابعه تضغط على ذراعها .. ثم تمتم بصوت أكثر انخفاضا وقال :

– هل تسمحين لي بكلمة على انفراد ؟

فاعتذرا للمجموعة ... ومشيا تجاه المدفأة حيث طقطقة احتراق الأخشاب مقابل الخريف الجليدي بالخارج ...

وكانت "رومي" منتبهة للعيون التي ترمقهما ... فنظرت إلى وجهه الملون الداكن وقد فرغ صبرها فسألته :

– ما الموضوع ؟

فأجابها بنعومة :

– لم تواتني الفرصة لأقول لك كم تبدين جميلة اليوم .

ومضت عيناه الرماديتان العاصفتان بنظرة قد تكون جنسية أو ربما خطرة... ثم قال :

– إنني متأكد أن كل رجل في الغرفة قد ثارت رغبته فيك .. مثلما حدث معي... أطبقت "رومي" فمها بشدة وهي تلعنه وتحاول إخفاء رد الفعل من تأثير هذا المديح ... ثم قالت :

– هل هذا هو السبب الذي ا نتحيت بي جانبا من أجله ؟

فأومأ وقال :

– جزئيا

www.elromancia.com

فحملقت في ذلك الوجه الرائع وقالت بخفة :

– إذن ... أرجوك أكمل ما عندك ... فهذا هو اليوم الأخير لي مع أصدقائي وأسرتي ...

كانت هناك بعض معاني الرضا على الأقل بعد أن رأت تعبير اللهو قدظهر على وجهه ...

فقال :

– حسن جداً ... بالنسبة للبقية ... فإن الجو يزداد سوءا .

فنظرت بلا شعور من خلال النافذة ، فالسماء تكاد تكون معدومة الرؤية بسبب الجليد المتساقط ... ثم استرسل :

– لقد تحدثت توا مع الرقابة الجوية في مطار "هيثرو" ... وكل الدلائل تشير إلى أن رحلتنا قد تلغى الليلة ... ولكن هناك أماكن مازالت متاحة على الرحلة التالية إلى "روما" ... وذلك في خلال ساعتين من الزمن .

– إنني لا أفهم ...

– يجب أن نذهب ... وإذا غادرنا الآن ... فسوف نلحق برحلة بعد الظهر ..

فنظرت إليه بتلك العينين الزرقاوين الغاضبتين وهي تشعر أن أعصابها قد تفلت...

ثم قالت :

– الآن ؟ هل تعني أن أنسحب بكل بساطة من الاستقبال؟

– البديل هو أن نبقى في هذا الجليد لبضعة أيام ... قد تمتد إلى أسبوع ...

ثم أشار إلى الخارج ... وأكمل ...

– ولا أستطيع تحمل ذلك ... لدي ارتباطات مهمة جداً لإنجازها يا "رومي" .

– وهذا .. أليس ضمن الارتباطات المهمة ؟

تقوست الخطوط حول بسمته الباردة وقال :

– لدي ممتلكات ينبغي أن أديرها في "صقلية" .. لقد تغيبت أكثر من ...

وأكملت هي بعد تردد ولكن بشيء من المرارة :

– ... أكثر من اللازم لتخرج من هذا الأمر بنهاية لا معنى لها ...

فهز كتفيه قائلا:

– كنت سأقول .. أطول مما توقعت ... ولكن ربما كانت النتيجة واحدة ..

فأجابت باختصار :

– إذن ! ربما ينبغي عليك أن تلحق برحلة بعد الظهر .. ثم ألحقك أنا بعد تحسن الجو ..

ضغط على أسنانه حتى بدت عظام صدغيه وذقنه كأنها نقوت بصورة تدل على رجولة فظة .. ثم قال :

– لا تكوني سخيفة

ثم انزعج ... وبدا عليه عدم الرضا ... مما صدمها، بل وكأنه صفعها واستطرد قائلا :

أنت الآن زوجتي ... وأينما أذهب ... تذهبي ...

– ولكني ...

فتألقت عيناه وهو يقول :

– لقد سبق وأن وافقت على الطاعة ... تتذكرين ذلك ؟ وهذه هي نقطة البداية يا حبيبتي ... أنا لم أنتح بك جانبا لمناقشة الوضع ... أنا أقول لك فقط إننا سنرحل الآن ... لقد حان الوقت لتعلني ذلك ..

توصلت "رومي" إلى أحد أعمدة الشمعدان الخشبي الكبير ... فأمسكت بالذراع وكأنها تستند إلى دعامة ... لقد كان يعني ما قاله ...

فتوتر صوتها وهي تقول :

– ولكن كيف أترك ضيوفي هكذا ... كلهم واقفون ... وبابا ... و"تيو" ...

فقاطعها "جزافييه" وكانت عيناه باردتين مثل برودة الجو بينما كان يحملق في عينيها وهو يقول :

– لقد أخبرت بالفعل والدك وشقيقك ... وهما يفهمان الموقف تماماً .. وكذلك سيكون الحال مع بقية ضيوفك .. والآن ما عليك إلا أن تعتذري لهم ... أو أن أقوم أنا بهذه المهمة ...

وكانت نظرته المحدقة الجليدية قد جعلت نظرتها متصلبة كالحديد .. وشعرت

www.elromancia.com

"رومي" أنها تميل حتى الانحناء ... فنظرت إلى وجهه لبضع ثوان ...

ولكنها لم تلمح فيه أي ضعف أو استسلام من خلال خطوطه العديدة ...

وأصبحت في حالة تدفعها إلى العراك حتى وصلت إلى درجة الغليان وهي تنوي أن ترد له الضربة ...

ولكنها لا تتصور أن يحدث مثل هذا أمام أسرتها وضيوفها ...فجزت على أسنانها لتبتلع كلمات الغضب التي كادت أن تطلق شرارتها ثم قالت بصوت خافت :

– كما تريد ...

ولو أنه تأمل امتيازاتها الأجنبية ولكنه لم يبد علامة على ذلك .

– جيد .. استعدي لصياغة جملة وهيا .

تبدد اللون من وجنتي "رومي" وكانت تعلم أن لونها قد بهت تماماً مثل فستانها و استدارت نحو الحجرة وبدأت تتكلم :

– أرجوكم جميعا أن تنصتوا ...

ولدى إتمام كلمتها ... تعالت أهات الإحباط ... وتناثرت التعليقات البذيئة من الضيوف الأصغر سناً ... ثم رأت والدها و "تيو" كليهما يحدقان فيها ... وعيونهما متماثلة تحمل نفس التعبيرات الحزينة .

كانا يتوقان لتزويجها من "جزافييه دي لوكا" ... حسب اعتقادها ...

ولكن ربما بدأ كل منهما يتحقق من أن الحل الذي توصلا إليه كان يعني في تصورهما فقدانها إلى الأبد ... ثم غمرها شعور بالإعياء حتى كادت أن يغمى عليها ...

ولم تشعر إلا بذراعي زوجها القويتين تحتويانها ... ولأول مرة تشعر بالامتنان لهذا الاحتكاك ... إذ شعرت فجأة بدوار وهبوط .

وتردد صوته في أرجاء الغرفة وقد بدت لهجته واضحة إذ قال :

– إنني اعتذر من الأعماق لاضطراري اصطحاب "رومي" بعيداً عنكم جميعاً، ولكنكم قطعاً تتصورون مدى اشتياقي لاحتوائها كلها لذاتي ...

فدوت الضحكات أكثر من ذي قبل ... وذهب "جزافييه" ليلقي كلمة

مختصرة... منمقة للشكر والوداع في آن واحد ... ولم تكن ساقاها لتحملانها من شدة الضعف ... بينما كان هو يرافقها لتصل إلى أسرتها ...

– عليك أن تسرعي ...

قال والدها ذلك بصوت منخفض ... بينما أخذ كلتا يديها ... ثم قبلها على وجنتيها ... وكانت تعلم أن هدوءه لم يكن سوى غطاء يخفي تحته عواطفه ... ومن الغريب أن يخطر على بالها فجأة ... وبلا وعي ... كم أن الإيطاليين بصفة عامة يتمتعون بالعواطف الجياشة ... وأن والدها من أكثر الناس الذين عرفتهم.. المنظمين جداً في حياتهم ... لذا قال لها :

– سوف نودع بعضنا فيما بعد يا ابنتي ... أما الآن ... فعليك بالاستعداد.... ولا تشغلي نفسك بموضوع الضيوف ... فسوف أتولاهم أنا و"تيو" ....

وكانت "لورا" تقبلها من وجنتيها حين سلمتها في يديها باقة الزهور التي كانت تحملها في الزفاف وقالت :

– هذه هي باقة الزهور يا حبيبتي ... لا تنسيها ... ولا تنسي أن تلقي بها إلى ... "العوانس" ...

– ياله من رجل ... سوف يكون لك زوجاً عظيما ...

قالت هذه الكلمات الأخيرة وهي تتنهد وتميل رأسها يمينا وشمالاً وكأنها تحلم... ولم تتنبه "رومي" إلى نفسها إلا وهي ترد عليها عن بعد ...

– لقد كانت ممارساته متعددة وهذه هي المرة الثانية في حياته يا "لورا"

وبينما كانت "رومي" تغادر الغرفة ... وسط التوديعات والتمنيات من عامة الموجودين ... كانت لا تكاد تعي ما تفعله أو تقوله .. إذ كثير جداً من الناس يرغب في تقبيلها أو لمسها معبراً عن تمنياته لها بالسعادة ... كما كان كثير من هذه الوجوه مألوفاً لديها ... وقد لا تراها مرة أخرى ... وكان "جزافييه" يقف في البهو الخارجي حين سألها بلا انفعال :

– هل لديك بعد الكثير لتضعيه في الحقائب ؟

فهزت رأسها بالنفي ... وكأنها ترتجف ... وقالت بكلمات متقطعة:

www.elromancia.com

– فقط ... فقط الحقيبة التي سوف أستعملها خلال هذا المساء ... أما الباقي فقد تم إعداده ...

– حسنا ... إذن اصعدي إلى أعلى لكي تستعدي ... فالسيارة الأجرة سوف تكون هنا بعد خمس دقائق ...

أمرها بذلك وهو يمسح بإبهامه دمعة تساقطت على خدها ...

أطاعته وهي شبه مخدرة وكأنما تشعر بالضياع أكثر من أي وقت مضى في حياتها ... وكان الوقت يجري بسرعة البرق ... حيث تساقطت آخر حبات الرمل من المزولة الزجاجية ...

ولم تتحمل توديع والدها وشقيقها ... ولم يوقفها عن الذوبان الكامل سوى وقوف "جزافييه" إلى جانبها وصلابة حضوره ...

وخرجت جموع الضيوف إلى الصقيع بالخارج حيث احتموا من ذلك البرد القارس تحت مظلة مدخل المنزل ... بينما تخلصت "رومي" من أحضان والدها وهرعت إلى السيارة المنتظرة دون أن ترى شيئاً من الصخب ... والأرز ... وقصاصات الورق الملون التي ألقيت عليها في هذه الأثناء ولم يكن لها مكان بين الجليد المتساقط بشدة ... وكادت تنسى أن تلقي بباقة الورد إلى صديقاتها ... إلى أن لمحتها إحداهن وكانت تعبيراتها مرضية ... فألقت إلى صدرها تلك الورود الرقيقة ... وكان "جزافييه" يساعد في ترتيب السيارة ...

وكانت هي تشير بالتحية من خلال نافذة السيارة .. وترسل بسماتها إلى والدها و"تيو" ... ولكن تساقط الجليد من جهه ... ودموعها من جهه أخرى قد جعل كل هذا يبدو وكأنها تراقصات الضوء على غشاوة عينيها ...

ثم انطلقت السيارة لتخرج من الممر الحجري أمام المنزل لتحملها بعيداً – وربما إلى الأبد– عن ذلك المنزل الذي أمضت فيه كل صباها .

* * *

وأخيراً ... لقد وصلا ...

شعرت "رومي" كأن قواها تخور ... فارتمت غارقة على أريكة منقوشة ذات غطاء مطرز ... وربضت داخل فرائها ... ثم أغمضت عينيها وكأنها لا تستوعب

هذا الواقع الذي جاء نتيجة للسفر ... والإرهاق .. والأماكن الجديدة التي مثلت جميعها نوعاً من الغشاوة على أحاسيسها ..

وكان عامل الجو قد سبب تأخيرات لا نهائية في هذه الرحلة ... فقد أمضيا ساعات طوالا من الصمت ... خلال انتظارهما في المطارات المختلفة ...

إلى أن تم تحويلهما بكل احترام ... من صالات الانتظار العامة ... إلى صالات الشخصيات المرموقة ... مما أدخل عليهما بعض التغيير ... أما "رومي" ... فقد اكتشفت أن الانتظار ... هو الانتظار ... سواء أكان على مقاعد من البلاستيك أم على الرياش الناعمة وسواء أكان المشروب هو القهوة أم كان من الشمبانيا الفرنسية الفاخرة ...

وإلى أن وصلا إلى "روما" ... كان موقف القائمين على خطوط الطيران تجاه "جزافييه" قد وصل إلى حد التذلل والخنوع ... إذ من الواضح أن اسمه وشهرته لهما وزنهما في الجمهورية الإيطالية.. وفي وقت ما ... كان يبدو استحالة خروجهما من "روما" ... وأنه ينبغي أن يمضيا ليلة زفافهما بفندق "هيلتون" هناك... ولكن الجليد كان قد خف لمدة نصف ساعة .. وهي مدة كافية لإقلاع الطائرة ... ومن خلال الضوء الخافت في كابينة الدرجة الأولى ... شعرت "رومي" بالنعاس يتغلب عليها ...

وكانت الساعة قد تعدت منتصف الليل لدى وصولهما إلى مطار "كاتانيا" في "صقلية" ... حيث كانت في انتظارهما – على باب الخروج مباشرة – سيارة "ليموزين" فضية ... اتسم سائقها بالحيوية والنشاط .. إذ وفر عليهما الخروج من خلال مبنى المطار إلى رصيف انتظار السيارات ... وبطريقة خفية فعالة وجدا حقائبهما على السير المتحرك .. وكانت أولى الحقائب التي ظهرت فحملها السائق ووضعها في "الليموزين" ... ثم انطلقوا مسرعين إلى الخارج ... بفخامة ودفء قبل وصول بقية المسافرين حتى إلى الموقف ...

وقد أخذت رحلتهما من المطار إلى المنزل ... حوالي ساعتين ... وحينئذ فقط.... أيقنا أنهما تركا الجليد خلفهما ... ولكن الليل كان داكناً إذ اختفت النجوم من السماء ... وكان الجو بارداً والرياح قوية كما لو أنها تستعد

لعاصفة...

وكان الفرق واضحا جداً بين الأناقة الإنجليزية في منزلها هي وبين ما هي فيه الآن ... حيث جلست في بهو واسع .. ظهرت في أخره نار مشتعلة في المدفأة الكبيرة والتي أعدت هكذا قبل وصولهما ... وكانت الحوائط متصلة بقواطع مجصصة حيث علقت عليها صفوف متراصة من الصور والتابلوهات شحب وأظلم بعضها بتأثير عامل الزمن... وكان كل شيء حولها يوحي، بل يعطى الإحساس بالانتماء إلى عصر أخر، ولم تفلت من شد انتباهها تلك الثريا البلورية الضخمة المعلقة في السقف ..والتي لم يتم تحويل إضاءتها من الشمع إلى الكهرباء ... وقد حملت ما يقرب من مائتي شمعة ..

وكان الأثاث كله يبدو عتيقاً ولكن لم يتم تجديده ليصبح مثل التحف كما في قصر "كنسنجتون" ... بل كان ضخما ومزخرفاً حتى إن بدا وقد فرض على مظهره الفخامة والعظمة ... وكانت "رومي" قد اغتسلت تواً في الحمام ذي الحوائط الرخامية... واللوازم من الذهب البراق ... وذلك التمثال المصنوع من المرمر وقد ابتسم لها ابتسامة مبهمة ..

كان هذا ... هو بيتها ... العديد من التفاصيل التي لا يمكن أن تستوعبها ... والكثير من الجمال والعظمة التي لا يمكن أن تثبت في ذهنها المرهق ...

- هل تريدين أن تأكلي ؟

فنظرت ببلادة إلى "جزافييه" الذي كان واقفا على رأسها ... وهزت رأسها قائلة :

- إنني لست جائعة ..

- إذن فلابد وأن تشربي شيئا ... تعالي بجانب المدفأة ...

فوقفت بإعياء وسارت معه بطول الغرفة حتى مكان المدفأة الضخمة ... وكان العديد من الخدم مشغولين بحمل حقائبهما إلى الدور العلوى ... وغيره ... وجاء أكبرهم سناً ... وهو رجل نو شعر رمادي ... ليضع صينية من الفضة تحمل المشروبات ... بجانب المدفأة ... ولدى اقتراب "جزافييه" ... انحنى هذا الرجل ليقبل يده ...

وقدمه "جزافييه" باسم "سيرجيو" ... وأنه كبير الخدم ... فعلمت "رومي" أنه شخص مهم في رعاية المنزل ... ورفعت وجهها بابتسامة عريضة لهذا الرجل الكبير في السن ... ثم تصورت في داخلها أنها كمن رجعت إلى الماضي مئات السنين ...

كانت شدة الحرارة النابعة من المدفأة الضخمة قد جعلت معطفها الفرائي شيئا لا لزوم له ... فساعدها "جزافييه" على خلعه ... وشعرت أن دفء النار المشتعلة تلعق جسدها البارد ... وسكب لها "جزافييه" كوباً من الشراب ... وتلامست أصابعهما وهو يمد لها الكوب ... ثم قال :

- في صحتك ! اشربي ... (إنها المرسالا) .

وعادة لم تكن "رومي" تتذوق المشروبات الثقيلة المحلاة ... ولكن في هذه اللحظة بالذات.. كان ذلك هو ما تريد بالضبط .. فعملت على نشر أصابع ملطفة تخللت أرجلها المرهقة .. ثم بقليل من التأوه ... غرقت في المقعد الجلدي ذي الأذرع الكبيرة ..

وأخذ "جزافييه" يرقبها بهدوء .. ثم قال :

- لابد وأن تكوني مرهقة ...

- نعم !

وتفحصته بعينين داكنتين ... ولم يكن يبدو عليه أية علامة على الإرهاق ... وهذا الوجه الوسيم ... الصارم ... لم يتغير ... بل ظل على تكوينه وصلابته تماما كما كان لحظة الزفاف ... أي قبل عدة ساعات ...

حتى التركيز في تعبيره ظل مكانه ... بينما أخذ ينظر إليها وهي تقول بشيء من الفتور :

- إنني لا أفهم كيف لا تكون أنت أيضاً مرهقا !

- إنني معتاد على مثل هذا السفر ...

ثم أعاد ملء كوبها ... فشربت "المرسالا" للمرة الثانية وكانت تجرعها مثل الدواء وتتنهد كلما شعرت بالشراب يسرى في أحشائها ... ثم سألته :

- لقد كان يوماً طويلاً ... ألا يمكن أن نذهب إلى الفراش الآن ؟

www.elromancia.com

فأومأ وأجاب :

– بعد لحظات ... إذ إنهم يفكون الأمتعة والحقائب في غرفة نومنا ...

– غرفة نومنا !

رددت هذه العبارة ورمقته بنظرة سريعة ... فإن هذا التعبير التضميني جعل عينيها الزرقاوين العميقتين تتسعان فجأة ...

فأجابها بصوت أجش وبطريقة ساخرة :

– لقد انتهت أيام النوم بمفردك يا "رومي" ... هل نسيت ؟

– لا !!

قالتها وهي تعض شفتها لتحول دون رجفتها ... فلقد كانت هناك محنة أخرى وأخيرة عليها أن تواجهها في هذا النهار الذي لانهاية له ... وهي في الواقع أقسى المحن بل وأصعبها ... وهي بالفعل الجزء الوحيد الذي كانت ترهبه بشدة...

ثم سألها :

– إنك لم تستمتعي بهذا اليوم ... أليس كذلك ؟

فنظرت إليه وهي تردد بجفاء :

– أستمتع ! وماذا كان فيه يدعو للاستمتاع ؟

فجلس على ذراع مقعدها المبطن بقماش ناعم ... ثم أجفلت عند ملامسة أصابعه الدافئة لصدغيها أثناء قوله :

– الزفاف ... الاستقبال ... إنها مسألة عادية جداً بالنسبة للمرأة وهي أن تستمتع بيوم زفافها ...

– إنك لخبير في مسألة الزفاف هذه ...

هكذا ردت عليه بالمثل .. ثم اتخذت من الشراب حجة لتدير وجهها عن ملاطفته...

ثم استرسلت :

– هل أنا خذلتك ؟

فأجاب والتألق واضح في عينيه :

– كان تصرفك أشبه بتصرف طفلة مدللة ... وأرجو ألا يكون هذا هو أسلوب استجابتك المعتاد ...

فقالت بصوت بارد :

– إنني على طبيعتي بكل بساطة ... وقد أنذرتك ألا تنتظر مني أي شيء مختلف ...

فابتسم ابتسامة خفيفة وقال :

– لقد كنت عروساً جميلة على أي الحالات ...

ثم تناولت ما بقي بالكوب عن آخره واسترسلت :

– إنني سعيدة لأنني على الأقل أعجبتك ... وماذا عنك أنت ... هل استمتعت بيومك ؟

فأجاب بنعومة :

– إنني أمل أن يتحسن ...

فنظرت إلى أسفل ... وجعلت الكوب الفارغ يتدلي بين أصابعها مثل الوردة الذابلة ...

وقد تجمعت نقطة كبيرة من الشراب على حافة الكوب ... وبينما "جزافييه" يتابع عينيها .. لحق بالكوب وجمع على أحد أصابعه تلك النقطة من الشراب .. ثم حملها إلى فمها ... وأغلقت "رومي" عينيها لدى ملامسة إصبعه لشفتها السفلى وملاطفته الناعمة... ثم قال بنعومة ...

– بكل تأكيد ... لا يمكن أن يكون لديك أي خوف من جهة سرير الزواج مثل العذارى.

فأجابت بصوت يكاد يكون مسموعاً :

– كلا ... ليست لدي أي مخاوف ...

وكان الشراب قد ترك آثاراً سكرية على شفتيها ... ولكنها بدأت ترتجف كما كانت ضربات قلبها قوية وكأنها تدق في أذنيها .. فلم تشعر في حياتها بعدم الاستعداد مثلما هو الآن ... حتى وإن كانت في الواقع قد جربت الحب ومارست الجنس وهي في تلك السن الصغيرة ... فلم يقلل ذلك من إحساسها

www.elromancia.com

بالأذى الوشيك الحدوث نتيجة الخضوع لممارسته الجنس معها ...

فما كان منها إلا أن وضعت الكوب ... ولوت أصابعها وهي تقول :

– هيا إذن نضع حداً لهذا ...

فوقف .. وهو طويل وفارع وفتح ذراعيه ليحتضنها كنوع من الموافقة على ما تقول

– نعم !! هيا بنا نضع حداً لهذا ...

استندت إليه حتى وقفت على قدميها وجعلته يدلها على السلم المظلم المتسع... وفي غرفة النوم ... كانت هناك مدفأة أخرى مشتعلة تبعث بإضاءة كافية وتوهج متقطع ... ليكشف عن أربعة ملصقات عريضة حول السرير ... ولم تكن بالحجرة إضاءة أخرى غير هذه ... ومن خلال الظلام ... استطاعت "رومي" أن ترى الزهور الموضوعة في كل مكان والتي يفوح عبيرها في الهواء...

وكان بعض الخدم قد أفرغ حقيبتها ... حيث وضع طاقم النوم الناصع البياض على الجانب الأيسر من السرير .. وكذلك وضع فرشاة شعرها وأدوات زينتها على التسريحة .. ولم ينس وضع الشبشب المصنوع من جلد الغزال .. على الأرض بالجانب الخاص بها من السرير ...

أما "جزافييه" فقد قذف بمعطفه على الكرسي وجاء إليها ... فوقفت دون حراك بينما أحاطها بذراعيه فشعرت بحرارة جسده تقترب منها ... وشذاه يحتويها .

ولبضع دقائق ... أمسك بها في بساطة تامة وأخذ يلاطفها ببطء وهو يحاول أن يخفف من ضغط عضلات أصابعه العابثة ...

ثم همس لها قائلا :

– أنت زوجتي يا "رومي" ... أخيراً أصبحت ملكي ... لقد انتظرت هذه اللحظة منذ زمن طويل ... طويل ...

أخذ فمه يبحث عن فمها ... شفتاه دافئتان وشرهتان .. وكانت قبلته مشحونة بالعواطف ... أما "رومي" فقد ظلت جامدة لا تبذل أي مجهود لمجرد

الاستجابة.. ولماذا تدعي العاطفة إذا كانت لا تشعر بها ... كان جلدها بارداً مثل الرخام ... ولكنها اضطرت أن تستسلم لرغبته بشفاه باردة حتى أغلقت عينيها ... بينما تدلت ذراعاها إلى جانبيها ... ولم تتحرك من مكانها لتحتضنه... فدفعته بذلك إلى تقبيلها بوحشية وغضب نتيجة لعدم الاستجابة ... واضطر أخيراً إلى إبعادها ...

ثم اندفع بسؤال جامح :

– ما هذا !! هل أنت امرأة مصنوعة من حجر ؟

فأجابت بالمثل وانطلقت :

– ما المفروض علي أن أفعله ... أتملق وأقبل يد سيدي .. مثلما فعل الخدم ؟

– بل باستطاعتك على الأقل التصرف مثل أي امرأة ...

فأجابته بصوت خافت :

– إنني مازلت أحذرك من عدم الخوض في التهيؤات فلماذا لا تصغي إلي ! لقد عرفتك من خلال حديثنا في الفندق ما سوف تحصل عليه ...

– نعم ! علمت بما سوف أحصل عليه ... وربما أكون قد أخطأت في تقربي منك!

تحرك "جزافييه" إليها مرة أخرى .. واقتحم شعرها بأصابعه وجذب وجهها بعنف إلى وجهه ... فإذا بها تلهث من صدمة مفاجأتها بهذا العنف ...

وإذ به يطبق بفمه المغلق على فمها ... في قبلة لم تكن تعني سوى رغبة وحشية في ممارسة الجنس ..

هذه القبلة رغم عنفها وخشونتها .. قد اتسمت بشيء من الرقي ... وحركت شيئاً ما داخل "رومي" بل وحثت عواطفها على الاستجابة ...

ثم شعرت بنار تتأجج في جسدها .. فالتصقت وقتيا به ووضعت يدها على صدره كأنها تتحسس ضربات قلبه ... وإذا بها تشعر بالإرهاق يزول عنها لتحل مكانه حرارة متدفقة ... فقد اشتعلت القبلة لبضع ثوان كمن فتح باباً لفرن ...

وما أنقذها سريعاً إلا إدراكها الذاتي ... فثارت على نفسها أكثر مما قد

تثور عليه و دفعته بعيداً بعنف فتمسكت أصابعه بشعرها ...

– لا تفعل ...

قالتها بشراسة ... ولكنه كان قد شعر بلحظات استجابتها ... فكانت ابتسامة شبيهة بالدخان قد ارتسمت على فمه ... فقال برفق :

– إنك تستمتعين بهذا ...

– كلا !!

– بل نعم ! وهل هذه هي الطريقة التي تمتعك .. بالعنف وبالقوة ؟

فأجابته "رومي" وقد بهت وجهها ولم يبق فيه من ألوان سوى زرقة عينيها الداكنة واحمرار فمها المحموم :

– إنني لا أريد أية متعة على الإطلاق !! إنه مجرد تخيل ويمكننا الاستغناء عنه يا "جزافيه" ...

فسألها وهو يخفض حاجبيه :

– إذن .. هل تصرين أن تكون علاقتنا عدائية ؟

فأجابت عليه بالمثل :

– إنني أرفض الادعاء ... لقد أبقيت والدي فدية إلى أن تنالني ..وقد استعملت أكثر أنواع الابتزاز وحشية ..وقد مثلت دور المشاعر الطيبة على أسرتي ... لتجبرني على الموافقة ... ولو لم أجارك ... لكنت انتهيت بالحصول علي وعلى نصف الشركة أيضاً .

ثم توهجت عيناها بالازدراء واستطردت :

– هل غرورك يتطلب مني الادعاء بأنني سوف أستمتع بأي شيء مما قلته ؟

– إنك تشوهين الواقع ... فلم يكن هناك أي شيء يتعلق بفدية أو ابتزاز !

– هكذا بدالي الوضع .. وعلى العموم .. ألا تكفي موافقتي على إنجاز الصفقة فيما يتعلق بجانبي .. دون أي اعتراض ؟

– دون أي اعتراض ؟

كرر الجمله بنعومة ثم استرسل :

– إذن ... بماذا باللطف والكياسة ؟ أم بالخضوع والرضا ؟

– بأي شيء ترغبه !

– أي شيء أرغبه ... ما عدا الإرادة ...

وكانت شعرتان أو ثلاثا من رأسها قد التفت حول أصابعه .. فانتزعها وهو يسترسل في الكلام وكان صوته مفعما بالسخرية :

– ولكن رغبة الجنس عند الذكر شيء غريب يا "رومي" ...

إنها تعتمد على شيء أكبر من إرادة المرأة ... تستطيعين أن تسميه غروراً... إذا شئت ... وكذلك على شيء أقوى من الخضوع ينبغي أن يتواجد ... على الأقل .. بعض الدلالة على الرغبة ... فلا يستطيع أي رجل أن يستمتع بعلاقة جنسية مع امرأة يعرف أنها لا ترغبه .

فأجابت "رومي" بعدم اكتراث :

– إنني لا أصدق هذا ... فالرجال يذهبون إلى الساقطات حتى لو علموا يقينا أن هؤلاء النسوة لا يرغبنهم !!

فماتت الابتسامة على شفتيه ... ونثر الاستياء ثلجا في عينيه ... عندما قال:

– ساقطات !! على الأقل احترسي إذن من الادعاء !!

وعلى أي الحالات ... إنني أتكلم عن العلاقة الغرامية وليس عن العلاقة الجنسية الحيوانية .

واندفعت بالكلام قائلة :

– ولكنني أتكلم عن العلاقة الجنسية الحيوانية ... وليست الغرامية ...

ثم اعتصر وجهها الجميل وهي تسترسل قائلة :

– لقد اتفقت على الأولى وليست الأخيرة ... ثم لماذا كل هذا الاهتمام ، من الواضح أنك لست رقيقاً للغاية في أذواقك .

– وما المفروض أن يعني هذا الكلام ؟

– أوه ! هيا ! هيا ! ... إن لديك عدداً من النساء أكثر مما تشتهي .. ولا تنس أن غرامياتك معروفة جداً يا "جزافيه" .

أجاب بمثل ما قالت حيث أطبق على شفتيه :

– ومن المؤكد أن ذوقك أيضاً ليس رقيقاً ... لقد قابلت "بول مورتيمر" قبل

www.elromancia.com

الزفاف ... وهل هذا التمثال القصير المبتذل هو حقيقة المثالي بالنسبة لك في الرجولة؟

فغضبت وقالت :

– إنه يتمتع بالحساسية على أي الحالات .

أفحمها "جزافييه" قائلا :

– حساسية لخيانة امرأتين في آن واحد ... وكيف أمكنك أن تمنحي نفسك لحشرة حقيرة مثل هذا .

فأجابت بسخرية :

– أرجوك ... إن الغيرة البدائية لأهل "صقلية" بدأت تظهر عليك يا "سنيور".. وأنا لاأسألك إلا القليل من الدبلوماسية ..

– دبلوماسية !!

– كان باستطاعتك أن تكون ألطف لو أنك ... انتظرت حتى أستقر...

لوقت قصير قبل ... أن تطالب بحقوقك ... وربما يكون فهم الرجل أفضل إذا اتسم بالحساسية .

قالت هذا وكانت نبراتها تعبر عن مزيج من خيبة الأمل والألم أيضاً .. فهز كتفيه بعنف ... وكأنه لم يأخذ فكرتها في الاعتبار ثم قال :

– أنت زوجتي الآن يا "رومي" ولم تعودي بعد عشيقة "بول مورتيمر" ... ويبدو لي أنه كلما أسرعنا في بدء حياتنا كحياة زوجية طبيعية يكون أفضل لكلينا .

فأجابته بابتسامة مبهمة لتخفي إحباطها لأن آمالها بدأت تتحطم :

– "طبيعية" أنت تعجبك هذه الكلمة ... أليس كذلك ؟ ولكن لا شيء يبدو طبيعياً في هذه الزيجة ، فلماذا تصر على المحاولة وتدعي أن هناك شيئا طبيعيا ...

فأجاب بعنف وبذات المعنى :

– لا شيء يبدو طبيعيا في أي وجه من أوجه الحياة ... وكل ما ليس رمادياً أو مسطحا فليس بالشيء الطبيعي ...

فقالت بسخرية ولا مبالاة :

– لقد أيقنت منذ زمن بعيد أنه ليس لك اهتمام حقيقي بي ... وهذه مضيعة

لوقتك أن تتظاهر بأنك تحمل لي مشاعر غير ذلك .

واستدارت بعيداً كمن تحتضن نفسها واستطردت :

– ولكنني لن أتراجع عن نصيبي في الصفقة ... وإذا كنت تريد التأكد من امتلاكك لي بهذه الصورة المسلحة ... فسوف أكون من الآن فصاعداً ... رهن إشارتك ... لقد اشتريتني هذا الصباح ... أتتذكر هذا ؟

فأجابها بحدة :

– لا تتكلمي بهذا الأسلوب ...

ثم تحدته قائلة :

– ولم لا ؟ إنه أفضل من الكلام عن الساقطات والمحبة ... ومع ذلك .. لاتشغل بالك ... الليلة يمكنك أن تفعل بي ما تشاء ... ولن أمنعك ...

وفجأة تنبهت إلى الغضب الذي يعتريه وهو يقول :

– أنت أيتها المتعجرفة الصغيرة الـ ...

(ولحسن الحظ لم يكمل الجملة) إذ استطرد :

– هل تظنين حقيقة أنك مرغوبة بهذه الدرجة الساحقة ؟

– إنك لا تفهم ...

ثم تداعت إذ أخذت على حين غرة نتيجة لعنفه ...

وكان هو قد قاطعها بحدة قائلاً :

– لقد كنت مرغوبة من قبل شخص واحد ... الآن تتصورين أنك شبه ملكة .. فمن أنت ... وماذا تظنين بنفسك حتى تعامليني بمثل هذه الوقاحة ...؟

وكانت ترتجف حين قالت :

– إنني أريد ببساطة ...

فاستدار عنها وقد قاطعها بصوت جاف قائلا :

– من أجل الشفقة ... وبحق السماء ... كفي عن هذا النقاش .. اخلعي ملابسك واذهبي إلى السرير ... فليس في نيتي أن أجبرك على شيء لاترغبينه ...

فثابرت إلى أن جف حلقها وهي تقول :

– إنني أريد فقط أن أجعل الأمور تستقيم بيننا .

فأمرها بفظاظة :

- افعلي ما أقول ... كل شيء مستقيم بما فيه الكفاية ... وأرجوك لاداعي للزيادة في الكلام ... فقد قلت كل ما ينبغي سماعه الليلة ..

وكان في هذه الأثناء قد بدأ يخلع قميصه بعنف شديد حتى اعتقدت أنه يتمزق وعلقه بعيداً وهو يسير تجاه الحمام .. فلمحت جزءا من ظهره الرائع وقد ظهرت عضلاته في الضوء وذلك قبل أن تغلق الباب وراءه .. ثم كانت وحدها ... اعتراها الخجل للحظة ما ... فالواقع أنها لم تكن عليها أن تعزز العلاقة الجنسية وهذا مما جعلها تشعر ببعض الرضا الآن ...

ولكن هي أيضاً .. لقد اعتصرت لتحول دون تطويل أية أحاسيس ... وقد ولت أسابيع التوتر ... فأخذت تخلع ملابسها وهي شبه مخدرة ... وألقت بشعورها بعيداً ... فقد فضلت الأحلام المخدرة على أي انفعال أو عاطفة أخرى يمكن أن تشعر بها الليلة . كانت أغطية السرير باردة . وعندما رقدت واحتكت وجنتها بالليفوه الأملس ... شعرت بشعور غريب للغاية كأنها تقع ببطء دون توقف في الأعماق المظلمة ...

كان النعاس يغلبها ... وعقلها يندفع نحو أفكار منفصلة ... بينما شعرت بـ"جزافييه" ينزلق بجانبها في الفراش ... لم يلمس جسده جسدها ...

ولم يحرك ساكنا للتوصل إليها .. وكذلك فعلت هي أيضاً ... فلم تكن هذه الليلة مهيأة لأي علاقة جنسية ... لقد غمرها الإرهاق ... وعندما أغلقت جفونها المرهقة مرة أخرى لم ترسوى وجهي والدها و "تيو" ... ولكن لقد مر كل الماضي من ورائها الآن .. ولم يتبق إلا هذا الحاضر القريب مع هذا الشخص الغريب الداكن ...

ولم تطرأ على "رومي" أية مشاعر أخرى ... وهذا ما كانت تنتظره ... لتنزلق إلى ذلك الجحيم الأسود ...

الفصل الرابع

استيقظت "رومي" وحدها ... وكان الهواء قد اختلط بعبير الزهور ... وكذلك برائحة النار التي انطفأت وراء قضبان المدفأة ... ثم تثاءبت وتدحرجت إلى حافة السرير لتجلس باستقامة ... ومرت بأصابعها تتخلل خصلات شعرها الأسود وهي تشعر أنها لابد تبدو فظيعة تماماً هذا الصباح ...

وبعدما حدث بالأمس ... فلن يكون هذا مفاجأة ...

من الواضح أن "جزافييه" قد استيقظ عدة ساعات قبلها ... ولازال الفراش يحمل انطباع جسده بجانبها ... وفنجان القهوة الفارغ قد وضع على المنضدة الصغيرة الملحقة بالسرير ... فعادت بتفكيرها إلى الليلة السابقة وبدت أحداثها الآن مثل الحلم وليست واقعية ... ثم كشرت ... فقد توقعت أن ينالها في الليل... ويملي إرادته عليها ... سواء بكت أم لا...

ولكنه لم يفعل ... وبنظرة مخالفة ... أيقنت أنها أخطأت في عدم الخوض في الموضوع والانتهاء منه ... حيث إنها بهذه الطريقة لن تعود إلى التفكير في نفس الأحداث هذه الليلة أيضاً ...

وفي ضوء الصباح الباهت ... رأت "رومي" غرفة النوم بصورة أوضح ...إذ كانت مزينة بظلال جميلة باللون القرمزي الفاتح ... إنها غرفة ظريفة ... بها ثلاث نوافذ مقوسة ... على كل من الحوائط الجانبية التي تم تقسيمها إلى نسب تدل على الفخامة وتدعمت بأفخم المختارات من التحف القيمة ... وكان أحدهم قد رتب الزهور في الأواني ... حيث انتشرت في أرجاء الغرفة بمختلف ألوانها ... منها الأبيض والأحمر وغيره ... وقد كان عبيرها هو الذي جعل هواء الغرفة منعشاً ...

وصلت إلى مسامعها أصوات الخدم ... عن بعد ... من خلف الباب المصنوع من خشب البلوط ... وإذا كانت الساعة الذهبية الجميلة الموضوعة على رف المدفأة ... موضع ثقة ... فإنها تشير إلى العاشرة وخمس دقائق ... ثم وقفت.. وسارت إلى النافذة الوسطى بجانبها ... واتكأت على حافتها ...وأخذت

تتفحص ما حولها وكل ما هو جديد عليها تحت النافذة من الخارج... كانت هناك حديقة ورد محاطة بسياج من شجيرات صغيرة متعانقة ... وعلى اليسار كانت هناك الإسطبلات وبنايات أخرى تبدو كأنها مستندة إلى صف طويل من الأشجار الدائمة الخضرة ... وكانت حوائط هذه البنايات بألوان الخوخ والكريم الباهت ... أما الأسقف فقد كانت مكسوة ببلاط برتقالي محروق ... وظهر كذلك جانب من التل الذي يحمل أشجار الزيتون وكأنه منحدر أقحم في المسافة المتوسطة .. وقد انفصل عن الصفوف المتراصة من أشجار الكروم بوسطه صف آخر من أشجار الصنوبر الفضية . كما رأت بعض الأغنام ترعى تحت الشجر ... وظهرت بينها الرؤوس البنية للخيول التي زاد عددها على العشرة .

رأت على مسافة أبعد بقليل قرية صغيرة بها اثنا عشر بيتاً ريفياً ... وكان الدخان يتصاعد من مداخنها ... هذه المساكن كانت أيضاً تحمل طابع سكان حوض البحر المتوسط ... وقد دلت نوافذها وأبوابها المطلية باللون الأخضر على حقيقتها وأنها أبعد ما تكون عن التهدم ... هذه القرية ... أحيطت بحقول من القمح والكروم التي انتشرت في كل ناحية ... ثم رأت شاحنة محملة ببالات من القش تسير على طريق بعيد ... ثبت أنه يتوسط المكان ما بين القرية والبحر من ورائه ...

وقد كانت المسافة لا تزيد على الميل حيث بدت هذه الرقعة الزرقاء تحت سماء ملبدة بالغيوم ... ونظرت "رومي" من خلف كتفها ... ورأت من خلال صفوف النوافذ ... غابة من شجر البلوط ثم صفاً من الصخور الجبلية ... إذن هذا المنزل بموقعه هذا يتوسط التلال والبحر ...

وفي هذه اللحظة .. طرأ في خاطرها ... أنها مستعدة أن تتنازل عن كل هذا الجمال الغريب عليها ... مقابل نفس واحد تتنفسه من هواء "لندن" أو نظرة عابرة على شوارع "لندن" المكتظة ... أو كلمة واحدة تسمعها من أبيها ...

وبينما هي غارقة في كآبة تفكيرها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب أيقظها من لحظة الكآبة هذه ... ودخلت الخادمة إلى الغرفة وهي ترتدي الزي الموحد ذي اللونين (الأبيض والأسود) وعلى وجهها تعبير الوقار ... وقالت :

- اسمي "كونشتا" ... يابارونة .. (ثم طوت يديها بحياء) واسترسلت :

- طلب مني سيدي أن أكون تحت أمرك من الآن فصاعداً ..فهل ترغب البارونة في الاستحمام ؟

أومأت "رومي" وهي تحاول أن تستنبط معنى كلامها ... ثم ردت:

- نعم ... أحب ذلك .

- هل ترغبين في شيء من زيت الحمام .

- هذا جميل ... وربما استطعت مساعدتي في غسل رأسي أولاً ... فقد تشعث شعري وتكتل في الليلة الماضية ..

- بالتأكيد يا بارونة ..

كانت الخادمة قد استدارت بالفعل متجهة إلى الحمام كي تعده وتفتح الصنابير حتى امتلأ (البانيو) بالمياه الساخنة فتصاعدت الأبخرة وبعثت برائحة الزنبق الزكية من صابون الحمام السائل ...

ثم استدارت إلى "رومي" وهي تفتح الصوان وتسألها محذرة :

- ماذا تلبسين اليوم ؟ إن الجو بارد ... فقد ذهب الدفء .

فنظرت "رومي" إلى الصفوف المتراصة من ملابسها وقالت :

- أوه الجونلة الرمادية مع أي بلوزة ... وعليهما چاكيت كاشمير...

وبطريقة فعالة ... كانت الخادمة تخرج الملابس من الصوان وتحاول اختيار چاكيت بلون يناسب الجونلة ... ثم طرحت ثلاثة أو أربعة منها حتى تترك لـ"رومي" حرية اختيار ما تريده ... وكانت هذه الخادمة من سن "رومي" تقريبا.. وربما كانت تخدم زوجة "جزافييه" الأولى بنفس الطريقة ، ثم أبعدت "رومي" هذه الفكرة من رأسها ... إذ إن "كونشتا" في ذلك الوقت كانت أصغر من أن تقوم بمثل هذا العمل ... ومن الواضح أنها لم تكتسب مثل هذه الخبرة إلا خلال السنوات الأخيرة بعد ترك "إيفا" للمنزل ... ومن خلال خدمة العشيقات المتتاليات ...

فتأملت الفكرة بشيء من المرارة ... وأيقنت "رومي" أنه نظراً لحساسية الموقف ... ينبغي عليها أن تعتاد على الوضع ككل بأسرع ما يمكن ، ومن

الواضح أنه لم يبق مجال لعودتها إلى موطنها الآن ...

التفت "رومي" بالمناشف وجلست أمام (البانيو) ... بينما أخذت "كونشتا" تبلل شعرها الأسود وتغسله وهي تدلك رأسها بالشامبو ... فعمت "رومي" رائحة النظافة مثل أريج الصيف ...

ثم قالت "رومي" وهي تشم رائحة مثل رائحة التوابل :

- هذا الشامبو رائحته طريفة ...

فأومأت "كونشتا" وهي تجيب :

- إنه يحتوي على عدة زيوت منها ... الورد والغل و ... وهو بالفعل جيد جداً ويصلح بالأكثر للشعر الأسود مثل شعرك ...

وبما أن "رومي" بكل الفخامة قد خضعت لـ"كونشتا" كي تغسل لها شعرها ... فقد استرسلت هذه الأخيرة في سرد الأحاديث مقتنعة تماماً أن سيدتها الآن في مزاج يسمح لها بالاستماع وتبادل الحديث ...

ولكن لهجة أهل "صقلية" التي كانت تتحدث بها تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة الإيطالية التقليدية ... وكانت "رومي" قد تعلمتها في "لندن" ... فرغم بعض الصعوبات التي واجهتها في الفهم ... استطاعت أن تتابع معظم الحديث...

واسترسلت "كونشتا" تروي لها ...

إن القرية تسمى باسم "لوكا" ... إذن فهو اسم أسرة "جزافييه" ... وأن الأسرة تملك القرية بكاملها ...

نعم ... ملكية خاصة ... وأن كل الأراضي التي حولها ... وعلى بعد أميال من الأراضي الشاسعة ... كانت جزءا من ممتلكات الأسرة ... وكانت معظمها أراضي زراعية ... تضم فيما بينها أكبر مزارع للكروم في "صقلية" ...

إذن .. فإن "جزافييه" هنا في الوقت الحالي ... حيث يدير ويراقب تلك الممتلكات الضخمة .. ليرى إذا كان كل شيء قد التزم بالنظام المتبع في فترة غيابه عنها...

أما عن المنزل الذي أسمته "البلاتزو" (القصر) فهو يرجع إلى القرن

التاسع...

وكانت في الواقع غرفة نوم السيد وكذلك هذا الحمام يقعان في البرج الذي أضيف في العصر النورماندي ... تلك النوافذ ذات الرؤوس المقوسة ترجع أيضاً إلى ذلك الوقت ... وقد أقيمت فيه العديد من الحفلات الراقصة والسهرات الراقية .. غير أنها قلت منذ الطلاق .

ثم سكتت "كونشتا" لبرهة بعد قولها هذا الكلام كما كانت تتساءل إذا كان من غير اللائق أن تتطرق لهذا الموضوع ...

واسترخت "رومي" وكأنها تحلم ... ثم فتحت عينيها ببطء ... وأخذت تفكر في تلك المرأة الأخرى ... وتمنت لو أن ليلة زفاف "إيڤا دي لوكا" في ذاك الوقت كانت تبشر بالنجاح أكثر من ليلتها هي ...

ثم علقت قائلة :

- على ما يبدو فقد كانت مضيفة جيدة ... إنني اتصور ذلك !!

واستمرت "كونشتا" تدلك شعر "رومي" بخفة ... حين قالت :

- أوه : نعم يا سنيورا ... "إيڤا" كانت تحب استقبال الناس هنا.. وكانت دائما تقيم الحفلات الكبيرة الراقصة .. كما كانت تعرف كيف تكرم ضيوفها... ثم إنها كانت امرأة مرحة دائمة الضحك ...

فردت "رومي" بشيء من الجفاء :

- يبدو أنها كانت امرأة فاتنة ... خسارة أنني لم أتعلم منها دروساً ...

- ولكنني متأكدة أنك سوف ترينها قريباً ...

وإذ كانت "كونشتا" تؤكد هذا الكلام ... فقد فاتها أن تلمح الأسلوب الساخر في نبرات سيدتها ... ثم استرسلت :

- السنيورة "إيڤا" تملك فيللا على شاطئ "لياري" ... والمسافة لا تبعد سوى بضع ساعات عن طريق الأوتوستراد ... كما أنها كثيراً ما تتقابل مع السيد...

فكررت "رومي" الكلمة بصوت خفيض بارد :

- كثيراً !!

- نعم .. ففي الواقع أنهما ليسا بأعداء كأني زوجين مطلقين ... إذ إن

www.elromancia.com

التقارب ظل كبيراً بينهما ...

– "إذن : لماذا تم الطلاق" ؟

لم تستطع الحيلولة دون تصاعد هذا التساؤل السخيف إلى عقلها ... هل كان هناك شخص آخر ... أم كانت له هو علاقات غرامية أخرى ؟

ولكن هذه ... ليست بالأسئلة التي يمكن أن تطرحها على الخادمة...أحنت، "رومي" رقبتها لتجعل "كونشتا" تزيل لها ذلك الصابون الكثيف في شعرها ... وحتى تهضم ما سمعته في صمت ... ثم عصرت الخادمة الماء الزائد من شعرها ولفت رأسها جيداً بالمنشفة واستأذنت قائلة :

– سنيورة ... بينما تأخذين حمامك ... سوف أذهب لأرتب الفراش ...

وظل شعرها ملفوفاً بالمنشفة كمثل الشرنقة البيضاء.. إلى أن دخلت "رومي" في (البانيو) وهي تلهث من سخونة المياه المعطرة ... وما إن تعود جسمها على تلك الحرارة حتى تنهدت .

وأخذت تردد في أعماقها :

– إنهما ليسا بأعداء كأي زوجين مطلقين ... إذ إن التقارب ظل كبيراً بينهما ... هناك شيء عن هذه الفكرة يبدو غير مستساغ ..

فذلك الصوت الذي تردد في أعماقها وأوحى لها بأنها سوف تقابل سنيورة "إيفا" في المستقبل القريب ... وأن المواجهة لن تكون سهلة ... وقد فكرها أيضاً بالمشاكل التي قد تطرأ ... ولكنها ليست مشاكل من هذا النوع ... فالتواجد مع زوجها شيء ... أما المنافسة مع امرأة مثل "إيفا شيمل" الزوجة السابقة التي تشكل جانباً من الصفقة فهو شيء مختلف تماماً ...

"منافسة ؟ ... ممن تسخرين ؟ لا يمكن أن يكون هناك أي نوع من المنافسة... إن "إيفا" تعرفت على "جزافييه" لسنوات وسنوات وكانت علاقتها به قد استقرت وكانت لها أعماقها واتسمت بالألفة الشديدة التي لم تكن لتتواجد إلا بمرور الوقت ... وأما الدخيلة فكانت "رومي" لقد بدأ هذا الزواج وهو يحمل من العوائق أكثر مما تصورت لكيفية التعامل معها ...

اغتسلت "رومي" ووقفت لتجفف جسدها بعد الحمام ... فعكست المرآة

المواجهة لهذا الجسد بعض التفاصيل التي تنم عن مدى الجمال والرشاقة...فهذا القوس الرقيق الحامل لعظام الترقوة قد أحاط برقبة نحيلة حملت هي الأخرى وجها ... حباه الله من الجمال غايته ومن الذكاء منتهاه ...

ومع هذا ... ففي الوقت الراهن ... لم يكن جمالها ليواسي مشاعرها ... فالتقطت الروب الذهبي الباهت لتستر هذا الجسد ... ولتخرج من الحمام وهي مفعمة بالأفكار ... لماذا لم تعد "إيفا" إلى " ألمانيا " ؟ ولماذا تقيم حتى الآن في "صقلية" ... على بعد بضع ساعات بسيارة "جزافييه" ؟

وإذ تنبهت لوجود شخص آخر ... استدارت وهي تضحك بخفة.. وتجر الروب حول جسدها وهي تقول :

– أنا آسفة يا "كونشتا" ... كنت توا أفكر ...

ولكنها لم تكن الخادمة ... بل كان زوجها ...

فماتت الكلمات على شفتيها عندما اصطدمت بعيني "جزافييه" ولم تكن قد ربطت حزام الروب ... فأسرعت بعمل ذلك لتستر جسدها .. ثم اندفعت تقول بحرارة وهي تتمنى ألا يكون قد رآها كذلك :

– جرت العادة أن يطرق الباب !!

– ليس في منزلي !!

قال ذلك وهو يقترب من "رومي" ... ويرفع عن حاجبها خصلة من الشعر حجبت مرآها ... وأخذ بنظرة ثاقبة يتفقد وجهها بلا رحمة ... ثم بدأ يتحدث وكان صوته الأجش قد تحول إلى نعومة بالغة وهو يقول :

– كنت أتأمل وجهك هذا الصباح عندما كنت نائمة ... وقد أيقنت أنني فعلا حصلت على جائزة جميلة ... وقد أثبت توا هذا الانطباع ... لم تنطق بكلمة ... بل بدت وجنتاها وكأنهما تحترقان وكانت عيناها كأنهما تقدحان شررا ...

فأخذ ذقنها ورفع وجهها إلى وجهه وهو يقول :

– انظري إلي يا "رومي" ...

فوجدت نفسها تحدق في وجهه وكانت عظامه تميل إلى البروز ... وتحت الحاجبين الكثيفين بدت عيناه كعيني الذئب ولكنهما نواتا جمال صاعق في

www.elromancia.com

حدتهما ، ولكنه سددلها نظرة مباشرة ملتهبة تتسم كذلك بنوع من تأكيد العاطفة .. وبلهجة آمرة قال بهدوء :

– إنني أريد أن أنسى ما حدث الليلة الماضية ... لقد كنت مرهقة ومجهدة ... ولم أكن أنا متعاطفاً ... فكلانا يستحق اللوم ... ودعينا نبدأ اليوم من جديد ... هل توافقين ؟

فهزت كتفيها بنوع من الدلال وأجابت :

– إنني لا أرفض التعاون معك !!

ثم لمس عنقها بأصابع مقدرة للجمال وقال :

– احمرار وجهك هذا يبعث في جمالك روعة ... ولا شيء على البسيطة يمكن أن يجعلك مرتبكة ...

ولم تحاول إخفاء سخافة تعبيرها وهي تجيبه باختصار :

– حسنا ! الأفضل الآن أن تتركني كي أرتدي ملابسي ...

فقال وأصابعه تتحسس جسدها ...

– إنني زوجك ... ولا أجد سببا واحداً لتخجلي من جسمك ... إنه جميل بشكل خرافي ..

– إذن فقد وانتك الدعوة النادرة .

أجابت بذلك وهي تخفي ارتباكها تحت ستار السخرية ...

فوافق بالمثل قائلا :

– فعلاً !! فيمكنني الآن أن أدعك تجلسين يا "رومي" ... ثم أظل ساعات طويلة أمامك لمجرد إشباع نظري من هذا الجمال ...

– ربما يضيق صدرك بي بعد قليل !!

– لا أعتقد ..

كانت إجابته الأخيرة مثل همس ناعم كالحرير .. وحاولت أن تستدير عنه إلا أنه انحنى ليقبلها ... فأمال رأسها إلى الوراء ورفع ذقنها ... وجعل فمه الدافىء يبحث عن فمها ... ولكن كالمعتاد كانت استجابتها دفاعية أو قد تعني بالأكثر .. الرفض ...

فأخذها بين ذراعيه ليجبرها على تقبل قبلته ... وكانت قوته الجبارة تجعل "رومي" متأكدة تماماً مما ينوي فعله ... وأنه لا يأبه إطلاقاً لما تشعر هي به أو ما تفكر فيه ... ثم جعلها تشعر أن قواها قد خارت .. ومشاعرها تسبح وقد بدأت تذوب تحت تأثير عواطفه ...

وهل كانت بالفعل عاطفة ؟ أم أنها شيء آخر أكثر مما أخذ في الحسبان ؟

وتوتر جسدها ... إذ أدركت الشعور الذي كانت تحاول تشكيله كما يتراءى لها .. وشعرت أن هذا الرجل قد خذلها بخبرته .. مثلما خذل آلاف النساء قبلها ... أما هي فقد خذلت بحرية وبرود ...

ثم انتفضت فجأة محاولة التخلص منه ... وأخذ نبضها في الإسراع وهي تقول – لا !!

فما كان من "جزافييه" إلا أن غرس أصابعه في ذراعيها وهو يقول :

– دائما لا !! ... لماذا ؟

– عليك ... على الأقل ... أن تحترم رغباتي .. ثم إن المكان هنا لا يتسع حتى لنتحادث بغير كلفة ...

ثم أضافت بشيء من الرعونة :

– الخادمة في غرفة النوم .

فأجابها "جزافييه" وعلى شفتيه شبح ابتسامة :

– كلا .. لم تعد فيها ... فقد أرسلتها خارجاً .. ونحن الآن وحدنا تماما يا "رومي" ... ثم .. أي الأماكن يكون أفضل من هذا كي نطرح فيه مودتنا ؟

غير أنه لم يبد دفئاً في عينيه ... حتى ابتسامته كانت باردة مثل صباح يوم من أيام نوفمبر ... ففهمت "رومي" أنه غاضب ... واستغلت هذه المشاعر لتحول بين رغبته وهذا الموقف المتعثر ... فاستدارت عنه وأخذت تمشط شعرها في المرآة ... ثم قالت بصوت متكلف :

– إنني أعتذر عما بدر مني الليلة الماضية ... أنت على حق !!

لقد كنت فعلا متعبة .. ولكني لم أقصد أن أغضبك هكذا ...

وربما يرجع ذلك إلى الانفعال وليس الاضطراب ...

www.elromancia.com

وإذ لمحت عينيه ترمقانها من خلال المرآة .. استطردت قائلة :

– ثم إنني لا أصر على أن تكون علاقتنا عدائية ... كما قلت أنت بالأمس ... إنني أريدها فقط أن تكون خالية من أي تظاهر ... كما أنني على استعداد أن أبدأ صفحة جديدة ...

وأمضى لحظة يتمعن في انعكاس صورتها .. وضاقت عيناه قليلا .. ثم ابتسم مرة أخرى دون إبداء أي تعليق على كل ما قالته ...

– لقد تأخر الوقت بالنسبة للفطور ... كما أنه مبكر بالنسبة للغداء ... وأعرف صديقة أمريكية تأكل في مثل هذه الساعة ما يسمونه بالـ "برانش" (وجبة خفيفة بين الإفطار والغداء) فهل توافقين على تناول لها معي ؟

– نعم !! بكل سرور .

– إذن سوف أنتظرك بالطابق السفلي خلال ربع الساعة .

ثم استدار إلى الخادمة يستكمل :

– كونشتا" ... هل تدلينها على غرفة الفطور ؟

واستمرت هي تمشط شعرها إلى أن تركتها ... ولم تر داعيا لإجهاد تفكيرها ... فقد ظل ذلك الشعور المعقد بعيداً عن أي إصلاح ... ولم تكن تلك المواجهة البسيطة إلا مزيداً من اتساع الشقوق في جدران هذا الزواج ...

ولم يكن في نيتها هذا الصباح إثارة أي اشتباك مع "جزافييه" ... بل حثتها تلك الآثار الصامتة على الندم عن سخريتها ... وكان باستطاعتها أن تبدي لمحة من التصالح .. ثم لماذا لم تدعه يقبلها ... ولماذا لم تقبل غصن الزيتون بشكر وامتنان ...

هناك شيء يتعلق به جعل الدماء تغلي في عروقها ، وتتصاعد إلى عقلها لتضع عليه غمامة قاتمة تحوله إلى إظلام دامس ... وما هو ذلك الشيء؟...

ربما أسلوب كلامه .. ربما الكراهية المتعمقة فيها ؟ ... ولم لا يكون بغضاً لا نستطيع حياله شيئا ... لقد كانت في الماضي ترهبه ... وهي في الحاضر لم تستغل الحس السليم لتنزع عنها ذلك الخوف وتثوب إلى رشدها في تعقل ناضج ...

ونظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة ... فهمست لنفسها بصورة محددة :

"يجب أن تحاولي" ... ولكنها رأت عينيها تحملقان فيها ... وكانت رافضة ... ثائرة ... معارضة لكل النوايا الطيبة التي تفوهت بها توا لنفسها ...

نزلت إلى غرفة الفطور لتجد ذلك الـ "برانش" عبارة عن وجبة كاملة ... وكان كبير الخدم "سيرچيو" ذو الشعر الرمادي الذي قابلته الليلة الماضية ...

يراقب المائدة المنسقة بصفوف متتابعة من الأطباق الجميلة ... ففهمت "رومي" أن كافة الوجبات في منزل "لوكا" ... مهما كانت خفيفة .. فلابد وأن تحظى بذات الاهتمام من قبل الخدم ... وبالرغم من وقاره ... فقد لمحت عيني "سيرچيو" تنظر إليها وقد تلألأت بالمودة كما لو كان قد سعد برؤية وجهها الشاب النضر على المائدة ..

جلسا لتناول الطعام في ركن من الغرفة بجانب نافذة تطل على بستان كبير حافل بأشجار البرتقال و الليمون ...

وتناول "جزافييه" قليلا جداً من الطعام ... رغم وجود العديد من التجهيزات المتقنة .. وكذلك "رومي" إن لم تأكل أقل منه ... كما أن "جزافييه" بدا بمزاج في قمة الظرف والتهذيب .. كما لو أن شيئاً لم يحدث في الطابق العلوي ...

وأخذ يشرح بكل حصافة وإحساس .. المصادر العديدة لذلك الرياش الموجود بالغرفة ... ثم حدق بخشوع في لوحة زيتية لـ"فينسيا" وكانت معلقة على الحائط المقابل ... بينما أخذ يروي لها أن هذه اللوحة لـ" كاتالينو" وهي قطعة رائعة نادرة ... حتى أنه طرأ على باله أكثر من مرة أن يضعها في أحد المتاحف لتظل هناك على أساس قرض دائم ...

وبصيغة عملية علقت "رومي" قائلة :

– أعتقد أن هذا المنزل يحتاج لثروة ضخمة للتأمين عليه فقط ...

فهز "جزافييه" كتفيه وهو يجيب :

– إنني أحب أن أرى ممتلكاتي كلها حولي ... ولو وضعت في سرداب أحد البنوك ... لتلفت تماماً .. والشيء الوحيد الأفضل من كل هذا ... هو جعلها ملكية عامة حتى يستمتع برؤيتها أكبر عدد من الناس ...

ربما في المستقبل عندما يتقدم بي السن .. أفكر في منح بعض هذه القطع الثمينة كهدية لإحدى صالات العرض الكبيرة .

فأومأت "رومي" وكأن الانطباع الذي أخذته في الليلة الماضية ... قد تحول مع ضوء النهار إلى نوع أفضل من التقدير ... وأيقنت أن القصر لم يكن كئيباً أو محبطاً ... بل على العكس ... فقد اتسم بالثراء ... بل هو نوع من الثراء والفخامة التي قلما تتواجد في "لندن" ... وقد مارست الأجيال المتتالية لعائلة "دي لوكا" تنوقاً لاشائبة عليه في اختيار المزيد من التحف النادرة لإضافتها إلى المجموعة التي كان القصر يكتظ بها ...

وقفت "رومي" عند حقيقة أيقنتها .. وهي أن هذا المنزل يعتبر هو في حد ذاته قطعة فنية نادرة في هذا الزمان ، إذ إنه يحتوي على كنوز من اللوحات والرياش ، منها السجاد العجمي .. والكريستال المورانو ... والمرمر اليوناني ... والتماثيل البرونزية المنحوتة ... والمفارش والأغطية المطرزة وكذلك السجاد اليدوي .. وكلها مصنوعة في "فرنسا" ..

شعرت "رومي" أن هذا المنزل هو بالفعل المكان الرائع الذي تصبو إلى العيش فيه ... فهي تعشق الفنون .. كما أيقنت أنها على الرغم من رفضها وعدم قدرتها على حب "جزافييه" إلا أنها ... على العكس ... وقعت في غرام هذا المنزل لأول وهلة ...

وفجأة سألها "جزافييه" :

– هل طلبت والدك في التليفون ؟

فحملقت فيه إذ غير الموضوع ... وتلعثمت وهي تجيب :

– لـ .. لا ! ...

– ولم لا !! ... قد ينزعج والدك ويتساءل عما إذا كنت وصلت بالسلامة ...

قال هذا وهو يطوي المنشفة ... إشارة للخدم كي ينظفوا المائدة ...

ثم أضاف قائلاً :

– إن هذا هو منزلك الآن ... وكل شيء فيه رهن لإشارتك ...

يجب ألا تخجلي من أي شيء يحول دون معرفة وتلبية كل رغباتك ...

فقالت :

– إذن !! أرجو أن أطلب المنزل الآن .. إذا كان ذلك ممكناً ..

فوقف وأشار إلى الهاتف الموضوع على المكتب وأسرع بتذكيرها :

– منزلك هنا !! وها هو ذا التليفون ...

فأومأت شاكرة .. وذهبت إلى غرفة المكتب حيث تراصت صفوف عديدة من الكتب ، وجلست على مقعد كبير من الجلد الأحمر ... كمن غرقت فيه ...

وسحبت التليفون لتدير القرص وتطلب الرقم ...

ولدى سماع صوت والدها ... شعرت وكأن شيئاً قد وقف في حلقها ...

فبذلت مجهوداً لتبدو مرحة ومسترخية وهي تتحدث :

– المنزل في منتهى الجمال ...

ثم تعمدت أن تبعث في نبراتها السرور بينما كانت تؤكد لوالدها أنها بحالة جيدة وأن رحلة السفر لم تكن متعبة ...

فوافقها والدها وهو يقول :

– أعلم ذلك ... فقد كنت هناك منذ عدة أعوام عندما كان والد "جزافييه" على قيد الحياة ... وهل أنت ... ؟

وتردد لحظة لاستكمال الجملة ثم أردف :

– وهل أنت وزوجك في سلام كل مع الآخر ؟

فأجابت بشيء من التعالي ...

– ليست هناك أي مشاكل ... ولا تشغل نفسك بي يا بابا ...

– كنت أعلم أنك ستكونين سعيدة يا "رومي" بل في منتهي السعادة ... وهذا يعني الكثير بالنسبة لي ... إن "جزافييه دي لوكا" رجل فريد من نوعه ... وسوف يكون لك الزوج الذي تحلم به معظم النساء ... ولكنك سوف تجدين أيضاً أنه رجل ذو عزيمة قوية كما أنه الرجل الذي ينبغي أن تعامليه باحترام في كل الأوقات ...

فقالت بصوت منخفض :

– أعلم ذلك .

– إذن !! فليس لدي ما أضيفه بالنسبة لهذا الموضوع ...

– وكيف حال صحتك ؟ أرجوك أخبرني بصراحة ...

فسمعت ضحكته وهو يقول :

– إنني بصحة جيدة ... وقد ذهبت لإجراء كشف آخر ... ويقولون أن هناك بوادر لتحسن كبير ... ولا تشغلي بالك بي يا حبيبتي ..ولا حتى بالعمل ... فكل شيء بدأ يستعيد مكانته ... رغم أنه يسير في طريق طويل ...

– عليك أن تحتاط لنفسك فقط يا بابا ...

– نعم ... سوف أفعل ذلك ... وأنت أيضاً ... انتبهي لنفسك يا طفلتي ... وأرجوأن تتصلي بي مرة أخرى في أقرب فرصة ...

– بكل تأكيد ...

وعدت بذلك ... وبعد أن تبادلت معه بعض عبارات المحبة ... وضعت السماعة...

وفي هذه اللحظة فقط استدارت على المقعد ورأت "جزافييه" واقفاً بالباب .. ليرقبها .. وفي عينيه نظرة ساخرة لا تخطئ التعبير ...

فسألته "رومي" بصلابة :

– هل ستستمر في أن تسترق السمع على كل محادثاتي هكذا ؟

فوجه إليها ابتسامة جافة وهو يقول :

– ما هذا الهراء ... هل لدينا أسرار لنخفيها كل عن الآخر ... إن الزوجة الفاضلة لا تخفي شيئا عن زوجها ... بكل تأكيد ..

ثم خلع "السويتر" ليكشف عن قميص حريري أبيض من تحته ... وكان أحد الأزرار الوسطى قد انخلع تواً ... فسلمه إليها وأعطاها كذلك ... إبرة وخيطاً.. ثم قال :

– والزوجة الفاضلة ينبغي أيضاً أن ترعى ثياب وقمصان زوجها ...

فهل يمكنك أن تثبتي هذا لي ؟

– هناك أكثر من اثنتي عشرة امرأة في هذا المنزل يستطعن القيام بهذا أفضل مني !!

قالت هذا ... وهي تشير إلى الخدم بالخارج ... ولم يخطر على بالها أن تفطن إلى الحقيقة ... فربما فعل ذلك كي يشعرها أنها في بيتها ...

ثم وقف "جزافييه" أمامها واتكأ على الكرسي وبدأت هي في حياكة الزر ...

بينما هي تثبت الزر ... شعرت بعضلات معدته قوية تحت أصابعها ... كان قربه منها يربكها ... ولكنها تجنبت الخوض في عينيه وركزت على إنجاز المهمة الصغيرة التي في يدها فقط ...

ومن مستوى وقوفه وهي جالسة .. نظر إلى أسفل وقال :

– هناك أشياء كثيرة يجب أن تتعرفي عليها في هذا العالم الجديد عليك ، وهي ليست في داخل المنزل فقط .. وإنما هي متسعة في دائرة الحياة الريفية التي تعيشينها الآن ... وسوف تجدين اختلافاً كبيراً عما كان في "انجلترا" ... وقطعاً سيكون من مصلحتك أن تتفهمي الوضع والمكانة التي ينبغي عليك أن تملئيها ...

– المكانة ؟

– من خلال هذا المجتمع الذي يشكل عدة مئات من البشر ...فأنت الآن "البارونة" ... وهذه الشخصية تمثل لهم أهمية تفوق تلك التي لأي سياسي في "كاتانيا" أو في "روما" ...

فردت بشيء من عدم البراعة :

– إنني لا أفهم ذلك !!

فتأملها باحترام وهو يقول :

– سوف تفهمين ... ولقد رتبت جدول مواعيدي لأتيح الوقت بعد الظهر كي أصحبك لتري الأملاك المحيطة .. ولتأخذي فكرة عن بعض التقاليد والعادات الروتينية في المنطقة ..

– لابد وأن يكون هذا أكثر ما أهتم به ...

قالت ذلك بانشراح وهي متأثرة بنبرته القيادية ... فلمست بأصابعها جسمه وهي تكاد تنهي حياكة القميص ... وشعرت بدفء جسده لأول مرة ... والآن لقد انتهت من تثبيت الزر ولكن ليس لديها مقص لكي تقص البقية من خيط ...

www.elromancia.com

فمالت إلى الأمام لتقطعه بأسنانها ... واحتك جبينها بجسمه...

هذه الحركة جعلت الدم يتصاعد فجأة إلى وجهها ...

وبحرارة الارتباك قطعت الخيط بأسنانها الحادة ... وبينما هي تتراجع بسرعة... اشتمت رائحة جلده تتخلل أنفها ... ولمجرد لمحة بصر على وجه "جزافييه" .. أيقنت أنه هو أيضاً قد شعر بنفس الومضة من الإدراك .. فوقفت "رومي" بصورة مفاجئة وكانت وجنتاها القرمزيتان أكبر شاهد على مشاعرها... فوضعت الإبرة على المكتب في سكون تام ..

- أشكرك !!

أغلقت عينيها إذ أحست بكفه على وجنتها وملاطفته لوجهها بحنان لم تتخيل أبداً أن يصدر عنه ... فشعرت بقشعريرة نتيجة الرعدة التي عمت جلدها .. خاصة لدى إحساسها أنه كان ينوي تقبيلها ... فأبعدته "رومي" وهي في قمة الارتباك.

فصدرت عنه ضحكة خفيفة جعلتها تلعن نفسها لغبائها ... ثم أكد لها في رقة بالغة :

- أنت في مأمن الآن ... على الأقل في الوقت الحاضر ... تفضلي يا "بارونا"...

فالدليل السياحي للمنشأة يبدأ من هنا ...

وبعد مرور أربع ساعات من ذلك الوقت ... كان عليها أن تقر ...

كم أنها تأثرت من الأعماق ...

كانت تشعر برهبة شديدة من هذه الجولة .. وخاصة من تقديمها إلى عائلة "جزافييه" الممتدة الأطراف ...

ولكن الواقع أنه لم يكن هناك ما يرهبها ... وكان كل شيء في هذه الممتلكات الشاسعة ... يجري بنظام تماماً مثل الساعة ... ولا مجال للشك فيمن كان وراء هذا الانضباط ... فإن إدارة "جزافييه دي لوكا" كانت قطعاً مثالاً للفعالية ، والإنسانية وبالتالي منتجة ... وأما الحقول المزدهرة ... وأشجار الكروم حلو المذاق ... والرعاية الممتازة للمواشي والدواب ... كلها فرضت انطباعاً لا يمكن

إنكاره ... فقد كان "لوكا" هو حياة هذا العمل الكبير ...

ومن يراه يدرك مباشرة أنه لإقامة مثل هذا كله فلا بد وأن يكون له أساس من ثروة طائلة .. وحيث إن "رومي" كانت معتادة على رؤية العمل الكبير وكيفية إدارته ... إلا أنها أدركت أن هذه الممتلكات جعلت مصانع "فورلاري" تبدو ضئيلة وكأنها مزرعة دواجن سهلة الإدارة ... وكانت هذه هي قاعدة المنزل فقط وجزء من امبراطورية متسعة للغاية ... بل امتد اتساعها إلى دول أخرى ...

ومن الواضح أن ممتلكات "لوكا" كانت جوهر كل هذه الأشياء وعلى الأخص فقد كانت المركز الرئيسي لعالم "جزافييه دي لوكا"...

ولمست "رومي" بنفسها مدى حب "جزافييه" لهذه الممتلكات وقد كان هذا يتضح من كل كلمة يقولها عنها ...أينما ذهبا ... فلم يواجها سوى وجوه مبتسمة وتحيات دافئة من كافة العاملين بل والمدراء ...

وبدأت "رومي" تستوعب كلامه وتفهم مقصده عندما أخبرها بأنها هي أيضاً ينبغي أن تملأ مكانتها في هذا المجتمع ...

وإذا قيل إن كل هذه الممتلكات كانت تدار بالإقطاع .. فلابد وأن يكون ذلك تشويه للواقع ... إذ إن كل شيء كان ينم عن حضارة بالغة ...

فهي تعمل بنظام على درجة عالية من الحضارة وبطاقة عمالية ضخمة متخصصة ومع ذلك ... فقد كان هناك شيء يبدو من العالم القديم جداً .. وهو أسلوب تعامل الناس مع "جزافييه" ومعها أيضاً ... لذا فقد شعرت بغريزتها أنها أصبحت بالفعل شخصية مهمة جداً في حياة هؤلاء الأغراب... وأينما تجولت كانوا ينظرون إليها بنفس النظرة الموجهة لزوجها... لا تنطوي على التواضع (فأهل صقلية ليس من شيمتهم التواضع) ولكن بنظرة تلقائية تنم عن الولاء والإخلاص .. مما أثر في أعماقها بصورة ما ... فبعض كبار السن ... من الجيل القديم .. قد قبل يدها ... بينما الأصغر سناً قد أظهر نوعاً من البساطة في تصرفاته ... ولكن بصفة عامة فالجميع نظروا إليها بكل الاحترام والمحبة والثقة ...

وبالمصادفة تقريباً ... بادر "جزافييه" بزجها في الدور الذي سوف تلعبه ..

www.elromancia.com

إذ بدأ يحذرها من المخاطر التي يمكن أن تقابلها أو تقع فيها .. وأخذ يشرح الواجبات والالتزامات التي سوف تواجهها ... فوجدت نفسها في خضم منظمة حية وحيوية ... أعطت مساكن وحياة لأكثر من أربع وعشرين أسرة... منهم من ولد على هذه الأرض ومنهم من عاش ليتزوج عليها ... بل ليكونوا أسراً جديدة فيما بينهم ... وبالنسبة للجميع فقد كانت هي "البارونا"... الصورة التي تجسمت فيها الحماية والرعاية ...

سحبت "رومي" نفساً عميقاً عندما ركبا السيارة الـ"رانج روفر" ليسوق عائدا عبر مزارع الكروم ... حيث قالت :

– "جزافييه" .. هل تظن أنني أصلح ... أو لدي الخبرة الكافية لأقوم بدور السيدة الكريمة أمام هؤلاء الناس جميعاً ؟

فرمقها بنظرة قائلاً :

– ماذا تعنين ؟

فقطبت ما بين حاجبيها وهي تقول :

– إنني أشعر بالخجل ... ولاأعرف إذا كنت أستطيع أن أكون على هذا المستوى ...

فأخبرها بابتسامة :

– ولكنك ظريفة .. ولقد جعلت كل من يراك يحبك ...

فتشككت في المعلومة وقالت :

– هل حقاً هذا ؟

– بالتأكيد ... فأنت صغيرة ... جميلة ... كريمة وطريفة وهي كل الصفات التي يرغبونها في الـ"بارونا" ... إن كل شيء يرجع لأول انطباع يا "رومي" ... وعليك أن تتذكري أن هؤلاء الأشخاص مازالوا غرباء بالنسبة لك الآن ... وهم ينتظرون مساعدتك وصداقتك ... إنهم لا ينظرون لالتقاط ما فيك من أخطاء ... عليك أن تثقي بنفسك ولن تكون هناك أي مشاكل ...

فتنهدت وقالت :

– أنت تجعلها تبدو سهلة ... وتذكر أنك ولدت لهذا ... ثم على أي حال فأنت

رجل ... وأنت تختلف عني ... كما أنك تعشق تنظيم هذا المجتمع الكبير ... وقد لاحظت ذلك من خلال كل حركة صدرت عنك ... أعتقد أنك ولدت لتكون قائداً ..

– إذن فهذا هو جانبي أنا ... أما جانبك ... فلا يتعدى بكل بساطة أن تكوني جميلة ومحبوبة .

– وهل هذا فقط ما يريدونه مني ؟

فضحك ضحكة رقيقة وأجاب :

– أوه ! أعتقد أنه بإمكانك أن تنجبي ما يتوقعونه .

فرمقته بنظرة حادة وهي تقول :

– هل تعني وريثا لهذه الممتلكات ؟

فوافق على كلامها قائلاً :

– وهذا أيضاً ... ولكن يبدو أنك تحطين من قدر نفسك ... لقد تصرفت بهدوء وظرف .. واعتقدت أنك كنت رائعة هذا الصباح...

ومرة أخرى حملقت فيه والشك يملؤها :

– حقيقة ؟

فابتسم "جزافييه" وقال :

– أفضل بكثير مما توقعت ... لقد جعلتني أشعر ... بمنتهى الفخر ...

استدارت في المقعد لتنظر إلى الصورة الجانبية المعقوفة لوجهه ... ثم قالت بهدوء :

– هذا هو ألطف شيء قلته لي ...

فربت عليها وهو يقول :

– لو كنت فاتنة في غرفة نومنا .. مثلما كنت هذا الصباح مع كل الناس ... لملأت قلبي سعادة يا "رومي" .

فشعرت أن وجهها يتدفق حرارة واحمراراً وقالت :

www.elromancia.com

– هل تعني إذا كنت أتظاهر بأنني تواقة ومستعدة للاستجابة ؟

– لن تكوني في حاجة إلى التظاهر مدة طويلة .. بل أؤكد لك أنه في ثوان معدودة سوف تبادلينني شوقاً بشوق .

وتخلصت من الموضوع حيث قالت :

– حسنا !! لقد جعلتني أشعر بارتياح كثير .. فقد كنت خائفة وتملكني رعب قاتل لما ستكون عليه النتائج بعد جولتنا هذا الصباح ..

فرفع "جزافييه" يده عنها وقال :

– هل كنت متشككة إلى هذا الحد ؟

– إنني ابنة "لندن" ... وقد تربيت في المدينة ... فالعادات الريفية كانت جديدة علي ... ولكن أعتقد أنني لست متكبرة لأمارس هذه الحياة .

فسألها وهو يرفع أحد حاجبيه كمن يتعجب :

– وما دخل التكبر في هذه الحياة ؟

فأخبرته بشيء من الوقاحة :

– أنت تحتاج للتكبر في نطاق أعمالك ... وأنت بالذات دون كل الناس... ويجب أن تفهم هذا ...

فتنحنح وهو يقول :

– أشكرك !!

فقالت مؤكدة :

– وإنه لأسوأ بالنسبة لامرأة ... فالقليل من الفخر يمنحني الثقة كي أتقمص شخصية السيدة المبجلة حتى إن لم أكن ولدت لهذه الفقرة ...

ثم سكتت لحظة ...

– إنني أتصور أن زوجتك الأولى قد لعبت هذا الدور ببراعة ... فرمقها بنظرة سريعة وهو يقول :

– يبدو أنك إيجابية جداً فيما يتعلق بذلك .

فأجابته "رومي" بأسلوب يتسم بروح شيطانية :

– من خلال ما أتذكرها ... اعتقد أنها كانت تليق كثيراً في دور

المرأة الأرستقراطية ... وهل أفهم من ذلك أنها لم تملأ مكانة سيدة القصر حتى الكمال ؟

فوافقها قائلاً :

– قطعاً "إيفا" وضعت لمسة أصيلة على الدور ... ولكن عندي شعوراً بأنك ستكونين محبوبة أكثر مما كانت عليه "إيفا" ...

ولم تستطع أن تكتم السؤال فقالت :

– ممن ؟

– من كل الناس ... بل منا كلنا ...

وقبل أن تستوعب هذه الفقرة استرسل في الكلام :

– وهذا يذكرني ... بأن فرصتك الكبيرة والأولى لتكوني المضيفة .سوف تكون في القريب العاجل ...

فسألته :

– وما هي ؟

– إنه عيد "سانتا لوشيا" في نهاية الأسبوع القادم ...

ولما لم يستطع استكشاف أي شيء من خلال تعبيراتها كمن لم تفهم ماذا يعني فقد كرر العبارة بالإنجليزية بدلاً من الإيطالية وقال شارحاً :

– إنه يوم "القديسة لوسي" ... وهو أقصر يوم في السنة ... وقد تعودنا أن نقيم احتفالاً كبيراً في هذه الليلة ... بالمشاعل والرقص ... وستكونين أنت بالتأكيد ... الجوهرة التي تزين التاج ...

حملقت "رومي" فيه ... إذ إنها لاحظت عديداً من الرجال يجمعون الخشب من الأفرع الميتة بالأشجار في الحديقة ويكدسونه على شكل جبلي .. كما لو كانوا يعدونه لمشعل ضخم ولكنها لم تفكر في ذلك وقتها ... فسألته:

– وهل هذا ما يفعلونه بكل الأخشاب التي في المروج ...

– نعم ... فالنار يجب أن تكون أكبر مما تتصورين ... للتأكد من أن الصيف المقبل سيكون حاراً ...

ثم هز كتفيه تعجباً لوجهها الذي يميل إلى الشك ... واستطرد قائلاً :

www.elromancia.com

– مثل كل الأعياد ... فإنها عادات وطقوس طبقها البشر حتى قبل ميلاد المسيح ... فإشعال النار هو نوع من الخصوبة يعمل على طرد الشتاء ويوهج الشمس مرة أخرى ... وفي الواقع إن العشب يحتاج لعام كامل حتى يبرأ ...

ولكن هذا هو ثمن التقاليد ...

ثم ابتسم وأكمل ... إنها فعلاً مناسبة عظيمة ... وسوف تستمتعين بها ... وسوف يحضر كل من رأيت هذا الصباح ... هذا بخلاف مائة آخرين من مختلف الضيوف والجيران ... كل من استطاع السير ... سوف يحضر وقد بدأ المطبخ في الاستعداد منذ بضعة أيام لتجهيز الـ " لازانيا بالفرن" ... وهناك أيضاً عدة أنواع من الأطباق التقليدية ... إلى جانب قيامهم بشي اللحم في المساء ...

فقالت " رومي" بصعوبة :

– وبكل تأكيد سوف يتشوقون لرؤية " البارونا" الجديدة وهي ترقص أمام النار ...

أجاب مؤكداً .. وهو يرمق وجهها بعينيه الرماديتين:

– بالضبط ولا داعي للقلق ... فالفكرة هي أن يمرح الجميع ...

– إنني أتخيل هذا ...

وبينما كانت السيارة تخترق الخطوط الطولية الفاصلة في مزارع الكروم ، كانت هي تسترجع في مخيلتها ... بل وتحتضن بالتفكير العميق .. كل ما مر بها وتعلمته في هذا النهار ... فالجميع هنا يكنون لـ " جزافييه" احتراماً عميقاً بل والأكثر من ذلك ... أنه هو نفسه ينتمي إلى هنا ... وهو يملأ مكانته ...

ويعتبر محور الارتكاز لكل ما يجري في الناحية ... ولم يكن احترام الناس له نابعاً من التقاليد فقط ... بل لأنه منذ وفاة والده .. كان قد أخذ في التوسع وإضافة الكثير إلى تلك الممتلكات ... ثم إنه دأب على تحسين نوعية الحياة بالنسبة للعاملين والموظفين .. بصورة أكثر من قياسية ...

ولقد أنجز الكثير ... وفعل الكثير ...

وبصرف النظر عن نفسها .... فلم تستطع مقاومة الإعجاب بقوة هذا الرجل الرائع الذي أصبح زوجاً لها ... وقد يكون ذا قلب متحجر بل وطاغية .. ولكنه أيضاً رجل ... استطاع مواجهة مسؤولياته وأمسك بزمام المصير للعديد من الأشخاص ... وهذا الجانب الفعال من طبيعته كان هو الشيء الذي لم تستطع أن تقدره من قبل ... ربما لأنها لم تتحقق من خباياه إلا هنا في مقاطعة "لوكا" ...

وشعرت " رومي" أن كل ما قاله لها هذا الصباح ... لم يعن إلا وجود مكانة كبيرة لها إلى جانبه ... ولقد أخبرها أنها جعلته يفخر بها ... وهذا أيضاً يعني الكثير بالنسبة لها ... بل أكثر مما لو كانت أقرته بنفسها ... وحتى إذا كان للسخرية جانب كبير في تعاملهما معاً ... فلابد أن تحاول رفع مستواها لتصبح الزوجة اللائقة لمثل هذا الرجل .. ومع ذلك .. فلم تستطع دفع شعورها نحو شيء أكثر من أحترام " جزافييه" ... ثم ماذا كان به ليدفعها إلى النفور منه ؟ ثم لماذا أثار الخوف هذه التقلصات في معدتها ... لمجرد التفكير في هذه الليلة ؟ ...

وجاء المساء ... وكانت الساعة تشير إلى التاسعة عندما جلست " رومي" على كرسي التسريحة وأخذت تحملق في انعكاس صورتها وكأنها لا ترى شيئاً ، وقد أصيبت مشاعرها برضوض كما لو أن وجودها مع " جزافييه" يعمل على طرق هذه المشاعر بحدة ... ورغم أنه لم يتفوه إلا بأبسط الكلام ... فقد كان لتلك العبارات الوهمية أكبر الأثر في آلامها .. وكان التضارب في المعاملة .. تارة بالقمع البسيط وأخرى بالمناصرة .. قد جعل كرامتها لاتحتمل ...

ولماذا جرحتها كلماته إلى هذا الحد ؟ عليه اللعنة ... لقد تبين وعرف تماماً أنها تتمتع بحنان فياض وأنها حساسة للغاية وسريعة التأثر ...

وهل كان يعني التسلية عندما استخف بها؟...أو أنه كان يقصد بالفعل إيلامها والأرجح أنها الأخيرة بلاشك...إنه من الرجال الذين يستمتعون بإغماد مخالبهم من حين لآخر.. وليس بصفة دائمة...إلا إذا شعر باحتياج لتوجيه ضربة وحشية

www.elromancia.com

ومؤلمة ...

وعلى سبيل المثال ... فقد كان في غاية الظرف لدى تناولهما طعام العشاء في هذا المساء ... ولكن ربما يرجع هذا إلى وجود بعض المتفرجين في هذا الوقت ... فقد حضر طبيب البلدة ومعه زوجته ليتناولا مشروباً معهما ... ولكنهما بقيا لتناول العشاء أيضا ...

وكانت السهرة مرحة ... حتى أن "رومي" ذاتها قد تخلصت من التكلف ووجدت نفسها في غمرة من الابتسام والضحك ... ورغم شعورها العدائي تجاه زوجها، كان عليها أن تعترف بأنه موهوب إلى أقصى الحدود فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية ... إذ إنه كان يتحلى بكم من الظرف .. لا يبذل أي مجهود للإفصاح عنه ... بل كان يظهره بسهولة كمن يفتح صنبوراً ... ودون شك إنه كان يديره ليغلقه بنفس تلك السهولة ...

وإذ شعرت أنها تسبح في مساندته لها ... فقد استرسلت في اللعبة لبضع ساعات وأبقت القناع في مكانه طول الوقت ... ولكن يبدو أن الجهد الذي بذلته قد بدأ يقتل فيها الاستمتاع باللعبة ... فادعت الإرهاق واستأذنت مبكراً وصعدت إلى غرفة النوم ... بينما التزم "جزافييه" بإنهاء السهرة ... فخلعت ملابسها .. واغتسلت بصورة مختصرة ثم انزلقت داخل قميص نومها الحريري.. بعد أن أزالت المساحيق من على وجهها وهي لا تهتم إذا كان ذلك سوف يعجبه أم لا ... فلماذا تستعمل الدهاء لتجمل نفسها وتصبح كالدمية ...

ثم شعرت برعدة باردة في أحشائها ... ولكن الليلة لن تختلق الأعذار ... ولامفر من أن تستسلم له بكل ذرة في كيانها ... فقد اشتراها ودفع الثمن...

وتسمرت عيناها ... حيث انعكاس صورتها ... فهذه الأنثى التي ظهرت على المرآة ... جميلة للغاية .. وكانت في الأشهر الماضية قد اكتسبت نضجاً مضيئاً ... انعكس على جمالها ... فجعله مبهراً للغاية ... ومهما كان شعوره تجاه "إيڤا" ... فلا يمكنه القول بأنها كانت أجمل منها ... وهكذا فعلى الأقل أصبحت هي التي تنطبق مواصفاتها لتكون "البارونة" الأخيرة .. وبدا ذلك الوجه في المرآة بصورة ظريفة ... حيث تلك العينين ذواتي الزرقة الداكنة ...

والشفاه التي جاء احمرارها طبيعياً ...

وشعرها الذي بلغ من السواد حدا يشكك في طبيعته ... فهي حتى بلا مساحيق تبدو جميلة ورغم الإجهاد والأعصاب المشدودة ... فقد كانت تتمتع بجمال ملفت للنظر ...

ودون أي غرور ... شعرت أن "جزافييه دي لوكا" قد أبرم صفقة ممتازة، وأخذت تفكر في كيفية معاملته لها الليلة ... هل للقبلات والهمسات مكان بينهما؟... أم أنه لن يرحمها بدافع من غريزة الرجل الحيوانية ؟

ولللحظات تصورت ما قد يحدث بهذه الطريقة ... فتصاعدت الدماء إلى رأسها وكان لابد لها من أن تغلق الباب أمام هذه الصورة البشعة ...فهبت واقفة من فوق مقعد التسريحة ... ولفت قميصها بإحكام حول جسدها وتنبهت كي لا تدع الرعدة التي أصابتها تنزل إلى ساقيها واعتراها إحساس بالإدراك للواقع جعل الألم يتزايد في معدتها ... وكان الانتظار أسوأ ما في الموضوع ... فأخذت تتمشى في الحجرة ذهاباً وإياباً ... وقد تناولت كوباً من العصير وكأنها تتأهب لتلك المواجهة ... ولكن اعترضتها أفكار أخرى ... عادت بها إلى الوراء حيث إبرام الصفقة ... حسنا !! فوالدها من جهة والشركة من جهة أخرى ... كلاهما في مأمن الآن ... ولكن من هذه اللحظة إلى اللحظة التي تدفع فيها الثمن ... فهي في عذاب مرير ... ومن الوجهة النظرية ... فالشهداء مصيرهم الجنة .. أما الوجهة الواقعية .. فهي تختلف تماماً ... وهذا هو ما ينطبق عليها في تصورها ... فمواجهة الحياة مع "جزافييه دي لوكا" في الحدود النظرية .. كانت محتملة .. أما في حدود الممارسة الفعلية .. فهي تنفي كل هذه المفاهيم بل وبكل معانيها ... وفي تلك الأيام السوداء ... كان كل شيء يبدو معقولاً ولا حل أوقع من ذلك للمشكلة ... إذ إنها لم تفكر في أي شيء سوى الضغط الواقع على أسرتها من جراء حاجتها للمال ، وكذلك عامل السرعة في إنقاذ حياة والدها حتى لا يصاب بأزمة قلبية ... والآن فقد أصبحت أمام الأمر الواقع ... عليها أن تسدد ديونها ... ولا تنتظر أي عائد في المقابل ...

وشعرت بالظمأ مرة أخرى فتناولت كوباً آخر من العصير علّه يساعدها على

الاسترخاء والتخلص من توتر أعصابها ثم صعدت إلى الفراش ... وأحاطت نفسها بالوسائد وتعجبت لحالها ... فيا له من وضع ... كيف كانت حياتها منذ بضعة أشهر مملوءة وحافلة بالأمان والوعود .. حتى وجدت نفسها في هذا المأزق...

ففي أول الأمر كان موضوع "بول مورتيمر" وما حدث منه ... ثم صدمة والدها بعد تلك الكارثة المالية ... والآن ... لتحصر كل هذا ... فقد وقعت في وضعها الراهن ... ولم تستطع أن تلقي باللوم على أحد ... فالخطأ نابع من ذاتها ... نعم ! منها وحدها ... فقد كانت من الغباء حتى إنها لم تتهم "بول" بإفساد حياتها ..وكانت من البلاهة حتى رضخت لضغط أسرتها فتزوجت رجلا لا تحبه ...

ولم تكن من البراعة بحيث تبدي أي مشاعر لطيفة لهذا الزوج الذي زفت إليه...

ولم يكن لها في النهاية إلا أن تؤنب نفسها بوحشية وهي تردد :

– إذن متى تنضجين ؟

دخل "جزافييه" غرفة النوم ... ووجدها على الفراش ولازال الكوب في يدها... فتعجب قائلاً :

– ماذا تفعلين ؟

فجلست معتدلة لتواجهه ... وقد تدلت خصلة من شعرها على عينيها .. ثم قالت:

– كنت أشرب ... ثم أجريت حديثا شخصياً مع نفسي ... هل ترغب في تناول كوب من العصير ؟

فرمقها بنظرة محدقة وأجاب :

– يبدو أنك تناولت منه ما فيه الكفاية ...

سرت لهذا التعبير وابتسمت وهي تقول :

– هل حقا فعلت ذلك !! إنني فقط أتأمل ذاتي من شعر رأسي حتى أخمص قدمي ...

– وهل هذه فكرتك عن طريقة المزاح ؟

– لامزاح في هذا .. بل يمكن أن تسميه علاجا ... أو دواء ...

فأجاب ببرود :

– كان يجب أن أفطن إلى ذلك عندما تركت مائدة العشاء مبكرة ... بل كان يجب أن أفهم أنك تخططين لشيء ما ...

فانتصبت أكثر في جلستها وانزلق القميص ليكشف عن بعض جسدها ...

فأسرعت بلفه حولها لتغطي نفسها ... ثم نظرت إليه من خلال الشعر المتدلي على عينيها وقالت :

– لم أخطط لأي شيء ... بل أنت الذي بقيت مع ذلك الطبيب الممل لوقت أكثر من اللازم وتركتني هنا وحدي ... فوجدتها الفرصة الملائمة كي استعد لأي مواجهة ...

وقبل أن تكمل جملتها ... هب قائلاً :

– تستعدين لمواجهتي إذن !!

فهزت "رومي" كتفيها .. وأدارت رأسها وهي تقول :

– إذن فأنت قلتها ... ولست أنا !! أنا آسفة ... فلست بالإنسانة الفاتنة والرقيقة التي تتمنى أن أكون مثلها ... ولكن ...

ماذا أصابني ...؟ إنني مستعدة الآن لأكون طوع أمر سيدي!!

فأجابها بأسلوب لاذع :

– لا تتحدثي بأسلوب العاهرات ... فهو لا يتفق معك ..

فسألته بغطرسة :

– كيف بالله عليك تعرف ما يلائمني ومالا يتفق معي ... أنت لا تعرف أبسط شيء عني ... إنني أحياناً أتعجب لماذا تزوجتني ؟

ورفعت خصلة الشعر عن عينيها حتى تحملق فيه بإمعان ثم استطردت :

– على أي الحالات .. فقد دفعت ثمن بضاعتك ... فلم لا تنتهي من هذه المشكلة المعلقة الآن ؟!

كانت ترتجف عندما شعرت بأصابعه تنغرس في كتفيها .. ثم جذبها نحوه

حتى تألمت بشدة ... وأدار وجهها كي تواجهه ...

– لا تختبري صبري أكثر من هذا يا "رومي" .

وكانت نبرات صوته باردة وكأنها هي من القطب الشمالي حين استرسل قائلا: – لقد سمحت لك بقدر كبير من الحرية حتى الآن أخذاً في الاعتبار سنك وعدم نضجك .. ولكن إذا زاد المزاح عن حده فسوف أتصرف بطريقة أخرى...

ولا تحاولي أن تكرري هذا المزاح أبداً بعد ذلك !! هل تفهمين ؟ ...

فتقابلت عيناها مع عيني "جزافييه" وكان لونهما الرمادي قد تحول إلى شبه الصلب مثل عيون الذئاب ... فشعرت بالغضب يتأجج في أعماقها ويدفعها للثورة ... واستجمعت شجاعتها لمواجهته وهي تقول :

- إنني لست بخادمتك ... مهما كان الثمن الذي دفعته في !!

فأجابها بمثل ما قالت :

– وأنا لست بغبي !! ولا تتعاملي معي على هذا الأساس !!

ومن خلال مزاجها الحالي ... فإن تجاهله لأنوثتها قد أثارها ... إذ استطردت: – أنت تؤلم مشاعري !! وإذا كنت تريد إتمام الصفقة ...فهيا!!

إنني لك !! ودعنا ننتهي ... وإذا لم تكن لك رغبة في ذلك ...فدعني وشأني وأنا كفيلة بأن أسلي نفسي بقية الليل ...

فأجابها بصوت منزعج :

– لقد حذرتك من قبل أن تنمي في نفسك بعض الامتيازات ... وأما هذه المظاهر الدرامية فلا تؤثر علي بأدنى قدر ...

فتوهج الشرر من عينيها الزرقاوين وهي تقول :

– ألا تؤثر بالفعل ؟ إنني أحاول فقط أن أقدر القيمة المالية يا زوجي العزيز...

لقد كنت جالسة هنا أفكر في ماذا يكون شعور المرأة المشتراة .. وربما كان ينبغي أن أتصور شعور ذلك الرجل الذي يشتري زوجته !! ...

واكفهر وجه "جزافييه" بينما حاول التظاهر بعكس ذلك وهو يقول :

– اختيارك لمثل هذه اللهجة في الحديث ... شيء غير لطيف يا "رومي" .

– آه !! لقد فاتني أنك لا تحب الحقيقة !!

وبدأت تعبيرات وجهه المتسلط تتأكد بالخطوط القاسية التي أحاطت بفمه وبعينيه وهو يقول :

– أنت زوجتي ... ولا شيء في الدنيا يمكنه تغيير هذا ...

فأجابت "رومي" باستهزاء :

– إن اهتمامك بمؤسسة الزواج هذه لشيء مؤثر للغاية ... خاصة بالنسبة لشخص طلق زوجته قبل ذلك ... وإنني أتساءل ... لماذا !! هل هو الحنين للزواج ، أم أنها هفوة لمسيحي يتمتع بالتقوى والورع ؟!

هذا الزواج لا معنى له ... وأنت تعلم ذلك جيداً ...

فأجابها "جزافييه" :

– إن معناه لا يختلف عن كافة الزيجات الأخرى ... لا أكثر ... ولا أقل...

وبضحكة رنانة قالت :

– من ذا الذي تحاول أن تستغفله ؟

ثم اتكأت على الوسادة ... وأخذت تحملق فيه مرة أخرى بعيون براقة وقالت:

– هل أنت متخيل أن مثل هذا الزواج سوف يدوم ؟ إنني لا أتوقع ذلك على الإطلاق يا "جزافييه" ... فليس بيننا أي شيء مشترك ...لا شيء على الإطلاق...

فكل منا لا يكن سوى الكره للآخر ...

وأعتقد أننا سوف نعد أوراق الطلاق في خلال سنة ... وأنت تعلم ذلك تماماً مثلما أعلمه ... فأجابها بتهكم :

– إنني لا أعلم شيئا من هذا القبيل ...

– كلا ... إذ إن شخصا في مثل ذكائك ... لديه القدرة الجبارة لأن يخذل نفسه يا "جزافييه" ... والحقيقة هي أن علاقتنا هذه مستحيل أن تستمر ...

وجاء رده وكأن قلبه قد تحجر :

– إذا استمرت علاقتنا أولم تستمر ... فإنني أؤكد لك أن الزواج سوف يستمر...

وأجابت "رومي" بلسان لاذع :

– بل لن يستمر إذا كنت أنا لا أريده ... وليكن في علمك ... أنه يمكنني الحصول على الطلاق غداً إذا أنا أردت ...

فحرك "جزافييه" فمه بابتسامة شريرة تدل على السخرية :

– لن أدعك تذهبين بأي حال من الأحوال ... فسواء كرهتني أو أحببتني ... فأنت ملكي يا "روما" .

ثم رمقتها عيناه بنظرة وحشية ثانية وهو يكرر :

– أنت ملكي !!

وتركها سائراً نحو الباب حيث نادت عليه وهي ترتجف :

– إلى أين أنت ذاهب ؟

ولم ينظر خلفه وهو يقول :

– سوف أنام في مكان آخر ... كي تتفرغي لتسلية نفسك كما تشائين

فصرخت بعد أن خرج :

– عليك اللعنة ... لن أستسلم إليك ابداً !! أتسمعني ؟ أبداً ...

ولكن صراخها جاء بعد أن أغلق الباب .. وشعرت "رومي" أنها تتمزق من التشنجات ... وذلك على غير إرادتها .

وأما الواقع الذي كانت قد خططت له ... فقد بدأ يأتي إليها في دارها ..

وتكفي أن تنظر نظرة واحدة إلى تلك العينين المتجلدتين وكأنهما عينا ذئب... لتستشف منها أنه كان يعني بالفعل كل كلمة قالها ... فلم يكن هناك مفر ... ولن يسمح لها أبداً أن تغادر المنزل .

الفصل الخامس

سمعت "رومي" سيارة "جزافييه" الرانج روفر .. آتية تجاه المنزل...

فشكرت البستاني العجوز الذي كان يرافقها في الحديقة ليشرح لها أسماء النباتات في "صقلية" ... ثم استدارت لترى أن زوجها قد وصل ..

كانت تشعر بأنها متعبة تماماً هذا الصباح ... وقد استيقظت وحدها ...

وأحست أن رأسها يكاد ينشق ... أما وجنتاها ... فقد تلطختا بالدموع التي باتت تذرفها طوال الليل ...

وقد استمرت وقتا طويلاً على هذه الحال إلى أن استجمعت نشاطها ... وذلك بعد تناول كوب من عصير البرتقال ومعه ثلاثة أقراص من المسكن ...

ثم خرجت إلى الحديقة لتستكشف جمالها ... وهي تتلمس بعض الارتياح من خلال الشتاء البارد الذي كان ينهش جسدها ... وذلك على عكس البشر في تلمس الراحة ... أما أفكارها فكانت جرداء كما لو أن الغمام قد كساها مثلما فعل بسماء نوفمبر الحالي ...

ولم تكن "رومي" في الليلة الماضية في حالة من الترنح وعدم الإدراك حتى لا تدري بالضرر الذي تسببت فيه ... ولكن ربما بدت وكأنها امرأة ساقطة مزرية... وهذا المظهر بعيد كل البعد عن الكبرياء الذي خططت له وللتمسك به في حياتها مع "جزافييه" ... وبالفعل كانت هي الطريقة المثلى للتعامل معه ... إذ تبدو كامرأة مصنوعة من المرمر ... باردة ومتعجرفة ... لتثبت له أنها لم تكن تلك الفتاة البلهاء وإنما هي امرأة بالغة ناضجة ..

ركن "جزافييه" سيارته الفارهة في الموقف ... وجاء ليقابل "رومي" سيراً على الأقدام ، وكانت تتبعه ثلاثة كلاب صغيرة وهي ملاصقة تقريباً لحذائه الجلدي ذي الرقبة ... وبينما كان "جزافييه" يقترب منها أخذت تحتضن أكتافها لتشعر بدفء الجاكيت الموفير وتحاول إخفاء الرعشة الخفيفة التي ألمت بها ... ثم أخذت تدعو في أعماقها ألا يكون فظاً ويعاملها بقسوة ... إذ إن شعورها في هذه اللحظة لن يتحمل كلمة واحدة قاسية ، فعندها سوف تنخرط في

البكاء...

وقف أمامها .. وكان يرتدي سترة جلدية خشنة ... زادت عرض صدره وكتفيه المتحجرتين ... ثم بنطلوناً من قماش الچينز المضلع قد التصق بعضلات ساقيه الطويلتين اللتين تباعدتا قليلا في وقفته ... تماماً مثلما يقف المبارز الجريء ...

وفي الواقع كانت هناك مواجهة لكل بالآخر فبدوا وكأنهما وقفا للمبارزة ... غير أن ذكرى ما حدث في الليلة الماضية ظلت بينهما كحاضر ملموس...

شعرت "رومي" بانقباض مؤلم في شرايين قلبها ...

أما هو فقد بدا مختلفاً تماماً في الملابس الريفية ... التي أضفت عليه صورة طبيعية جداً ... غير أنها بطريقة ما ... قد أضافت إلى شخصيته نوعاً من الجاذبية المطلقة بالنسبة لأي رجل ... ولم يكن مظهره هذا يخطئ الدلالة على أنه ريفي ... إلا لمن يلمح حذاءه اليدوي الصنع ... أو بريق الذهب في الساعة التي تحلي معصمه ... فكل شبر فيه كان يتحدث عن تلك القوة المتغطرسة ...

وأما وجهه ... فكان لرجل تعود أن يأمر ويقهر ... رجل قادر ... ذى انفعالات قوية وعزيمة جبارة .

ولوهلة قصيرة أخذ كل منهما يحدق في الآخر وكان ارتباكهما ملموسا حتى أن أحد الكلاب بدأ يئن ووقف ينبش ببراثنه ساق سيده ...

ثم هبت ريح خفيفة ساعدت في تطاير خصلة من شعر "رومي" الأسود ... لتستقر على عينيها ... ثم انحنت لتربت على الكلاب فتجمعت حولها وأخذت تلعق يديها بألسنتها الدافئة وكأنها متلهفة على تحيتها ...

ثم شعرت بأصابعه تنغرس في ذراعها وبقوته يجذبها لتقف ثانية على قدميها دون أن تبذل مجهوداً ... ثم رمقتها عيناه المفترستان وهو يقول :

- لا تحيي الكلاب قبل أن تحييني ...

وهكذا اختفت كل فكرة عن التصالح إذ أجابت بسخرية ومرارة :

- أوه ! يا عزيزي ... إنني أعود لأنسى مكانتي ... أنا آسفة .. كان ينبغي أن أقبل يدك ... أو ربما كان علي أن أقبل حذاءك !!

خلص ذراعها من قبضة أصابعه ثم قال :

- كلمة بسيطة كانت تكفي ... وهل تشعرين بنوع من السعادة إذا استمر وقوفك هنا وحدك في هذا البرد القارس ؟

فأجابت باختصار :

- نعم تشعرني بنوع من السعادة .

- إذن علي أن أتأكد أن الطاهي قد احتجز كمية كافية من النباتات التي تصلح كعلاج خاص لك ...

فأردفت ببرود :

- يالها من تسلية !! على أي الحالات .. لم أكن هنا وحدي ..بل كان البستاني معي .. وأخذ يشرح لي أسماء الزهور ...

ألقى "جزافييه" نظرة على الرجل الطاعن في السن الذي شغل نفسه بإحدى أشجار الكروم على بعد مسافة منهما ... ثم علق بازدراء :

- إنها لصحبة رائعة لعروس صغيرة .

فأجابت "رومي" باختصار :

- إنك تعامل كثيراً من الناس بازدراء .. أليس كذلك ؟ لقد تعودت كثيراً أن تأمر وأن تطاع يا "سنيور" .

وإذ تقابلت عيناهما بادر بسؤالها :

- وهل هذا شيء سيئ ؟

ثم أجابته بطلاقة :

- كما سبق وقلت لك .. إن التكبر والعجرفة شيئان ضروريان لرجل في مركزك، وللأسف فإنهما من الصفات غير المرغوبة في الحياة الطبيعية ...

ابتسم بفتور .. ثم أمسك بذراعها ليسيرا إلى المنزل بينما كان يسألها :

- وكما سبق وقلت لك أيضاً إن كلينا لا يحيا حياة طبيعية ... وكيف تشعرين اليوم؟

فأجابت بضيق :

- مضطربة !! وأعتقد أنك سوف تقرأ عليّ الوصايا العشر ...

- إذا حكمت على وجهك ... فلن يكون هذا ضروريا .. وهل أيقنت في أي

حال كنت بالأمس ؟

– لم يحدث أن مررت بمثل هذه الحال ...

فرمقها بنظرة جافة وقال :

– بل من الواضح أن حالتك كانت سيئة ... ثم من تعتقدين قد وضعك بالفراش؟

ولم تكن الصورة فاتنة أو مشرفة حتى أنها حاولت طي موضوعها بسرعة وهي تقول :

– أوه ! أعتقد أنها المرة الأولى في حياتي التي أتعرض فيها لمثل هذه الحالة... كما أنني لا أريد التفكير في أنني قد أتوق لإعادة التجربة مرة أخرى... أود أن أعتاد عليها .

رد عليها دون أي مظهر للسخرية :

– إنني سعيد لسماع هذا ... هل لنا أن ننسى الموضوع برمته ... ودعينا نذهب لتناول الطعام ...

كان الغداء ساخنا ... أما مزاجها فلم يكن ... وإذا كانت قد أرادت إعادة علاقتهما الليلة الماضية ... ربما لم تكن تجد وسيلة أفضل من التي حدثت...

وكان تصرف "جزافييه" معها بارداً ورسمياً وحديثهما متكلفا ... وكانت تعلم أنه خبير في أن يجعلها تشعر بعدم الارتياح ... ومع ذلك لم يؤثر ذلك عليها حتى بمقدار ذرة كي تثور ...

وبعد الانتهاء من تناول طعام الغداء ... أعلمها قائلاً :

– إنني أريد أن أعرفك رسمياً على مجموعة الخدم ... فقد آن الأوان لتتعرفي عليهم جميعاً وتحفظي أسماءهم ...

فأجابت "رومي" بهدوء :

– حسناً جداً ...

وفور انتهاء الوجبة ... نفذ ماعزم على فعله ... فاصطفت المجموعة وقد اختلفوا في الزي ... فكل منهم ارتدى الزي المناسب للواجب أو العمل الذي يقوم به ...

وقد بدا عليهم الخجل تماماً كما كانت تشعر ... ولكنهم يبدون ألفة واحتراماً... وبدأ بـ"كونشتا" و "سيرچيو" ... كبير الخدم ... على الرغم من أنه سبق أن تعرفت عليهما ... وبذلت مجهوداً لتربط الآخرين بالأسماء التي تعلمتها الآن ... "توماس" ... "لوتشيا" ... "ألفا" ... "فيتو" ... "مورو" ... ثم حيت باليد كلا منهم بدوره بينما كانت تردد الأسماء وكان "سيرچيو" يشرح لها واجبات كل منهم ... فكانت تبتسم وتهدي كلمة خاصة لكل واحد ... فقد كانت تبغي محبتهم لها وثقتهم فيها ... وكانت لديها الخبرة الكافية لتعرف أنها إذا لم تؤسس علاقات طيبة مع المجموعة التي تعمل لديها ... فلن تكون أمامها الفرصة لإدارة المنزل بصورة مشرفة ...

وفي نهاية الصف ... استدار "سيرچيو" لها وقال بابتسامة :

– بالنيابة عنا جميعاً ... فإنني أرحب بك في بيتك يا "بارونا" .

ثم أضاف بعض كلمات الترحيب وختمها بانحناءة خفيفة وهو يضيف :

إننا جميعاً نتشرف بوجودك بيننا ... ونرجو أن تتأكدي دائماً أنه يمكنك الاعتماد علينا في كل شيء ...

فأجابت "رومي" وهي تنقل البصر بين الوجوه :

– لقد كنتم جميعاً في غاية الظرف والكياسة معي ... وإنني أشكركم على هذا ... وإنه ليسعدني أن أشعر أن لي هذا العدد من الأصدقاء هنا ... وأتمنى أن أصبح صديقة لكم أيضاً ... وأرجو ألا يتضرر أحد ... أيا كان ... من مقابلتي والتحدث معي إذا ما احتاج إلى أي شيء أو لحل أي مشكلة تواجهه .

بدت على وجوههم ابتسامات سريعة ... ثم انفض الاجتماع ...

وكان "جزافييه" يرقبها ... ثم بعد أن انفردا ببعضهما ... قال بهدوء

– لقد دهشت لك !!

فسألته :

– لماذا ؟

في بعض الأحيان تكونين في منتهى الهدوء واللباقة ... مثل الآن...

إنك تشعرينني بأنني قد أقدمت على أنجح زواج لا يستطيع أي رجل أن

www.elromancia.com

يناله!! كما تجعلينني أشعر بفخر عظيم قلما يشعر به أي زوج في "صقلية" ...

ثم بعد ذلك ... إذا انفردنا ... تتصرفين بكل السبل الشيطانية بل وبكل العيوب التي تطرأ على بالك ...

– ربما ... وقد يكون لك جانب كبير في التأثير علي يا "جزافييه".

فرفع حاجبه بسخرية

– أتمنى لو علمت كيف أخلصك من هذا التأثير ...

ثم طرأت على باله فكرة فاسترسل :

أعتقد أننا لم نرتبط بشيء محدد لبعد الظهر ... فهل ترغبين في التجول معي حول المنزل ؟

فابتسمت وهي تقول :

– نعم !! إنني أحب هذا ... وقد كنت بالفعل تواقة لرؤية كل شيء ...

– إذن : هيا بنا ...

ومضت ساعتان بعد ذلك ... كانت من أسعد الأوقات التي أمضياها معاً ...

وقربت بينهما إلى حد كبير.. فحبها للفنون والتاريخ جعلها تنبهر من أول نظرة بالمنزل وما فيه من روائع ... وكانت تريد أن تتعمق في معرفة كل شيء عن الممتلكات التي كان "جزافييه" يقدرها و يعرف خباياها ...

فقد كان يحفظ عن ظهر قلب تواريخ وأسماء ومصادر كل التماثيل المنحوتة والتحف الفنية الرائعة واللوحات الزيتية ... التي كانت كلها تعتبر من أفخر الرياش ...

وفي لحظة ما ... كانت قد غمرتها السعادة لتفقد كل هذه الروائع ... فتنهدت قائلة :

– إن لديك أشياء غاية في الروعة ...

فصحح لها التعبير :

– لدينا أشياء غاية في الروعة ... فهذه الأشياء كلها ملكك مثلما أملكها أنا...

ثم تقابلت عيناهما وهو يسترسل :

كل شيء هنا ملكك ... وعليك أن تفهمي ذلك ! فأنت سيدة هذا البيت ... ولك

أن تفعلي ما شئت من تغييرات أو إضافات كما يحلو لك ...

وفي أحد صالونات الطابق العلوي ... كانت هناك غرفة تفتح على شرفة فسيحة خاصة بها ... فاستدارت "رومي" فجأة لتلمح لوحة زيتية ... كانت تتوسط الحائط الرئيسي في الغرفة ... وتحدها من الجانبين طاولتان من المرمر المزخرف وتحمل كل منهما زهرية من الصيني الفاخر ... فهذا الترتيب المنسق أعطى للناظر إحساساً لا يخطئ بمدى أهمية اللوحة ...

ولم تكن اللوحة تحتاج إلى أي تجميل ... إذ إن السيدة التي كانت موضوع اللوحة ... تمتعت بجمال ملموس ... وكانت نظرتها الامبراطورية الأخاذة تطل من نسيج الكانفاه ...

حملقت "رومي" مرة أخرى في تلك العيون الخضراء التي اتسعت قليلاً... وهذا الفم الامبراطوري ... وقد علت الوجنتان قليلاً ... وبدا الشعر الأشقر بلون البلاتين ...

وفجأة قالت بصراحة :

– "إيفا" !!

فأومأ "جزافييه" وقد اقترب ليقف بجانبها وهو يجيب :

– نعم !! فكما يقال ... آخر "باروناتي" هل أعجبتك اللوحة ؟

فأجابت "رومي"

– إنها تشبهها تماماً ... وهو عمل ممتازفي هذه اللوحة ... إذ لها أبعاد...

وأخذت تتفقد اللوحة ... فالملابس جميلة ... والمنظور أجمل .. ولكن السيدة موضوع اللوحةبدت دون حرارة ... بل كان انطباعها بارداً ... ومتعجرفاً .. وبدت كنوع من البغي الذي لا يستطيع بعض الرجال مقاومته...

قالت "رومي" باختصار :

- لابد أنك تفتقدها ..

– ما الذي يدعوك لأن تقولي هذا ؟

– إن لم يكن كذلك .. فما كنت احتفظت بلوحتها معلقة هنا بطريقة أخرى ...

ثم رمقته بنظرة متفقدة :

إنها ظاهرة غير معتادة بالنسبة لمطلقين أن يحتفظ كل منهما بصورة زيتية للآخر ... ألست معي في هذا ؟

فأجابها "جزافييه" بسهولة :

– لست أعلم ... إنني احتفظ بالصورة لثلاثة أسباب ... أولها ... إنها في الحقيقة قطعة فنية جميلة .. بصرف النظر عن مضمون موضوعها ...فقد رسمها "انجيلوتشي" ... وأعماله تباع هذه الأيام بأسعار خيالية ...

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة موجهة للسيدة التي في الصورة وأضاف :

والسبب الآخر هو أن هذه اللوحة تليق مع الغرفة ... فقد كانت هذه هي غرفة "إيفا" ... إذ إنها وضعت أثاثها .. وكانت تمضي فيها أوقاتاً طويلة ...

فأجابت "رومي" ببساطة :

– لقد فهمت !!

بينما قررت في ذهنها ألا تدخل هذه الغرفة أبداً كلما استطاعت تحاشيها...

ثم تساءلت بمرارة : وكم يا ترى عدد الأماكن ... التي كانت لـ"إيفا" في هذا المنزل ، وكم مرة بعد هذه عليها أن تأتي في حضور من سبقتها ؟ ثم عقدت ذراعيها وهي تقول :

– وما السبب الثالث الذي يجعلك تحتفظ بها ؟

فأبدى ابتسامة ناعمة وهو يقول :

– آه ! أما السبب الثالث فهو الأكثر تفاهة ... من أجل الأيام الخوالي ...

فعلقت "رومي" مرة أخرى بصوت رفيع :

– لقد فهمت !!

– إنني لست من نوع الرجال الذين يطرحون أصدقاءهم القدامى جانباً ...

واسترسل يقول:

لدي ذاكرة يمكنها أن تحتفظ ببعض الأشياء ..

فابتسمت له بابتسامة براقة وهي تقول :

– يبدو كذلك !! خاصة فيما يتعلق بالنساء ...

– هناك بعض النساء ... يتركن أثراً لا يمحى من الذاكرة ..

– مثل "إيفا"؟

فرمقها بنظرة دون أن يجيب عليها ... وأخذت هي تحملق في محتويات الغرفة ثم قالت :

– إذا كان هذا هو المثال على ذوقها ... فقد تأثرت كثيراً به ... إن ذوقها بالفعل رفيع ...

– نعم !! فقد كانت تتمتع بحس غريزي وقابلية كبيرة لأن تكون على المستوى اللائق... فاستطردت "رومي" ببرود :

– ما هذا اللطف !! لابد وأنك تفتقد مثل هذه الموهبة ...

فلمعت عينا "جزافييه" وهو يقول :

– إنني متأكد أنك سوف تتعلمين ... وأنها مسألة وقت ...

– ليس من سماتك أن تقول هذا .

فأخذ ذراعيها بمنتهى التهذيب وكأنه لم يلحظ كم كانت عضلاتها مشدودة ، ثم قال:

– أبداً !! ... إنك لم تجيبي عن سؤالي بعد !! هل أعجبتك اللوحة ؟

فأجابت وهي ترفع ذقنها قليلاً :

– ليس لدي أي شعور نحوها .. بطريقة أو بأخرى ...

ثم سألها بابتسام وكأن عينيه الرماديتين تمتحنان مشاعرها :

– هل أنت متأكدة ؟ حتى الآن ... فقد أظهرت تذوقاً رفيعاً للفنون وليس من طبيعتك أن تكوني سلبية هكذا في إبداء رأيك في صورة ... وإذا كان لديك أدنى اعتراض عليها .. فلسوف آمر برفعها في التو واللحظة يا عزيزتي ...

فأكدت له :

– لم أفكر في ذلك على الإطلاق ...

وإذا كانت هذه مثل لعبة القط والفأر .. فدعه يسترد إذن مقابل الثمن الذي دفعه، فقررت أن تقول :

– تماماً !! مثلما قلت ... إنها لوحة جميلة .. فلماذا ترفعها من الغرفة التي كانت – كما هو واضح – مخصصة لها ؟

www.elromancia.com

– هذه شهامة منك ... وتستحق التقدير .. سوف ترين إذا أمكننا رجاء "انجيلوتشي" كي يرسم لك أنت أيضاً لوحة ...

فردت "رومي" بلا مبالاة :

– أوه !! لم أكن أحلم بهذا أيضاً ... فمثل هذا التبذير لايتلاءم مع النموذج المتواضع لموضوع اللوحة ...

ثم سلبت ذراعها من ذراعه ... وسارت وحدها بعيداً عن اللوحة وهي تقول بصوت واضح :

– كنت تحدثني عن هذا "الكنسول" المصنوع من خشب الجوز ...إنه "فنيسي" من أوائل القرن الثامن عشر ... أليس كذلك ؟

وقفا في غرفة النوم القرمزية .. وكل منهما في مواجهة الآخر ...

شعرت "رومي" باتزانها يتداعى ويرفرف .. تماماً مثل ممثلة المسرح إذا اختبرت يوماً مرارة الفشل ... إنه نوع من الإرهاب .. حلو المذاق إذ يسري في جسدها ... حتى يكاد يشله ... وكان قلبها ينتفض بنبضاته المتلاحقة التي كادت أن تفتت ضلوعها ...

لقد كان وسيما وجميلا للغاية وفجأة اتضح لها أنها ترغبه ...

فسألها بنعومة ...

– حسناً !! هل تمتثلين يا "رومي" أم ينبغي أن استخدم القوة معك ؟

ولم يكن ردها سلبياً ... فقد رفعت وجهها إلى وجهه وغابا في قبلة حميمة ملؤها الرغبة ... فأحاطها بذراعيه وكانت لا تقوى حتى على التنفس ...

بل غمرتها حرارة سرت في بدنها كما لو أن الشمس أشرقت فجأة في روحها وكذلك الإحساس بأنها مرغوبة منه بعث بدفء تعمق في داخلها ... وانتزع منها كل الشكوك .. وكأن تطويقه لها ... قد منحها قوة وأهمية أكثر من أي شيء آخر في حياتها ...

وشعرت برأسها وكأنه يسبح في خيال مفعم بالمتعة، وبجسدها وكأنه قد ذاب في أحضان السعادة ... التي جعلتها تحلق في سماء بعيدة كل البعد عن أي تفكير يمكن أن يباعد بينهما في هذه اللحظة ...

وتدفقت فيه رغبة جامحة حتى كاد يعتصرها بين ذراعيه وهو يقول :

– كم أنت جميلة !!

واستمر يغازلها ويلاطفها كمن دبت فيه فجأة مشاعر دفعته إلى الخشوع أمام روعة جمالها ... فاستأنف همساته قائلاً :

– لقد غمرتني بشعور جعل قلبي ينتفض بين ضلوعي ...

ثم أخذها من يديها وقادها لتجلس على الفراش الوثير المغطى باللون القرمزي... والذي عكس لونها فتحول إلى اللون العاجي الباهت لشدة ما ألم بها من مختلف المشاعر ...

وعاد ليقبلها بفيض من الحنان وكأنه يحاول أن يرفع الضغط عن أعصابها المتوترة ثم همس بنعومة بالغة في أذنها :

– لا تخافي ... إنني لا أبغي سوى سعادتك ...

واستمر في ملاطفتها بيديه الحانيتين وبرقة بلغت ذروتها ... حتى كادت أن تتجاهل تلك النظرة الشرهة والمتلهفة التي أثارت رعشة في جسدها ...

ولكن سرعان ما اجتذبتها رجولته الساحرة ولونه الداكن الذي اختلف عن لونها تماماً ... وكأنما قوته قد طغت على أنوثتها بنوع من الكمال الغامض...

وشعرت "رومي" أن هذه اللحظات تعتبر خالدة في حياتها... وقد لمحت ظهره الداكن يتألق بانعكاس الضوء الذهبي الخافت في الحجرة ... ثم أيقنت أنها تزوجت رجلاً لم تكن تحلم بأن تحظى بمثله في دنياها ... فوضعت رأسها على كتفه ... واستسلمت لملاطفته الحانية ... حتى غابت في متعة جبارة أثارت كل ما فيها من أنوثة ... ولا عجب !! فقد كان خبيراً في معاملة النساء ... وكانت أصابعه التي دأبت على ملاطفتها تشع إحساساً بكل ما حاولت إخفاءه عنه ... بل ويفضح أسرارها الكامنة ...

مما دفعها إلى البكاء بصوت مسموع ... ينم عن رغبة دفينة طالما حاولت إخفاءها عنه ... وعن حاجة لضمها إلى صدره كي يغمرها بالأمان الذي كانت تفتقده ...

ثم همس في أذنيها بكلمات ملؤها الرغبة ... وكأنما هو يقرأ ما يجول

بخاطرها أو كأنه يتكلم بلسانها عما أحجمت هي عن قوله ...

فشعرت "رومي" بالدماء تتدفق في عروقها ... وتلهب جسدها بحرارة العاطفة الجياشة ... التي لم ينقطع عن بثها في كل قطرة من دمائها ... فذابت معه في بحور العسل ...

وهنا أيقنت مدى الفرق الشاسع بين زوجها و "بول مورتيمر" الذي اعتقدت يوماً أنه أحبها بكل حواسه وطاقته ... ولم يكن هذا الحب إلا شمعة مضاءة ... إذا قورن بتوهج الشمس الساطعة التي شعرت بدفئها مع "جزافييه" .

فهل استطاع "جزافييه" أن يستنبط هذا الشعور ... وهل أحرقته نار الغيرة من "بول" مثلما شعرت هي بخنجر يطعنها في أعماقها كلما خطرت "إيفا" على بالها ... وهل تعمق زوجها في التفكير ليعرف أن "بول" لم يكن يحبها إلا لمجرد امتلاكها وإشباع نزواته وغريزته الحيوانية ...

وللحظة ما ... إذ طرأت على بالها فكرة "بول" ... شعرت وكأنها تتداعى وتنشغل عن المتعة التي تنعم بها مع "جزافييه" ... وإذ به يلمس هذا الشعور لمجرد إخفاقها في تقبيله ... فما كان منه إلا أن عقد شعرها على أصابعه وشدها نحوه ليجبر شفتيها على الاستسلام لقبلته ... فقاومته لوهلة خاطفة ...

ثم عادت تلهث وراء شفتيه ... وغابا في تلك القبلة الجائعة ... الشرهة ...

التي لم تكن سوى دلالة قاطعة على مدى الرغبة التي شملتهما ...

وقد استخلص "جزافييه" من الوضع ككل ... أنه يقحمها في المتعة سواء رغبت أو أبت ... فلم تجد مفراً من استبعاد "بول" وغيره عن مخيلتها والاستسلام لزوجها بعد أن أيقنت أنه وحده الذي يعني كل شيء بالنسبة لها ... ووجدت نفسها لا تستطيع الحيلولة دون البكاء ... إذ كان التوتر والغضب قد ذابا في غمرة سعادتها ... التي جعلتها تخرج من هذه التجربة وعيناها تسبحان في عبرات المتعة والعاطفة ...

وأخيراً شعرت بأنه تملكها بالفعل ... كما لو أنه اضطر لعبور جسر مهول للتوصل إليها ... حينئذ أيقنت أن عودتها أصبحت مستحيلة ، فأخذت نفساً عميقاً ومتلعثماً ... وظلت قطرات من الدموع تتأرجح في جفونها إلى أن

سقطت على خديها ... فنظر إليها "جزافييه" ولم يتفوه بكلمة واحدة ...

إلى أن أخفت وجهها بيديها وهي تجفف تلك الدموع ... فتركها تبكي للحظة ثم أخذها بين ذراعيه وكأنه ضاعف من حنانه إليها ... وقبلها وهو يقول :

- لقد كنت فظاً معك !!

- كلا لم تكن كذلك !!

قالت هذا وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها بينما جرت الملاءة لتلتف بها ...

كانت ترتعد والدماء تتصاعد إلى جلدها لتصبغه بحمرة جميلة ... ثم رقدا على الفراش في صمت تام لمدة طويلة إلى أن عادت أنفاسهما لطبيعتها ... وكانت الغرفة الدافئة تعمها إضاءة خافتة ... فبدت صورتهما معاً وكأنها لأسعد زوجين أما الواقع فقد كان مختلفاً تماماً ... إذ رقدت "رومي" إلى جانبه ... وكانت تتمنى لو تبدلت تلك المشاعر الطيبة التي طرأت عليها ... فلماذا قبلت أن يتغير الوضع للوصول إلى هذا التقارب في الأحاسيس والذي لم يكن في حسبانها... إن السعادة التي غمرها بها منذ لحظات ... لم تكن إلا مادة جسدية ... كانت قبل ذلك ... قد حذرت نفسها ألا تقع في محنة تقحم فيها عواطفها ... إذن فقد أخطأت بمنحه تلك العواطف ...

بعد فترة ... قام "جزافييه" ليأتي لها بكوب من العصير ... فأخذت "رومي" تتفقده من بين أهدابها ... وتأملت في الضوء الخافت ذلك اللون البرونزي الداكن الذي غلف كتفه وظهره ليكشف عن قوه كامنه فيه ... أما ساقاه الرياضيتان فقد أعطيتاها إحساسا ... كلما تحرك ... وكأنه في حلبة رياضية أو أنه صياد يتحين لفريسته الفرصة كي ينقض عليها .

ثم رجع إليها في الفراش حاملاً أكواب العصير ... وقد زين الكوب بشرائح من البرتقال ... التي أخذت تتذوقها وهي تشعر بالطعم اللاذع للقشرة ...

وما كانت إلا صورة لحالها هي ...

وبينما يرقب عينيها وقد اغرورقتا بالدموع قال لها :

- إنك لم تتفوهي بكلمة واحدة !! إنني لم أعرف أنثى تظل صامتة هكذا وهي

في أوج سعادتها !! إنك مازلت تخفين عني أشياء كثيرة يا "رومي"

فأجابته وهي تحاول أن تتحداه :

– ربما لا يكون عندي ما أعطيه بعد ...

فرد عليها قائلاً :

– أي شيء هو أكثر من لا شيء ... وأنت لم تعطي شيئاً الآن ...

وكنت أعتقد أن ما حدث اليوم سوف يقرب بيننا ...

– سوف أحاول أن أكون كما تريدني ...

فتضاءلت علامات السخرية من وجهه ... واتكأ على كوعه وهو يرقب وجههابتلك العينين الرمادتيين الثاقبتين ، فشعرت بمدى تأثيره عليها ... واسترسل هو قائلاً :

قولي لي ... وأرجو أن أسمع الحقيقة ... هل مازلت تحبين ذلك الـ"بول مورتيمر" ... الرجل الذي خذلك ؟

ففكرت وأيقنت أنه بالفعل قد أدخل "بول" في عقله وتفكيره فأجابت :

– بالتأكيد لا !!

– ولماذا بالتأكيد لا ... لقد أخبرتني يوماً أنك تعلمت الكثير عن العلاقات البشرية من خلال هذا الرجل ... كما أخبرتني أنك لن تدعي رجلاً آخر يستغلك... وهذا يعني أنك توغلت في علاقتك معه ...

فأيدت كلامه قائلة :

– فعلت ذلك مرة ... فقد اعتقدت يومئذ أنني أحببت "بول" ... إذ إنه كان يختلف عن كل من عرفتهم .. لقد كان ... (وهزت كتفيها بطريقة غير ملائمة) واسترسلت :

ولكنك لا تريد أن تسمع كل هذا الهراء ...

– ليس لدي الآن ما أفعله ..

ثم وقف إلى جانبها يستعرض جسده وهو يقول :

هل كان يختلف عني ؟

– أوه !! كان يبدو ممتازاً بالنسبة لي .. فقد عرفته ذكياً ... حساسا...

وخلاقاً ... ولكنها كانت خدعة .. مظاهر ... فلم تكن له أعماق .. ولم يكن يعطي شيئاً بل كان يأخذ دائماً ... حتى قبل اكتشافي لزواجه ...أعتقد أنني بلا إرادة أحسست بمدى الخطأ الذي وقعت فيه ... لم يكن الرجل الملائم بل كان من الرجال الذين يفترسون النساء وهن يجهلن أنه ذئب مفترس ...

ثم استدارت لتضع الكوب الفارغ ... واستطردت تقول :

لقد أخبرتني أنك تقابلت معه قبل زواجنا ... أين قابلته ؟

ولم تكن هناك أي تعبيرات على وجه "جزافييه" وهو يجيب :

– لقد طلبت منه أن يحضر لنتناول معا أي شراب ... فحضر إلى فندق "أثينيوم" ومكثنا نتحدث لمدة ساعة ...

فهزت رأسها تعجبا وهي تقول :

– وما الذي دعاك إلى الإصرار علي مقابلته ... هل هو مرض الفضول ؟

– من الجائز ... ولكن كانت لدي أسباب أخرى ... فقد شعرت أنه يستطيع إعطائي المزيد من المعلومات عنك ...

فقالت "رومي" بشيء من الجفاء :

– أنت رجل شامل !! ولا عجب أن تكون كافة استثماراتك سليمة ..وأظن أنك لم تأخذ انطباعاً قوياً عن "بول" .

فلوى "جزافييه" إحدى شفتيه وهو يقول :

– إنه لم يبد لي الرجل العاطفي الذي تحلم به النساء ... بل إنه سطحي جداً وتافه وقد سعدت عندما تركني ...

وفجأة طرأ على بال "رومي" التدبير الذي تم بينهما قبل الزواج فيما يتعلق بإنجاب الوريث فاستطردت قائلة :

– إذا كان هذا هو انطباعك عنه ... فلماذا تسألني إذا كنت لا أزال أحبه ؟

فأجاب بهدوء :

– كنت أحاول استيضاح تصرفك ... فقد أخبرتني ليلة أمس أنك تكرهينني... وكنت أتساءل ... لماذا ؟

فقالت "رومي" بحذر :

www.elromancia.com

– نظراً للظروف التي أحاطت بزواجي ... وهل تعتقد أنه هناك سبب واحد يجعلني أحبك ؟ وقد كنت غاضبة ... وكانت أعصابي متوترة ... ولكنني لاأكرهك ... وأعتذر عما بدر مني ...

فعلق ببرود :

ومع ذلك ... فأنت تخرجين عن الوعي لتؤلميني ..

فابتسمت "رومي" قائلة :

– أنا أؤلمك !! إنك غير قابل للإيلام يا "جزافيه" ... وغير قابل لأي شيء يمكنني أن أفعله لو حاولت أن أؤلمك ... وعلى أيه حال ... فقد عقدنا صفقة..

اتفاقا ... أنت تزوجتني لأنك ترغب في الحصول على وريث ... ثم اعتقدت أنه بإمكانك الحصول على حصة من مصانع "فورلاري" ... وأنا تزوجتك كي أنقذ والدي من الخزي ومن الكارثة...

فسألها بازدراء :

– هل حقاً باستطاعتك الكلام في الاتفاقات والصفقات في وقت مثل هذا؟

فردت "رومي" :

– وأي الأوقات أفضل من الآن ؟

فنظر إليها بعينيه الرماديتين الحادتين .. وقال بجفاء :

– إنك تحيرينني ... فمنذ قليل ... لم تعترضي على ملاطفتي لك ... ثم إذا تناقشنا في عواطفك تريدينني أن أصدق أنك لا تحملين ذرة منها لي ... ومثل هذا التصرف لا يصدر عن أنثى ... هل اختلطت عليك الأمور في هذين الاتجاهين؟

فنظرت إليه من خلال خصلة الشعر المتهدلة على جبينها وقالت :

– لا أستطيع الكلام بلسان نساء أخريات ... فإن الوضع وضعي أنا ... كان قد أفرغ كوبه ... فأخذ الكوبين يضعهما بعيداً وهو يقول :

– لقد فهمت ... وفي هذه الحالة ... أعتقد أننا نضيع وقتنا في الكلام ... أليس كذلك ؟.

وقد استنفدت هذه الليلة كل ما حملته من عواطف دافئة ... حتى أنها لم تترك

مزيداً من العواطف لصباح اليوم التالي ...

ولو كانت "رومي" لم تستمتع بالسعادة في رفقته ... لما جلست على مائدة الفطور ... ولا استطاعت إمعان النظر في عينيه .. ولما كانت إجاباتها عن أبسط أسئلته نمطية وموجزة ...

إن العاطفة المشحونة والدفء الذي ألم بها أثناء الليل ... قد وضع غمامة على عينيها ... إذ كلما تذكرت أحداثها ... شعرت بمذلة لسيطرته على إحساسها وانتصاره عليها بكل بساطة ...

وبالتأكيد ... فكرت "رومي" ملياً في الموضوع ... فوجدت أنه خبير في فن الإغواء ... وربما كانت هي آخر من مر على هذا الخط ... ولم تستفد إلا بالكثير من الخبرة ...

كان يقرأ جريدته ... ثم نظر إليها وكأنه يخبرها عرضاً :

– أوه !! كدت أنسى أن أخبرك .. فقد تكلمت "إيفا" بالتليفون هذا الصباح بينما كنت نائمة ... وهي سوف تحضر بعد ظهر اليوم ...

وضعت "رومي" الملعقة ... وانتصبت في جلستها وهي تسأل بحدة :

– "إيفا" ... وما السبب لحضورها ؟

– مجرد محادثة اجتماعية ... أو أكثر من هذا بقليل ...

فكررت :

– أكثر من هذا بقليل !! ماذا يعني هذا القول ؟

– إنني و"إيفا" .. مازالت تجمعنا عدة عوامل مشتركة ... فهناك أشياء ينبغي أن نناقشها ... وبالتأكيد فإنك التقيت بها قبل ذلك :

ثم عاد يتصفح جريدته دون إعطاء تفاصيل أخرى ...

وتملك "رومي" الغضب وهي تستعرض في مخيلتها ما سبق وفكرت فيه : إنن فهي على حق ... "إيفا" سوف تحضر لتختبر القادمة الجديدة ... فهبت قائلة :

– نعم !! ولكن تحت ظروف مختلفة ... وكان ينبغي أن تستشيرني قبل دعوتها.

فابتسم ببساطة ... وسكب لها مزيداً من عصير البرتقال ... ثم قال:

– للأسف كنت في سبات عميق ولقد خجلت من أن أوقظك ...

– أوه !! هل كنت كذلك حقاً !!

وجاء الخادم لينظف المائدة ... فأحجمت عن الكلام وقتياً وقد فرغ صبرها ... فرمقها "جزافييه" بنظرة مازحة حينما انفردا ثانية ... ثم قال :

– يبدو عليك أنك مضطربة .

فأجابت "رومي" وقد ارتفع صوتها :

– بالتأكيد أنا مضطربة ... وهل تتعمد إذ لالي ؟

فتشدق بالكلمات وهو يقول :

– يا طفلتي العزيزة ... لقد اعتقدت أنك ستسعدين باغتنام الفرصة كي تلتقطي بعض اللمحات من زوجتي السابقة ... ثم .. لقد سمعتك تقولين إنك في حاجة إلى تعلم الكثير بعد ...

وغابت الكلمات عن لسانها وهي تقول بتقطع :

– أنت ... إنه لم يمض على زواجنا أسبوع واحد ...

فنظر إليها وكأنه استطاع تواً التقاط النقطة الهامة من خلال مزاحها ... فسألها بنعومة :

– أه !! أذن فأنت غيور!! كنت أعتقد أنك لا تحملين أية مشاعر تجاهي ..

فهبت قائلة :

– إنها ليست ما أحمله لك من مشاعر ... إنها فقط مسألة وضعي في بيتك... فإنك لم تتوان لحظة عن إفهامي الدور الرفيع الذي ينبغي عليّ أن أقوم به ...

ثم بكل بساطة ... تتصرف هكذا ... لقد وضعتني في موقف غير لائق يا "جزافييه" ..ولماذا لا تستغل الفرصة لتدعو مجموعة من عشيقاتك السابقات.... وهكذا تبدأ عصر الحريم ...

فأجابها بتهكم :

– إنها حقاً فكرة مشوقة ... ولكنها غير عملية !! تأكدي أن "إيڤا" متشوقة جداً لمقابلتك ... وإن لم يكن لديك مانع... ففي هذا المنزل متسع للجميع ويمكن أن يضمكما معا ... دون أن يحدث أدنى احتكاك.. ولو للحظة واحدة ...

فردت "رومي" باختصار :

– ليس هناك منزل بالاتساع الذي يمكن أن يضم زوجتين معاً ...

ولم تتغير تعبيرات "جزافييه" ... فقد بدا وجهه وسيماً للغاية ... ولكنها تلك الوسامة التي يتسم بها بعض الرجال الذين لا قلوب لهم .

– إنني لا أتفق معك في هذا الرأى يا حبيبتي ... إنك منفعلة للغاية. وبكل تأكيد ترغبين في المزيد من عصير البرتقال ... إنه عصير طازج ..و مملوء بالڤيتامينات ...

وصلت "إيڤافون شيمل" الساعة الثانية .. بسيارتها "الفراري" الصفراء وكانت ترتدي معطفاً من فراء النمر ... وفستانا من منتجات "كريستيان ديور" يتلاءم مع لون السيارة "الفراري" ....

وكان المعطف من الفراء الطبيعي للنمر ... إذ إن "إيڤا" لم تكن من نوع النساء اللاتي يهمهن حماية هذا الجنس من الانقراض ...

وكانت "رومي" تنتظر في الصالون وهي متوترة ... وقد بدت عليها ابتسامة فاترة ... كانت تعلم بالغريزة أن وصول "إيڤا" سيكون مشهداً مثيراً ... أما هي فقد ارتدت زياً باللون الرمادي الداكن ذا چاكيت فضفاض ... مع حزام جلدي عريض ... ولم يقع عليه اختيارها إلا لتثبت الأناقة ... وكانت تأمل ألا تندثر أناقتها وراء جلد النمر ذي اللون الأصفر ...

وكانت تراقب "جزافييه" من خلف النافذة وهو يحيي "إيڤا" ..

فكان مشهدا رقيقاً للغاية ... إذ لفت ذراعيها المنقطة بلون جلد النمر ... حول عنق "جزافييه" بشوق شديد ... وغابت معه في قبلة طويلة من الفم إلي الفم ... ثم تشابكت الأذرع ... ليقود "جزافييه" زوجته السابقة إلى داخل المنزل ...

– كم أشعر بالسعادة لعودتي إلى هنا !!

قالت ذلك "إيڤا" وهي تخلع قفازيها وتلقي بهما على الطاولة ... ثم مدت يدها... ذات الأصابع النحيلة الطويلة ... إلى "رومي" ... التي أخذتها بكل البرود المستطاع ... فانحنت السيدة إلى الأمام لتقبلها من وجنتيها في سحابة

www.elromancia.com

من المرح على طريقة أهل المنطقة ... وكانت القبلة ذات صوت مسموع ولكنها بعيدة عن تلامس الوجنات بمسافة ليست بالقصيرة ...

وكانت نظرة شاملة من تلك العينين الخضراوين استدارت بعدها "إيفا" وهي تبتسم لـ"جزافييه" ابتسامة ملؤها الإعجاب ... كما لو أنها تهنئه على شراء قطعة فنية جميلة من "درسدن" ثم قالت :

– ولكنها رائعة يا حبيبي ! حقيقة رائعة !! كيف تصرفت بهذه البراعة ؟ ...

فابتسم دون إبداء أي توتر ثم أجاب :

– لا تنسي أنني كنت دائماً في منتهى البراعة ...

ثم استدار إلى "رومي" قائلاً :

– "رومي" ... أحب أن أقدمك إلى "إيفا فون شيمل" زوجتي الأولى ...

– أهلا وسهلا !!

حيتها "رومي" بصورة رسمية ... ووقفت السيدتان جنبا إلى جنب للحظة قصيرة ... حيث اشتعلت نار الكره في قلب "رومي" في التو واللحظة ... وتذكرت أن "إيفا" كانت مثلها طويلة ونحيلة ... ورغم أن "إيفا" كانت تكبرها بنحو خمس سنوات إلا أنها بدت ناعمة ممشوقة ... لامعة البشرة... رشيقة القوام ... مثل نجوم "كرة التنس" ... وكان شعرها البلاتيني مصففاً بالطريقة التي جعلته يبدو على شكل إطار واسع يحيط بوجه شبيه بوجه القطة ... فالعينان خضراوان بلون الزمرد ... والفم متسع قليلاً ليكشف عن أسنان ناصعة البياض مثل الصيني...

– لقد كنت طفلة عندما رأيتك آخر مرة .

وكانت "إيفا" تتحدث بلغة إنجليزية ممتازة ذات لكنة خفيفة ... وأخذت عيناها تتفحصان "رومي" بصورة شاملة ... حيث تعمدت الإقلال من شأن زيها وحليها من اللآلئ ... ثم ابتسمت بنوع من التعاطف وهي تقول :

– ولكنك قطعاً بدأت تنضجين ...

فأجابت "رومي" بصراحة :

– نعم !! قطعاً بدأت أنضج ...

وجلس الجميع على أريكة فسيحة بجوار النافذة ... كمن كونوا مجموعة حضارية ... بينما أتى الخادم ليقدم المشروبات وهو يحمل صينية كبيرة من الفضة عليها فطائر باللوز من النوع المشهور في "صقلية" ... وأخذت "إيفا" تتفقد ما حولها ... بينما "رومي" ترتشف مشروبها ... إذ ادعت الذكاء وهي تقول :

– ولكنك لم تعد تحاول تنسيق وتزيين المكان ... إنه يبدو تماماً مثلما كان في اليوم الذي تركته فيه ... وكنت أتوقع المكنسة الجديدة أكثر نظافة ..

فسألتها "رومي" :

– لماذا ؟

وتقابلت عيناها مع عيني "إيفا" الساخرتين ... إذ استطردت قائلة :

– حسناً !! بكل التأكيد فإن هذا المناخ قد يصيبك بالخمول يا حبيبتي ...

وفي الواقع ... أنت أجمل وأصغر من أن توضعي في هذا القفص الكئيب...

فقالت "رومي" في محاولة منها ألا تتقبل المضايقة :

– إنني لا أري في المنزل كله ما يدعو للكآبة ... بل على العكس ... فبرغم صغر سني ... إلا أنني سعيدة جداً فيه .

ولم تكن الكآبة تتعلق إلا ببعض القطع الأثرية التي كان باستطاعتها أن تتعامى عنها ... ثم لمحت "جزافييه" وهو يحدق بنظرة ساخرة فضحكت "إيفا" وقالت:

– بالتأكيد !! ينبغي أن تكوني سعيدة ... إنني متأكدة أن "جزافييه" يعبدك وهو رجل يعرف تماماً كيف يسعد المرأة ... أليس كذلك يا حبيبي ؟

فابتسم "جزافييه" قائلاً :

– إني أفعل كل ما في استطاعتي ... ولا تنتظري من أحد ... يا "إيفا" .. أن يشاركك في الفكرة المتسلطة عليك ... من حيث محو الماضي بأسره ...

وربما كانت "رومي" تتمتع بحس فني أكثر مما كان لديك ...

ولو أن "جزافييه" كان حذراً .. لا ستنشق رائحة التوتر النسائي وقد اختلط بهواء الحجرة ... إلا أنه لم يبد أي علامة تدل على ذلك .. ولم يخف على

www.elromancia.com

"رومي" أن تلاحظ عيني زوجها اللتين كان اجتذابهما مركزاً على ذلك الوجه المتألق والصافي لـ "إيڤا" ... ولم لا؟ فشعرت "رومي" بأنه قد تملكها شعور بالمرارة وهو ما كانت تخشاه ... أنها تتطفئ ببطء في خلفية مشحونة بجو الخيانة ثم أيقنت أن اختيارها للزي الرمادي القاتم مع الحلي من اللآلئ ... كان خاطئاً ...

وكان بالأحرى أن تختار الملابس الزاهية الألوان كي تتغلب على اللون الأصفر الصارخ الذي تحلت به "إيڤا" ...

استدارت "إيڤا" نحو زوجها السابق وهي تربت على كتفيه بأصابعها الطويلة وتقول :

– "الفراري" ... يا حبيبي ... لقد ساءت حالتها للغاية ... ألا تستطيع أن تتكلم مع الوكيل بشأنها ... إنهم غالباً ما يوهمونني بأنها سليمة تماماً وليس بها أية أعطال ...

ثم اتجهت بحديثها إلى "رومي" :

– إنهم يعتقدون يا "رومي" أنني بصفتي امرأة .. فلا أفهم أي شيء في ميكانيكا السيارات ... ولكني أحاول دائما أن أثبت لهم أنني لست إيطالية ... وإنما سيدة ألمانية وأنني أفهم في هندسة السيارات...

وعادت بحديثها مره أخرى إلى "جزافييه" تسأله :

– ألا يمكنك أن تتحدث إليهم يا "زافي" ؟

فوافق "جزافيية" على مطلبها قائلاً :

– تحت أمرك ... ولكن ما هي مشكلتها ؟

جلست "رومي" بلا حراك بينما استرسلت "إيڤا" في سرد قائمة مفصلة بالعيوب الوهمية التي لحقت بالسيارة ... وكانت طوال فترة الحديث تضع يدها على "جزافييه" فاستشاطت "رومي" غضبا إذ إن المودة المؤكدة المتبادلة بين هذين الاثنين ... كانت تؤلمها للغاية .. بل وقد تعدت كل الحدود التي لم تحسب لها حساباً ... مما جعلها تشعر باليأس ... وكأنها في معزل عن العالم داخل مكان مظلم وبارد ... ولم يكن هناك ما يدل على وقوع شجار مرير مما يعتبر

من السمات المميزة لأي زوجين مطلقين ... بل على العكس ... فإنهما لا تقان كل للآخر كما لو كانا أسعد عاشقين ... وأن "رومي" هي الدخيلة عليهما ...فأوما "جزافييه" قائلا :

– حسنا جداً !! اتركي السيارة هنا اليوم ... وفي المساء سوف يصحبك السائق بسيارتي "الداملر" ليوصلك إلى المنزل ... وأما بالنسبة لسيارتك... فسوف أتولى اصلاحها غداً صباحاً لدى الوكيل ...

– أوه !! كم أنت ودود ...

ثم اختلطت عليها الابتسامة التي وجهتها لزوجها السابق ... بينما هي تستدير إلى "رومي" وتستكمل :

– أعتقد أنه لامانع لديك !!

فابتسمت "رومي" ابتسامة خاوية لهاتين العينين الخضراوين تنم عن الانتصار...وأجابت :

– بالتأكيد !! وأي مانع ممكن أن يكون لدي ؟

فقالت "إيڤا" بنوع من السجع !!

– حبيبتي !! ليست كل زوجة ثانية بمثل تحضرك ... ولقد كنا نتحدث عن المنزل ... والآن ... لا مجال للنقاش ... فلا بد أن تعيدي تنسيقه ...

ثم لعقت "إيڤا" أصابعها من آثار السكر ... ومدت يدها إلى الصينية الفضية التي تحمل فطائر اللوز ... لتتناول قطعة أخرى منها ... واسترسلت في الحديث عن تنسيق المنزل بقولها :

– الرب وحده يعلم كم يحتاج هذا المنزل إلى إعادة تنسيقه ...

وبلاشك سأساعدك في كل شيء ... إذ كان ينبغي عليّ القيام بهذه المهمة منذ سنوات مضت ... ولكنني سوف سأكون في منتهى السعادة لو استطعت معاونتك الآن ...

فحاولت "رومي" ألا تضغط على أسنانها من فرط الغيظ وهي تجيبها :

– في الواقع إنني أحب هذا المكان ... ثم إنني تزوجت منذ أسبوع واحد فقط وإنني أ رى أن الوقت لايزال مبكراً كي أبدأ في عمل تغييرات ...حتى وإن

www.elromancia.com

كانت بمعاونتك المتمكنة ... أليس كذلك ؟

فأشارت "إيڤا" عليها بإحدى فطائر اللوز ثم استرسلت معها في الحديث قائلة:

– من هنا يبدأ الخطأ الذي تقعين فيه ... لا عليك من أن تأكلي كل تلك السنوات العامرة بالتاريخ وبالأتربة ... لقد أخبروني أن ورق الحائط بالڤيلا التي أقيم بها ينتمي إلى القرن الثامن عشر ... ولكنني أجده قديماً وأعمل على تمزيقه وانتزاعه بالكامل حتى يتسنى إعادة طلاء الڤيلا باللون الأصفر الجميل والجديد، كما أنني قررت إرسال عدد كبير من التحف القديمة الكئيبة إلى التجار.

– أحقاً هذا ؟

– إنها ضمن محتويات الڤيلا ... والمفروض أنها من أشغال "الروكوكو" ولكنني أعتقد أنها نسخة طبق الأصل من تحف القرن التاسع عشر ...

فقال "جزافييه" بمنتهى الثبات :

– بل إنها بالفعل "الروكوكو" الأصلي ... وما تفعلينه الآن هو تخريب متعمد على نطاق واسع يا "إيڤا" .

فرفعت أنفها متعالية على "جزافييه" وهي تقول :

– حبيبي ! إنني أنحدر من أصل متعمق في التخريب ... وأنت تعلم ذلك ... وعلى أي الحالات .. فإنني بصدد الحصول على أثاث رائع مصنوع في "تورينو" .. وكل تنجيده من القماش الذهبي المقصب ... وهو ما يحتاج إليه بالفعل هذا المكان ...(ثم توجهت إلى "رومي" بالحديث) ...اسمعي يا عزيزتي... سوف أرسل ذلك الرجل كي يتحدث معك ... وتأكدي أن لديه أفكاراً رائعة...

فأجابت "رومي" بخفة :

– أرجوك لا تفعلي هذا ... سوف تكون مضيعة لوقته ... فإنني لا أنوي على الإطلاق تغيير أي شيء في المنزل ... ولا أتجرأ أن أبدأ في عمل أي شيء دون استشارة "جزافييه" ...

فابتسم "جزافييه" وكأنه لا يريد التعليق ... ثم وضع كوبه وقال وهو يعلن

خروجه:

– لابد لي أن أخرج الآن وأترككما للتحدث معاً ... إنني أعتذر عن هذا ... ولكن لدي موعد هام مع شخص من "باريس" ... ولو أنه ممل للغاية ... إلا أن المقابلة لن تدوم أكثر من ساعة أو ساعتين ... وإنني على يقين من أنكما ستكونان معاً كمن جمعتهما الصداقة منذ القدم ...

فأجابت "رومي" :

– بكل تأكيد ... سوف نكون كذلك ...

وظل "جزافييه" كتوما أمام سخريتها ... إلى أن استأذن منهما بلباقته المعتادة... فتنهدت "إيڤا" بصورة درامية عندما أغلق الباب وراءه .

ثم استمرت تتحدث مع "رومي" وقد تقابلت عيونهما :

– أوه !! إنني أفتقده ... كل الرجال بعد "جزافييه" ما هم إلا تقليد بالكربون، هل تعلمين ذلك ؟

حاولت "رومي" أن تكبح جماح غضبها وأن تقاوم اندفاعها لإسكات تلك المرأة، فتناولت كوباً آخر من العصير .. وقدمت أيضاً المزيد لـ"إيڤا" ولكنها اعتذرت عن تناوله قائلة :

– كلا ! أرجوك !! لقد منعني الطبيب من تناول مشروبات كثيرة وما علي إلا أن أتبع أوامره ...

– يبدو أنه طبيب ممتاز ..

– فعلا يا حبيبتي ... إنك لا تتصورين كم كان عدد الأطباء الذين زرتهم .. إلى أن استقر الحال عليه ... أؤكد لك أنه فعلا رائع ... إنه مصمم على أن أتناول يومياً أوقية من الكافيار الروسي ..

وليس ذلك الذي يسمونه فارسيا ... ويبدو أنني محتاجة إلى المزيد من البروتين...

– بكل تأكيد أنت محتاجة إليه ... ولكن أخبريني كيف يسير العمل في الڤيلا... يبدو أن هذا الموضوع مهم جداً ...

ومضت عشرون دقيقة ظلت "إيڤا" تسترسل في فيض من الحديث ... حتى

Dima.elromancia.com

أيقنت "رومي" أن هذه السيدة لم تكن تحب أحداً أكثر مما أحبت ذاتها ... إذ لم يتطرق الحديث إلى شيء سوى .. نفسها .. خططها .. ممتلكاتها .. وحياتها... كما أن عجرفتها الكامنة كانت مخجلة ... ولقد اعتادت "إيفا فون شيمل" أن تنال الأفضل - دائما - من كل شيء في الحياة ... فأصبحت مثل "أميرة" في كل تصرفاتها ومواقفها ... ولكي تتناسق أنواقها في كل شيء كانت ولابد أن تكون قاطعة نهائية وباهظة الثمن ...

وطرأ على بال "رومي" أن تقدر ذلك الرداء الحرير ماركة "ديور" ..والمعطف المصنوع من جلد النمر الطبيعي ... والبروش الماس المبهر الذي يتألق على صدر "إيفا" ... ناهيك عن السيارة "الفراري" ... إلى أن وجدت نفسها تتصور بكل المرارة والأسى ... لو أن "جزافييه" هو الذي يدعمها حتى الآن لتعيش في هذا المستوى وتحافظ على نمط حياتها ...

ثم تنهدت "إيفا" وهي تقول :

- لقد عدت إلى "دوسلدورف" منذ عامين ... ولكني افتقدت "صقلية" كثيراً... إنني أكره شتاء "ألمانيا" .... وأحياناً أكره أن أسمع أي شيء عن "ألمانيا"... ولو أني أملك بعض المال ... لكنت أسعد مخلوقة تعيش هنا... فسألتها "رومي" بأدب :

- وهل تستطيعين ؟

فأطبقت جفونها قليلا وهي تنظر إلى "رومي" من خلف كوب العصير ثم قالت:

- ولكن ... بكل تأكيد ... لا ينبغي أن تشغلي بالك بمثل هذه الأمور ياعزيزتي... إنك لم تتحققي بعد من مدى الثراء الذي تعيشينه ... إنني حقاً أستمتع بحريتي الآن ... ولكني كنت أعبد خروجي بالسيارة "الليموزين" ... والسائق بزيه الرسمي .. وأسمع الناس يدعونني "البارونا"...

فأجابتها "رومي" بشيء من الجفاء :

- ولكن يبدو أنك حتى الآن لم يطرأ عليك أي تغيير ...

فتنهدت مرة أخرى كما لو كانت تمثل على مسرح وقالت :

- إن "الفراري" جميلة ولكنها ليست "الداملر" ... كما أن الڤيلا ليست مثل

القصر ... ولكن يستطيع المرء أن يسعد لمجرد الاستماع إلى زقزقة العصافير واستنشاق عبير الورد... إنني أحب كل شيء في هذه الجزيرة ... أحب فيها الهواء والناس والطعام .. إنني لا أقوى على مقاومة الحلوى ... وإنني بالفعل محظوظة إذ أستطيع أن أتناول أطباقاً مليئة بمثل هذه الحلوى ولا يطرأ على وزني أي زيادة ...

وكان وجه "إيفا" نحيلاً لا يبدو فيه أي امتلاء إلا في الأماكن الصحيحة ...

فرمقت صدر "رومي" بنظرة انتقادية وقالت :

- أما أنت ... فلابد وأن تتجنبي مثل هذه الحلوى ... وينبغي أن تنقصي وزنك على الأقل رطلاً أو رطلين ... أليس كذلك ... أم أنني أخطأت في التقدير ؟

وتغير لون وجنتي "رومي" فجأه كأنها تبين لـ"إيفا" مدى تدخلها في خصوصياتها ... فبادرتها برد مريح قائلة :

- أعتقد فعلاً أنك أخطأت ...

- إذن ! ربما تكونين سعيدة ومقتنعة بما أنت عليه الآن ...

وكان تعبير "إيفا" أكبر دليل على أنها لم تكن مسرورة من وجه "رومي" ... ثم مالت إلى الأمام وعقدت أصابعها الطويلة ثم قالت :

- وهأنت هنا الآن ... أخبريني كيف تقدم "زافي" إليك؟؟

ولم يكن هذا السؤال هو الذي يحظى بالإجابة البسيطة ... فأطبقت "رومي" على شفتيها وقالت بمنتهى السلبية :

- لقد كان صديقاً لأسرتي منذ زمن بعيد ... وأنت تعلمين هذا ... فبدت عينا "إيفا" جامدتين و عادتا مثل الزجاج المكسور حين استطردت :

- إنه لم يكن امتداداً للتودد ... اعذريني يا عزيزتي ... ولكني لم أعتبر إطلاقاً إمكانية تصورك زوجة لـ "زافي" ... إلى أن علمت ذلك منذ حوالي أسبوعين ... كنت أفكر فيك ... هذا إذ طرأ على بالي أن أفكر فيك ... فأنت الفتاة الصغيرة ... ولم يكن لدي الوقت كي أعتاد على فكرة زواج "زافي" مرة أخرى قبل أن يحدث هذا الزواج ... فاعتدلت "رومي" في جلستها وهي ترتب

ثنايا ردائها ثم قالت :

– قطعاً ... فقد مر كل شيء بسرعة كبيرة ... إن "جزافييه" هو رجل القرارات السريعة ... ومن المؤكد أنك تعرفين هذا ...

– هل تعلمين كيف أفكر ؟

– في أي شيء ؟

– إنني أفكر فيك أنت و"جزافييه" ... وأعتقد أن مثل هذا الزواج السريع لايكون له إلا تفسيران : إما أنه مسلوب العقل تماماً وهو معك ... أو أنه لا يأبه بك على الإطلاق ...

وبعد أن فجرت هذه القنبلة ... استرخت في جلستها إلى الوراء ... وابتسمت في وجه "رومي" وهي تسألها :

– والآن !! أيهما هو الأرجح ؟

واعتمل في داخل "رومي" صراع كي تحتفظ بهدوئها وهي تجيب :

– ربما تكمن الإجابة في مكان ما بين هذين التفسيرين .

– غالبا ما يكون كذلك !!

هكذا وافقت "إيفا" على الإجابة ... ثم تناولت سيجارة من حقيبة يدها وأشعلتها ... ثم نفثت دخانها عالياً كي تتيح الفرصة أمام "رومي" لتلحظ ذلك العنق الطويل والنحيل ...

وكانت "رومي" ترقبها بأعصاب متوترة للغاية ... وبعد أن مر أكثر من نصف ساعة ... اعتبرتها "رومي" وقتا كافيا ... كي تعقد رأيا قاطعاً عن "إيفا فون شيمل" ... فمهما كانت تعليقات "جزافييه" عن "بول مورتيمر" ... فإن كل لمسة في هذه المرأة لم تكن إلا دليلاً قاطعاً عن مدى سطحيتها وابتذالها مثلما كان "بول" تماماً .. بل والأكثر من ذلك أن "إيفا" تتسم بخط عريض فاسد في داخلها ولم تخجل من الإفصاح عنه ... ولكنها كانت ذات جمال خلاب ... كما أنها موهوبة بحاسة فريدة مثل القطط كي تجعل أي رجل ينظر إليها ... يضعف أمامها ...

وقد فهمت "رومي" منذ البداية أن "إيفا فون شيمل" ... لم تشعر يوماً أنها

مطلقة ... فالأسلوب الذي كانت تتخاطب به مع "جزافييه" وكذلك تصرفاتها معه... كانت كلها دليلاً قاطعاً على أنها لم تقطع صلتها به حتى الآن ... ثم إنها كانت تنظر إلى هذا المكان وتلك السيارة "الداملر" وحتى السائق نفسه ... على أن كل هذا يعتبر ملكاً لها ...

وكانت هذه الأفكار تمثل آلة حادة تطعن "رومي" في قلبها ... وطرأت عليها آلام مفاجئة لم تتوقعها إذ تصورت هذه الغادة الشقراء مع زوجها "جزافييه" على سرير واحد ... إنهما لائقان كل للآخر ...

ثم أمعنت "رومي" في التفكير وحاولت ألا تعقل شكوكها السوداء ومدى توغل العلاقة بين هذه المرأة وزوجها إلا أنها عادت وأقرت أن هذا الاحتمال أصبح الآن شبه واقع ملموس ...

ثم شعرت فجأة ببرودة تسري في جسدها كما لو أنه وضع في صندوق مملوء بالثلج ...

الفصل السادس

– برد ؟

كان سؤال "جزائيه" مفاجئاً، سرى في جسد "رومي" مثل رعدة جعلتها تدير ظهرها ... ودون الانتظار لإجابتها .. فرد ذراعاً قوياً وأحاط به كتفيها ثم جذبها نحوه لتلتصق به .. وكانت هذه هي أولى الحركات العفوية الدافئة التي صدرت عنه بعد يوم طويل ... فكانت بمثابة صدمة صعقتها للحظات نتيجة ملامسته لها .. فشعرت بنبضات قلبها تتلاحق وكأنها بدأت تستجيب لعاطفته...

جلسا يتحدثان في الصالون الوردي ... وكانت النار مشتعلة في المدفأة فغمرت الحجرة بتوهجها ... وكان صوت الخدم يأتي إليهم ضعيفاً من غرفة الطعام .. حيث دأبوا على تنظيف المائدة بعد أن يتم العشاء ...

وبينما هو يحتضنها بدفء إلى جنبه ... قال لها :

– هذا المنزل بارد في الشتاء ... لقد فكرت في وضع تدفئة مركزية وربما ننفذها في الشتاء المقبل ...

فأجابته "رومي" بصلابة :

– إنها فكرة لطيفة ...

ثم عادت للتركيز على وضعه الملامس لجسدها ... وكان قلبها يتكتم نبضاته ...

فلم ترغب في أي إزعاج لمشاعرها ...

ولكنه استطرد قائلا :

– هذا الجو البارد لايستمر طويلاً هنا بالتأكيد ... ففي خلال بضعة أسابيع سوف تهب علينا رياح جافة آتية من أفريقيا لتكتسح الغمام بعيداً وتبدأ أزهار اللوز البيضاء والوردية في الازدهار فتكسو الأشجار كأنها زبد ... وأما التلال فسوف تغطى بالزنبق و الخضرة ...

فاعترضته بصوت مجهد قائلة :

-لم يكن هناك داعٍ للحديث عن الجوّ !

- ماذا ؟

أنا لست بالعجوز العانس التي تحتاج لمن يسليها ... كنت أفضل ألا تتكلم نهائيا أفضل من حديثك عن هذه التفاهات .

فنظر إليها نظرة خاطفة ... ولم يبدِ أي تعليق ... انسحبت من ذراعه الذي يطوّقها به واستدارت في مواجهته ... ثم لمعت عيناها بعبرات مفاجئة وهي تقول :

لقد عاملتني طوال اليوم مثل ... مثل الجماد ... فلم تقل لي كلمة واحدة غير تفاهات عن الجوّ ... أو تسألني إذا كنت أرغب فنجاناً من القهوة ... فسألها بجفاء :

- وهل هذا يعتبر شيئا فظيعا للغاية ؟

- أنت تفهم جيداً ماأعنيه ... لقد تصرفت معها كما لو كانت هي سيدة هذا المنزل ... وأما أنا ... فهيهات إذا كنت أدركت حتى وجودي ...

فأخذ يرقبها بنصف عين .. ثم أجابها بنبرات تنمّ عن منتهى الضيق :

- يبدو أنك مرهقة ...

- لقد تعمدت إبعادي كلية ... ثم أمضيت أكثر من ساعة ونصف الساعة مختلياً بها في المكتبة ... بينما جلست أنا في الصالون أطقطق أصابعي ... بالله عليك !! فيم أمضيتما كل هذا الوقت ... وماذا كان موضوع الحديث ؟..

فأجابها بهدوء :

- هناك بعض الأعمال الخاصة التي تجمعني بـ "إيفا" ولقد سبق وقلت لك هذا...

- هل هي خاصة للدرجة التي لاتسمح لزوجتك أن تسمعها ... ثم أرجوك ... لاداعي لهذه الابتسامة المقنعة بالدماثة يا" جزافييه " .. فأنا أعرف تماماً مقدار ماتكنه لي من استخفاف ...

هكذا انفجرت "رومي" وهي تشعر أنها ربما فقدت عقلها إذ تفصح له عن مشاعر حساسة هكذا وأن تعرّض نفسها للازدراء والاحتقار ... فسألها بلطف:

- إذن ! ماهي الطريقة التي ترينها مناسبة كي أتحدث أو أنظر إليك بها؟

فأجابته بنفس الأسلوب :

- بالإخلاص .. وإنني أفضل المشاعر الواقعية عن أي كمّ من المزاح المزيف...

- وماذا فيها لو أن حقيقة مشاعري هي الصفاء !

- إنها ليست كذلك !

فأجابها وقد فرغ صبره :

- إن هذه هي أكثر نوبات التواضع أهمية ! يا"رومي" ...ثم !! هل ينبغي أن تكوني دائما على أحد طرفي نقيض ! إما ملكة ... أو شحاذة ...

فاتكأت على المدفأة الرخامية ... وقد ومضت عيناها من خلال وجهها الباهت وهي تقول :

- لاتكذب علي ولو لمرة واحدة يا " جزافييه " ... وإذا كنت تعاقبني عن الليلة الماضية ... فتأكد أنك تصرّفت بكل حكمة ... ولكنها ليست الطريقة التي أرضى أن أعامل بها .. إنني أفضل التعامل بوضوح ... وقد كان بإمكانك أن تصارحني أنني تصرّفت مثل المتسولة ... ثم لك أيضاً أن تصرّح بأنك تفضل أصابع "إيفا" النحيلة .. عن كل كياني أنا ... ولاداعي لأن نتركنا نعيش هذه المهزلة ...

فسألها بهدوء :

- ولماذا ينبغي علي أن أصرح بكل هذا ؟

- لأنه الواقع !

وكانت "رومي" ترتعد وهي تمسح دمعة مقهورة كادت أن تسيل وتهدد كبرياءها...

- إنني أكره معرفة حقيقة شعورك نحوي الذي دأبت على إخفائه في صور عديدة من الأدب و الابتسامات المختلفة ... إنني أفضل أن تكون معاملتك لي صريحة وواضحة ... حتى لو كانت بالازدراء ... فهي أكرم لي من الأدب المزيف فقال ببرود :

www.elromancia.com

– لا أعتقد أنك تستطيعين تقبل هذا !

ثم وضع يده في جيب سترته ... وواجهها بنظرة تحد صامتة ... ووقفة بالساقين المتباعدتين أيضاً كرمز عن التحدي .. واسترسل قائلا :

– إن مشكلتك لاتنحصر في فرط التواضع مثلما هي إفراط في الكبرياء ..

ثم أخذ يقلد كلماتها بسخرية متوحشة وهو يقول :

– إنني أفضل أن تكون معاملتك لي صريحة وواضحة .. حتى لو كانت بالازدراء... فهي أكرم لي من الأدب المزيف ...

والحقيقة هي أنك دائماً تحدثين جلبة كي تثيري الانتباه ... تماماً مثل طفلة صغيرة ... وإذا لم يتحقق لك ماتريدين تنتابك نوبة من الاستياء و الغضب .

– هذا ليس صحيحا !

– بل أعتقد أن هذا هو الواقع ... إذ إن غيرتك من "إيفا" اليوم كانت واضحة ومحرجة للغاية ...

فقالت "رومي" وقد ارتفع صوتها :

– وهل فوجئت بهذا !! ألم تعرف أن الطريقة التي عاملتني بها "إيفا" كانت كما لوأنها تعامل خادمة جديدة غبية ... ومحتاجة إلى تعليمها كل شيء ... فقاطعها " جزافييه" باختصار :

– لقد تصرفت بصورة لاغبار عليها إطلاقاً .

– لاغبار عليها !

– نعم !! بل إنك أنت التي بدا تصرفك غير سليم ... لقد كنت معظم الوقت عابسة مثل الطفل المدلل .. والحقيقة أنك تحاولين جذب الانتباه إليك ... ولا تأبهين إذا تحقق لك مرادك ... سواء بالضرب ... أو بالقبلات ...

– إن كل ما أبغيه هو الصراحة ...

فانتصب برأسه الداكن و أماله إلى جانب واحد ... كمن أخذ يقدّر وقع كلامه عليها :

– ألم يطرأ على بالك إمكان تعاملي معك بذات الطريقة التي أشعر بها حيالك؟

– وهل خطر على بالك أنني قد لا أحمل لك أي مشاعر ... سواء أكانت ازدراء أم محبة ... وإنما كل مشاعري تنحصر في اللامبالاة فقط ؟

فأومأت " رومي " برأسها ... لتخفي الدموع التي كانت تسبح في عينيها ... وهي تتذكر أن تلك كانت بالفعل رغبتها ... ولكنها إذ تحققت واقعياً ... فقد أتت بنتائج مؤلمة ومريرة ... فسألته قائلة :

– هل هذه هي بالفعل حقيقة شعورك نحوي ... اللامبالاة ؟!

ولم يحرّك ساكناً فيه حتى وإن كان قد لمح مدى الألم الواضح على وجهها ... ثم أجاب :

– إنني لا أشعر نحوك بازدراء ... ولكنني من جهة أخرى ... لست طفلاً مثل "بول مورتيمر" ... أتصرف بوقاحة فيما يتعلق بالحب ... إذن ! فاللامبالاة هي الطريقة المُثلى للارتقاء به ... أليس كذلك !

– وبماذا تشعر تجاه " إيفا " ؟

سألته هذا السؤال وهي تردد في أعماقها ... لماذا تفعل هذا بنفسها ؟!

إنها لم تكن تأبه أو تكن له أي نوع من المشاعر ... وما الذي يدفعها للاهتمام بهذه السيدة ... ثم شعرت وكأن قوة هدامة تدفع الكلمات خارج شفتيها ... فنظرت إليه وكأن غمامة قد حالت دون رؤيتها لأي شيء ... وبدا وجهها كمن يدافع عن نفسه في ساحة للقضاء ... وهبت قائلة :

– ثم ماذا بعد ! هل هناك شيء آخر ؟

فضاقت عيناه ... وبدتا كفتحتين مظللتين في وجهه ... وقال بتهكم :

– آه !! إذن فهذا هو جوهر الموضوع ... أنت تريدين سماع تصريحي بأنني أرغبك أكثر مما رغبت زوجتي الأولى ...

– كلا !! فإنني لا أطالبك بإطراء مزيف يا " جزافييه " ... وإنما كل ما أطالبك به .. هو أن تعاملني بشيء من الصراحة ، وبصفة عامة ... ولكني اكتشفت أنني كنت أضيع وقتي ... فالصراحة ليست من طباعك ...

ثم استدارت بعيداً وهي تذوق مرارة الأسى في فمها ... فلماذا تصرفت بمثل ذلك الغباء الذي عرضها للسب و الإذلال الذي ألم بها ... فما كان منها إلا أن

www.elromancia.com

عزمت على أن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تظهر فيها مشاعرها الحقيقية أمامه ... ثم أخبرته بصوت جاف :

– إنني صاعدة إلى الطابق العلوي !!

ودون أن تعي ... وجدت أصابعه تنغرس في كتفها وهو يلفها تجاهه مثلما تلف ورقة النبات في مهب الريح ... ثم وجدت نفسها تحملق في وجه "جزافييه" وهو يقول :

– هناك نقطة حساسة وحيوية يجب أن تعرفيها وتضعيها في رأسك ... وهي أنه ينبغي عليك أن تتخذي قراراً نهائياً بشأن مشاعرك يا "رومي" ... إنني أفعل كل ما في استطاعتي لأثبت لك أنني أريد أن أكون زوجاً صالحاً ... وهذا هو كل ما أملكه ... والآن ما عليك إلا أن تبحثي في قلبك وتفتشي في أعماقك كي تتفهمي حقيقة مشاعرك أنت ... إنك تدعين أنه ليس هناك شيء مشترك بيننا... وأنني اشتريتك كما تشترى الجواري ... ولكنني أعتقد أن العوامل المشتركة بيننا أكثر من أن تعترفي بها ... وأن قلبك قد أغلق بمزلاج ... وأنك فقدت المفتاح ...

ثم ضرب بشدة على رخام المدفأة ... فذعرت هي وانتفضت ... بينما استطرد قائلاً :

– ولكن ... ها نحن هنا ياعزيزتي ... رجل وزوجته ... سواء أحببنا أم كرهنا بعضنا ... فلقد اتخذنا معاً الخطوة التي لايمكن التراجع عنها ... وأخذ ذقنها بين أصابعه ليرفعها إلى أعلى ... فبدا وجهها غارقاً في العبرات واستطاع أن يحدق في عينيها المغرورقتين بالدموع ... وهو يستكمل :

لا تعتقدي أن نوبات غضب مثل هذه قد تعرض زواجنا للإلغاء ... إنها لاتعني أي شيء بالنسبة لي ... لقد نويت أن أجعل هذه الزيجة تدوم لوقت أطول من الزيجة السابقة ... فهل تفهمين معنى ماأقول ؟

فحملقت فيه وعيناها غارقتان في الدموع ... وفتشت في جيبها عن منديل... فما كان إلا أن مدّ لها منديله هو ... وأخذت تجفف دموعها في صمت ... بينما استرسل هو قائلاً بشراسة :

– عليك أن تحلي الموقف بنفسك ... هذا وإلا ... سوف نبدأ في لعبة القط والفأر ... وإن لدي الصبر الكامل كي ألعبها معك ... ولا أعتقد أنك سوف تلعبينها أو تستمتعين بمثل هذه اللعبة ..

فقالت بصوت مرتعد :

– إنها ليست لعبة !

– كلا ! هي فعلاً ليست كذلك ! ولكنك ربما تحتاجين إلى التذكير أكثر مما أفعل ...

وابتسم ابتسامة فاترة وانصرف عنها ...

ووقفت "رومي" بمفردها ثم استدارت لتجد انعكاساً لصورتها في المرآة المعلقة فوق المدفأة .. وبطريقة لاشعورية أخذت تصفف شعرها ثم رأت أن الوجه الذي يحملق فيها من خلال المرآة .. كان بارداً وباهتاً ... مثل تمثال من الرخام ... فتقابلت مع عينيها ذات الزرقة الداكنة ... ولم تجد سوى سحابة تخفي وراءها التعاسة و الارتباك ... فجففت دموعها بمنديل " جزافييه " ثم أطبقت هذه الرقعة المربعة من الليتوه الفاخر وألقت بها في النار ...

ثم غاصت في الأريكة الموضوعة أمام المدفأة ... واحتضنت نفسها وهي تحملق بعيون لاترى شيئا ... في اللهب الأصفر المتصاعد أمامها ... ولم تشعر أن تلك الغشاوة قد انزاحت عنها إلا بإجراء الاستعدادات للحفل الكبير الذي سوف يقام يوم السبت مساء ...

كان " جزافييه " قد لفت نظرها إلى أن هذه المناسبة الكبرى يقام لها مثل هذا الاحتفال الذي لم تتصور مدى أهميته حتى بعد ظهر يوم الجمعة حين رأت كيف تنصب الموائد وتوضع في المروج الخضراء ... وتم نصب خيمة ضخمة وصل ارتفاعها إلى مستوى سطح المنزل الكبير وهذا كان شيئاً ... غير عادي... وأما الرداء الذي اختارته لهذه المناسبة ... فقد كان من "باريس" خصيصاً للسهرات وذا قصة منخفضة تكشف عن كتفيها وذراعيها.. والأكثر من ذلك أنه يحدد بعض معالم جسدها الرائع ... وكانت تعلم أن هذا الرداء يليق بحفل لتكريم النجمة الأولى على المسرح ، وليس حفلا وثنياً أو مهرجاناً في

www.elromancia.com

الهواء الطلق ... ولكنها عزمت على أن تعطي تأثيراً قوياً هذه الليلة بالذات دون أي ليلة أخرى ... وبعد أن حذرها " جزافييه " من احتمال برودة الهواء قليلاً ... قدمها للمدعوين وهي ترتدي شالا رائعاً من "صقلية" وكان مطرزاً تطريزاً يدوياً بخيوط الذهب ، ولم يعلق صراحة على الطريقة التي بدت بها ... ولكن كانت هناك نظرة محدقة في عينيه تدل على أنه غير موافق تماماً على شيء ما لم يفصح عنه ...

وتوهجت الشعلة الهائلة ... حتى اكتسحت ظلام الليل الدامس وحجبت السماء بسحابة كبيرة من الشرر المتوهج والمتطاير فيها ... وبعثت النيران بحرارة كانت ملموسة على بعد عشرين ياردة ... وقد حول هذا التوهج كل الحديقة إلى فيض من اللون البرتقالي ، خاصة وهي مكتظة بالراقصين والراقصات مداعبات الأزواج .. وكان الاوركسترا المكون من عازفي الكمان والدفوف والماندولين ... يناضل نضالاً مستمراً مثل سريان النار المتأججة ... التي كانت تارة تخفق وتارة تتوهج مع انسياب الألحان ... ومثل جموع الناس التي كانت تؤم المكان وكأنها جدول متدفق ... إلى أن طرأ على "رومي" تقدير عدد الموجودين ... فرأت أنه يفوق الثلاثمائة شخص .. مما جعل هذه الليلة تحفل بعيد صاخب .. تعم أرجاءه الموسيقى والضحكات ... وفي الجانب الآخر من الحديقة ... كانت هناك جرة كبيرة مملوءة بالفحم المشتعل وكان يتأرجح من فوقها عدد من الخراف الصغيرة المعدة للشي ... إذ أخذت رائحة التوابل النفاذة التي تنبل الخراف بها ... تتصاعد مع الهواء لتنال من أنوف المدعوين وتفتح شهيتهم ... أما المائدة التي جلست إليها "رومي" فكانت تحفل وتتألق بكافة أنواع الكريستال والفضة للأواني المملوءة بالمأكولات ... وقد شملت هذه المائدة الكبيرة معظم أفراد الأسرة والمقربين من الأصدقاء ... وقد جلس معظمهم تحت مظلة من الخشب المتشابك فيما عدا الأشخاص الكبار سناً الذين أخذوا يلفون حول النار في دائرة كبيرة وكأنهم مازالوا يستغلون طيش الشباب... وظلت الشعلة تنشر حرارة كافية تسمح للإناث بارتداء ملابس تكشف عن أكتافهن ... وأما الرجال .. فقد جعلت وجوههم لامعة رغم نسمة المساء الباردة ... وبدأت

مجموعة من الضيوف الذين التفوا حول "رومي" في التباعد متجهين إلى جانب النار للحظات ... حتى "جزافييه" الذي كان إلى جانبها حتى الآن ... تركها ليرقص مع امرأة أخرى ، فوجدت "رومي" نفسها في واحة صغيرة من السلام والهدوء ... وكانت ممتنة لهذا الوضع بدلاً من أن تغضب أو تمل ... ولمحت وجه زوجها فقد كان أطول شخص في المجموعة ... وبدا بلونه الداكن وسط ألسنة اللهب ... وملأت عينيها بأفكار هادئة ... وبنظرة إلى الوراء حيث انتزع قلبها ليلة الزفاف في "لندن" ... كانت تعلم مسبقاً بالتغيرات الانفعالية الجديدة التي سوف تطرأ عليها ...

وكان المناخ العام لهذه الليلة .. كأنه يحتوى كل ماهو غريب وجديد على هذه الأرض ... وشعرت "رومي" كأنها لم تعرف شيئاً على الإطلاق من قبل ، بل إن كل شيء هنا مشحون بسعادة بدائية قلما يستطيع المرء مقاومتها ... وهي ذاتها كانت جزءاكبيراً من الاحتفال ... وقد أثر فيها شعور جميل إذ وجدت نفسها في مركز يشد انتباه الجميع وأيقنت أن كل فرد الليلة ... يبغي أن يراها سعيدة... فهؤلاء الذين قابلتهم قبل أسبوعين أصبحوا من الأصدقاء القدامى .. وأما الليلة فقد تقابلت مع عدد كبير آخر ... وكان من المستحيل أن تتذكر كل الأسماء .. ولكن إلى هذا الحين ... كانت قد بدأت تتعرف على الوجوه المارة أمام ضوء النار في حلقة الرقص ... وأصبح معظمها مألوفا لديها ...

وأما هي ... فلكثرة ما رقصت مع واحد بعد الآخر ... كادت لا تتذكرهم بالتفصيل .. وشعرت أن قدميها سوف تؤلمانها بشدة في اليوم التالي ... وربما من كثرة ماطلبت للرقص شعرت وكأنها ثملة ...

إذن ... فلحظات وحدتها لم تدم طويلا ...

وها هي ذي أسرة أخرى قادمة تواً ... وعليها أن تقوم للمرة المائة لتحييها ... ولم يكن " جزافييه " موجوداً بجانبها حتى يقدمهما لبعض ... وإنما لم تكن هناك حاجة لذلك ... فالجميع يتحدثون في فم واحد ... وذلك الفيض من التحيات وتقبيل الأيادي ... كلها أذابت الشكليات المفروضة ومحت كل شيء يمكن أن يدعو للخجل ... فأهل "صقلية" لديهم قدرة طبيعية على الاستمتاع

بوقتهم وإسعاد أنفسهم ... ولم تكن مسألة فهمها أو تتبعها للأحاديث ذات أهمية ، إذ اتضح على وجوههم من خلال الابتسامات كل ماكانوا يبتغون قوله... وأخيراً ... وصل " جزافييه " ليعاونها ... وقد بدا رائعاً في حلته السوداء كأنما المناسبة تفرض عليه مثل هذه الوسامة إذ كانت مناسبة صاخبة متأججة ... وتستدعي من يعمل على إخمادها ... وكان كل مافيه ... هذه الليلة... يثبت أنه بالفعل.. بارون .. من "صقلية"...بلونه الخمري الداكن.. ووسامته الخارقة ... وقد انتمى إلى عصر ذي حضارة مختلفة عما هي الآن ... وإذ أيقنت "رومي" أن هذا الرجل ذا الوسامة والتألق ماهو إلا زوجها ... فقد جعل قلبها ينتفض بين ضلوعها ويعمل على سريان رعدة خفيفة في بدنها...

وحالما تواجدا منفردين ... نظر إليها بتلك العينين اللتين عكستا وميض اللهب المتوهج في الشعلة ... ثم بسط يده وهو يطلب إليها الرقص قائلاً :

– هلا تفضلت بالرقص معي ؟

فخلعت ذلك الشال المطرز ... وأخذت يديه بين يديها ... وسارت معه تجاه الشعلة ... ليرقصا معاً ...

ورغم قوة ذراعيه .. إلا أنه تعمد استعمال النعومة واللطف في مراقصتها حتى شعرت وكأنها عصفور كبير يتمايل بجناحيه ... وكانت تلك رقصة "الفالس" التي أدتها بخطوات سريعة جعلت قدميها تطيشان في الهواء وتكادان في معظم الأحيان ترتفعان عن ملامستهما للأرض ... ثم وقع ضوء خافت على وجهها ... وكانت تلهث بصوت مسموع ... ومالت على كتفيه كأنما تستند إلى قوته ... فما كان من " جزافييه " إلا أن أحاطها بابتسامة عريضة ... ثم قال متمتماً بصوته الأجش :

– كم أنت جميلة الليلة ... جميلة ولكنك باردة مثل امرأة مصنوعة من الرخام... إنني في دهشة إذ أشعر بجسدك دافئا وناعم الملمس تحت أصابعي...

ثم أخذت أصابعه تتلمس بشرتها الحريرية وتنشر ملاطفتها حول عنقها

وظهرها بينما كان يحتضنها أثناء تحركاتها وهي تراقصه ... حيث قالت :

– إنني لست متمكنة من رقصة "الفالس" هذه ... وأعتذر عن عدم إتقاني لها..وتعمد أن يمسح وجنتيها بشفتيه في ملاطفة حانية ... لم تكن مثل قبلة .. ولكنها تعبير عما أراد أن يقوله :

– إنك مثل النبات الشائك ... ولكنك ترقصين مثل فراشة جميلة ..

وشعرت "رومي" ببشرتها تتأجج دفئاً ولم تدر ما إذا كان هذا نتيجة لكلماته... أو لملاصقته لجسدها أو لقربهما من النار المتوهجة في الشعلة ... فابتسمت له ابتسامة سريعة ... وكانت وجنتاها قد تلونتا بالحمرة الداكنة بينما هي تقول:

– كل هذا الإطراء ... لابد أن يكون الحفل والناس والصخب قد أثرت كلها على أفكارك ورأسك ...

– ربما !! ولكن فيم كنت تفكرين بينما كنت جالسة وحدك منذ لحظات ؟... لقد بدا على وجهك التفكير العميق ...

– كنت أفكر في هذا الحفل ... وكل هؤلاء الناس الذين لم أعرفهم قبلاً ... وماذا كان تفكيرهم عني ...

– لا داعي لأن تشغلي بالك ... فقد بلغت الكمال في تصرفك كمضيفة ممتازة..ثم إنك بالفعل أجمل امرأة بين الموجودين ... وهذا هو المطلوب ... أرجوك أن تتوقفي عن هذه الهواجس التي تعبث بخلدك ... وحاولي أن تستمتعي بكل شيء في هذا الحفل ...

وكان لكلماته تأثير ساحر عليها ... إذ شعرت بأنه قد غلفها بدفء عواطفه مثلما فعل توهج الشعلة .. وشعرت بذراعيه القويتين تحتضنانها في ملاطفة حانية ورقيقة ... وكأنما انتابتها نوبة من الضعف أمام إحساسها ... فثارت فيها كل الرغبات مثلما حدث معه أيضاً ... إذ كانت علاقتهما فاترة طوال الأسبوع الذي مضى ... ولم يعد الدفء يسرى إلى مشاعرهما .. سوى هذا التقارب العاطفي الذي جاء نتيجة للملاطفة أثناء الرقص ... ثم سألته قائلة :

– وأنت ! فيم كنت تفكر هذا المساء؟

فضمها إليه ليحتضنها بقوة أكثر ... وجذبها بعيداً عن تلك الجموع ... ثم

أجابها قائلاً :

– كنت أفكر فيكِ أنت ... ألا تجدين أنه من الغريب ألا يتسنى لنا أن نرقص معاً قبل سهرة هذه الليلة ؟

– غريب !! نعم ! أعتقد ذلك ... ولكنك لم يسبق أن أمتعتني بغزل مستفيض مثلما بدر منك الليلة ... أليس كذلك ؟

فواجهها بابتسامة وهو يسترسل في الكلام :

لايمكنك أن تلقي باللوم كله علي وحدي ... فالإصرار على تنفيذ القواعد قد أتى من جهتك أنت فقط ... أما أنا ... فقد كانت خططي مختلفة تماماً ... فقد خططت من أجلك ... إتقاني للمبادئ الرومانسية ... وإغراقك بالفراء والجواهر ورحلات إلى "ڤيينا" ... ثم اصطحابك إلى كل مكان ينعم بالموسيقى الهادئة والأضواء اللامعة كي أتمكن من إدارة رأسك الجميل هذا ...

فانعكس تفكيرها برد فعل يدل على عدم التأكد من كلامه ... إذ علقت قائلة :

– هل حقاً ما تقوله صحيح ؟ لست أدري إذا كان هذا على سبيل المزاح فقط! فأجابها بنوع من الجفاء :

– حسناً ! إنني بكل تأكيد لم أدرج في تخطيطي ما توصلنا إليه ... لدى عرضي للزواج بك ... ودعيني أصرح لك ... إنني كنت أقتصد كافة اتجاهاتي إلى الفترة التي أشعر فيها بأنه قد تم التعارف بيننا على أساس متبادل ... ولكن ... لقد تغير كل شيء في اتجاه مخالف ...

– لم أكن تلك " الأميرة النائمة " التي استمتع بها خيالك ! أليس كذلك ؟!

كان سؤالها هذا ينم عن شيء من السخرية وكأنما هي لمست شيئاً جديداً من خلال نظرة عينيه ...

وأجابها " جزافيه " بصوت جاف :

– حسنا ! لقد تراجعت قليلاً عندما علمت من والدك بتلك المحنة التي خرجت منها في ذلك الوقت بالذات ... بعد مغامرتك العاطفية مع ذلك الرجل المتزوج .

ولم تفتها لمحة لوجهه الممتعض أثناء قوله لما سبق ... فبادرته قائلة وكأنما تدافع عن نفسها :

– إننا في القرن العشرين ... ولم أكن أعلم بقصة زواجه إلا مؤخراً ... ثم على أي الحالات .. إنني لا أدري سبباً للتعالي والجبروت اللذين تتسم بهما ... ألم يكن لك أيضاً العديد من العلاقات غير المشروعة منذ طلاقك ؟

– بالتأكيد، لكن الوضع يختلف بالنسبة للرجل !

فتعجبت قائلة :

– ياله من منطق متلون ومائع ! لماذا يحق للرجل أن ينعم بعلاقات مشوشة كيفما يحلو له ... وتكون لمثلها وقع الصاعقة إذا بدرت عن امرأة ولو لمرة واحدة إذا ما انخرطت في علاقة غرامية ...

فأجابها باختصار وكأنه ينوه عن نقطة واحدة :

– لم تكوني امرأة في ذلك الوقت ... بل فتاة صغيرة مراهقة !

– في التاسعة عشرة تسميها فتاة صغيرة ... أعتقد أنه من الصعب اعتباري طفلة آنذاك !

ثم نظر إليها بحدة وهو يقول :

– أما عن علاقاتي " الغرامية " ... مثلما لوحوا بها في الصحف ... فإن تسعين بالمائة منها لم يكن سوى " تلفيق " من تلك الصحف ... هذا إلى جانب اختلاف الوضع كلية ...

أولاً : إنني كنت قد تعديت الواحدة والثلاثين من العمر ... ثم إنني كنت مطلقاً... وأما أنت ... فلم تكوني قد تعديت مرحلة الطفولة إلا بقليل ...

فأغمضت عينيها كأنما تحاول استيعاب موقفه الرجعي فيما يتعلق بالنساء والزواج ... وربما صدمته زلتها مع "بول" حتى أنه لم يستطع تقبل الوضع ... فقالت :

– وهل هذا أغضبك إلي درجة كبيرة ؟

فلمعت عيناه وهو يقول :

– كان بإمكاني أن أضعك على ركبتي لأدللك ولكن .... نعم ! لقد غضبت ...

فتحدته بإمعان وهي تقول :

– ولماذا ؟ إنني لم أكن حتى مخطوبة إليك ... ولم تكن هناك أي علاقة

تربطنا...

فأجابها مؤكداً :

– لقد تصورت هذا في عقلي وكأنك تخونينني ... ولكني أريد أن أريك شيئاً... هيا بنا نبتعد عن هذا الازدحام ...

وأخذ "جزافييه" يفسح لها الطريق بعيداً عن الحرارة والصوت الناتج عن الشعلة.. وكأنها نزلت تواً إلى الأرض بعد تحليقها في الهواء ... وشعرت بساقيها ثقيلتين وبطيئتي الحركة بينما كان هو يرافقها من خلال الحشد المبتسم من المدعوين ... ثم انسلا من خلال باب مصنوع على الطراز الفرنسي...

فدخلا إلى حجرة مخصصة للرسم ... وكانت هذه الغرفة خالية تماماً إلا من النار المشتعلة في مدفأة أخرى من الرخام ... أضاءت الحجرة وبعثت بالدفء في أرجائها وكانت هناك " أباجورة " أضاءها " جزافييه " ... واستدار إلى رومي " ينظر إلى وجهها في هذا الضوء الخافت ... بينما أمسك بشيء في راحة يده ... قدمه لها وهو يقول :

– إنني لم أقدم إليك خاتم الزواج من قبل ... فلم يكن الوقت ملائما ... أما الآن ...

وأحست بشعور كأنما هي مخدرة ... فأخذت العلبة المصنوعة من المخمل ... وفتحتها لتفاجأ بانعكاس تلك الإشعاعات المبهرة بين يديها ... والصادرة عن بريق ماسة كبيرة ساطعة بتألق تسلب القلب و اللب في آن واحد ...

فسألها وهو يقبل شفتيها الباردتين :

– هل أعجبك ؟

وفجأة اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول :

– " جزافييه " .....

وأخذتها المفاجأة المبهرة أكثر مما استطاعت أن تعبر عنه بالكلام ... وشعرت كأنها لم تكن تستحق مثل هذه الجوهرة الثمينة ... فاشرأبت لتجذب عنقه إليها حيث تلمست شفتيه لتقبله ... وكانت هذه هي المرة الأولى التي ترغب

هي في تقبيله بقوة لم تكن بارعة في أدائها الأداء الملائم ... ثم مرت بأصابعها خلال شعره ... وشعرت بتجعداته ومقاومته المرنة في راحة يدها ... وكانت لياقته البدنية تكاد تخدرها ... ولكن الأكثر من ذلك ... كانت تلك الرغبة المتأججة فيه التي أفصحت عن رغبة حقيقية ... غير مفتعلة ... تبادلاها معاً بتفهم كامل لوضعهما ...

وعندما تراجع خطوة كي ينظر إليها ويتمعن في وجهها ... أيقنت أنها لم تكن في حياتها أقرب مما كانت لهذا الرجل وفي هذه اللحظة ....

فهمس لها بكل هدوء :

– إنني على استعداد لإهدائك ماسة مثل هذه كل يوم ... لو أني أحظى بهذه القبلة كلما فعلت ذلك ...

فمسحت بأطراف أصابعها تقوس شفتيه كأنها تعجبت لما فعلته تلك القبلة من تأثير عليها ... فهمست له :

– إنك رجل فريد في شخصيتك !!

فجرت أصابع " جزافييه " تتحسس عنقها ... وعظام الترقوة التي كانت تفوح بالعطر الساحر ... واستطرد يقول :

– إنك جميلة جداً ... وأنت تعلمين مقدار تأثيرك علي ... أليس كذلك ؟

ولم تقو إلا على التحديق فيه كما لو أنه نومها تنويما مغناطيسياً ...

فبدا وجهه مبتسما وعيناه تزهوان بما شعربه نحوها وهو يقول :

– ولكني سوف أحيط روحي بسياج من الصبر إلى أن ننفرد ببعضنا.. وليس باستطاعتنا الاختفاء هنا طوال الليل ... فسوف تكثر الحكايات ... وينبغي علينا أن نعود لضيوفنا ...

فنظرت إليه وهي تقول :

– إنني مستعدة ...

فأخذ ذراعها ورافقها عائداً إلى نسيم الليل ... الذي كان بارداً لدى مروره على بشرتها المتوهجة ... ولكنه لم يساعدها على العودة إلى طبيعتها أو اليقظة من سبات عميق بين أحضان مشاعرها وعواطفها ... وكان لابد لها من

وقت طويل حتى تعود لتلك الطبيعة وقبل أن تصل إلى المائدة حيث يوجد المدعوون ...

وكان ذلك بعد منتصف الليل بساعات طوال ... إلى أن انتهى الرقص وانصرف المدعوون كل إلى بيته ... حتى ضمهما الفراش وأخذ كل منهما ينهب بعينيه عيني الآخر ...

إلى أن قال " جزافييه " بصوت خافت :

– " رومي " لقد جعلتني أفخر بك هذه الليلة ...

ولم تشعر إلا بشفتيه تلمسان عنقها وبيديه تزيحان خصلات الشعر الأسود من على وجهها ... وكانت رائحة احتراق الخشب في المدفأة هي الشيء الوحيد الذي يقطع عليهما وحدتهما ، وكأنما لاشيء آخر في الوجود يمكن أن يسلبهما تلك الخلوة ....

ولأول مرة تشعر برغبة أكيدة في الاستجابة لعاطفته بلا تردد ... وأخذت قبلاته تغمرها بالتودد والملاطفة حتى أذابت كل مافيها من أحاسيس ... مثلما تذيب أشعة الشمس الكتل الجليدية ...

وكانت مشاعرهما وعواطفهما تمتزج لتذيب أيضاً كل الشكوك التي اعترتهما منذ يوم زفافهما ... ولم يتبق لديها أية مقاومة ... وقد عمل جاهداً في الأسبوع الماضي على أن يحولها من مجرد أنثى تستجيب لشهواته...إلى زوجة تتلمس كل شيء في عواطفها كي تسعد زوجها ..وما أن اندمجت في غمرة هذه المشاعر حتى بدأت بعض المخاوف تساور قلبها خشية فقدانها لهذه اللحظات السعيدة التي جعلتها تحلق في سماء الحب ولا تأمل العودة إلى واقع الحياة مرة أخرى ... وإن لم يكن هذا الزواج ... هو زواج روحاني بمعنى الكلمة ... فماذا يكون إذن ؟ هل يمكن لأي عاطفة جسدية أن تهزها مثلما هزت أعماق قلبها بهذه الوحشية ؟

وهل كانت تقوى على منح " بول " كل هذه الأحاسيس مثلما تفعل الآن مع " جزافييه " الذي منحها كل ماكانت تحلم به ...

في الواقع إنها لم تكن تتصرف بحكمة وعقل عندما فكرت في معاملة

" جزافييه " بالرعونة واللامبالاة ...

فهي عندما رحلت من بيت أسرتها ... قاصدة الخوض في هذا الزواج الغريب ... لم تتخيل إلا أنها تؤدي دوراً على مسرح الحياة ... و " جزافييه " ... زوجها ....في الشق الآخر من المرآة ... يؤدي دوره مثلها تماماً ... ثم انحصر تفكيرها في نفسها ..وفي آمالها الشخصية ولم تفكر في إمكانية تطور هذه الصفقة المبرمة لتتحول إلى زواج فعلي وروحاني ...

لقد كان تدبير هذا الزواج مسبقاً ... وأبعاده منحصرة في برود الأعصاب ... وكل اتجاهاته محددة بدقة ... ولم تشمل الصفقة أي تنويه عن العواطف بل كل ما انطوت عليه كان يشير إلى ذهاب كل منهما في طريقه دون أن يطرأ أي اتجاه يغير من جوهر هذه الصفقة ...

وهل تخيلت يوماً أنها تزحف بوجودها إلى " صقلية " ...تابعة لما كتب لها من نصيب ... وليس بالتبعية إلى " جزافييه " ؟

إنها لم تكن في الماضي تقدره فقط .. لعامل الملايين التي ينعم بها ... وإنما لذلك التأثير القوي الذي كان يعمها ويحتويها حتى قبل أن تتعرف إلى " بول " .

والآن ... بعد كل مافعله من أجلها... وبعد كل ما قاله لها... فقد أثر فيها أيما تأثير... أثر فيهاإلى الدرجة التى جعلتها تعتبر كل القرارات التي كانت قد اتخذتها وكأنها تفاهات لا وجود لها ... بل وأصبحت موافقاته أو اعتراضاته... اطراءاته أو انتقاداته ... كلها أشياء يمكن أن تغمرها تارة باليأس و أخرى بالانبهار و السعادة ...

المهم في النهاية أنه أثر عليها كل التأثير الذي كان فعالاً وإيجابياً ، حتى أنه في بعض الأحيان جعلها تشعر وكأنها مثل العرائس المتحركة ... بل وقبض على عواطفها ... فجعلها تطفو أو تغرق في طاعة تامة لأوامره ... دون أن يبذل أدنى مجهود في إصدارها ...

حقاً ! لقد بهرها " جزافييه " منذ البداية ... منذ كانت طفلة ...ثم صبية ... ثم مراهقة على طريق النضج ... رسخ بعمق في تفكيرها واحتلت شخصيته مكانة قوية في حياتها ...

فمنذ ذلك الصباح ... في فندق " أثينيوم " ... كانت قد شعرت في قلبها أن مصيرهما معاً قد تحدد برباط قوي إلى الأبد ...

وبنظرة إلى الوراء ... أيقنت " رومي " كم كانت علاقتها مع " بول " سطحية وغير واقعية ... ثم تخيلت نفسها وقد جُرحت جرحاً غائراً ... لن تغفره لنفسها ... واقتنعت تماماً ألا تقع في غرام أخر مدى حياتها... وفي خضم هذه المغامرة الصبيانية ... لم تكن لديها أدنى فكرة عما يكون عليه الرجل بمعنى الكلمة ... ولو كان "بول" يتمتع بمثل رجولة " جزافييه " ... لكانت شعرت فعلاً بخيانته الوحشية الضارية ... ولكن لحسن الحظ ... كانت العلاقة مختلفة تماما...

وكلما تقربت من " جزافييه " وازنت أمورها الماضية والحاضرة ولمست حقيقة مشاعرها تجاه " بول " التي كانت مثل خيال رومانسي أغرقت فيه نفسها ... فهي لم تحب فيه ... سوى فكرة الحب فقط ... ولم تحبه لكيانه .. كرجل من لحم ودم ... وإذا قارنت الوضع مع " جزافييه " .. وجدت أنها كانت تعيش مع " بول " قصة غرام وهمية ... كلها من نسج الخيال و الأوهام ... ولم يكن حبها له سوى تطبيق لاتجاهات نظرية أكثر منه تطبيقاً لحياة عملية ...

وكم من الأسى و المرارة تحملت في حناياها من جراء علاقتها بـ " بول " ... تلك العلاقة التي جعلتها تشعر وكأنها تقوم بدور في مسرحية درامية... وكان هو يمثل عليها ... وينال من كبريائها طيلة فترة هذه العلاقة ... حتى غرقت في الخداع إلى أنفها ... وأي مقارنة يمكن أن تقوم بين هذه العلاقة وتلك التي كانت بين " جزافييه " و إيفا " ... على الأقل فهذه الأخيرة قد توجها الزواج ... حتى وإن تحطم ... فقد دام لعامين كاملين ...

وهل كانت كيفية الظروف التى جمعت شملهما تهم في أي شيء ؟ ...

فكم من الزيجات التي تم تدبيرها مسبقاً ... نجحت على مر السنين بل وكانت في معظم الأحيان تعطي نتائج أفضل مما لم يتم تدبيره ...

وسألها " جزافييه " بينما هو يقبل *؟ . جبينها :

– فيم تفكرين ؟؟

فأجابت وكأنها تحلم :

– فينا نحن الاثنين .

فتمتم قائلاً وهو يضمها إلى جانبه أكثر :

– حسنا ! إذن لديك الكثير من التفكير ... والآن لابد أن تنامي ياحبيبتي .. لقد كان يوماً طويلا ومرهقا ...

www.elromancia.com

الفصل السابع

أدركت "رومي" أن علاقتهما قد تغيرت جذريا على مدى أسبوعين ... أو بتعبير أدق فقد نمت هذه العلاقة .. من الصفر إلى درجة كبيرة ذات معنى أسمى ...

وسارت هذه العلاقة الزوجية في طريق من التفاهم المستمر ... إذ عرف كل منهما خبايا الآخر إلى الحد الذي دفع " جزافييه " في بعض الأحيان إلى الإطراء والتعليق على محاسنها وجمالها بدقة متناهية ...

وعلى مر الأيام أصبحت لدى " رومي " أيضاً القدرة على تقييم أبعاد شخصية زوجها أكثر من ذي قبل .

فمنذ تلك الليلة ... الحفل الكبير ... والشعلة ... بدأت أحاسيسها تختلف تجاه زوجها ... والغريب في الأمر .. أنه هو أيضاً أصبح يهتم بها ... ويكن لها من المشاعر العميقة ما فاق كل تصوراتها أو ما كانت تبغيه ...

وبطبيعتها الصبيانية في بادئ الأمر .. رفضت " رومي " الاقتناع بإمكانية تقربه منها على الإطلاق ... وكان من الواضح أن تأخذ فارق السن في الاعتبار على أنه قد يقف حجر عثرة في سبيل سعادتهما ...

أما الآن ... وفي الوقت الراهن ... فقد شعرت أنها أساءت الحكم عليه و أن مثل هذه العوائق لاتمت للواقع بأي صلة ...

والسبب الأول الذي دعا إلى هذا التغيير ... هو أنه تفهم شخصيتها أكثر مما كانت تتوقع ... فقد اعتقدت في قرارة نفسها ... أنها تتمتع بنوع من الغموض قد يستحيل عليه أن يفك ألغازه ... ولكن مع مرور الوقت بدأت " رومي " تدرك مدى تمكن " جزافييه " من فهمها ومعرفة شخصيتها حق المعرفة ... وقد بدا وكأن لديه قدرة فطرية على التوغل في أعماقها واستشفاف عواطفها التي اعتقدت أنها أعمق من أي فكر يخطر على بال ، أو أي كلمة ينطق بها لسان ...

وهي إلى وقت قريب ... كانت تنفر منه .. وتخشى قوته ونفوذه ... وربما قدرته على إيذائها ... فقد كرهته لأسباب لاتمت للواقع بأي صلة ... ولكنه في الواقع كان رجلا غير عادي ... يتمتع بكل العزم والكبرياء التي يتسم بها الرجال ... مما استلزم وقتاً طويلاً كي تتقرب منه ... وكذلك كان الوضع بالنسبة له ؛ إذ استغرق فترة إلى أن توصل إلى التقرب منها ... غير أن العائق الحقيقي الذي وقف حائلاً دون تقربهما من بعض ... كان يكمن فيها هي ... أكثر مما توارى فيه هو ... فكان عليها أولاً أن تثق بنفسها ، ثم تمنحه ذات الثقه ... حتى تشعره بمدى إمكانيتها أن تكون له الزوجة المحبة و المعطاءة ... وهنا كان مربط الفرس ... إذ إنها تفتقد هذه الصفة بالذات...الثقة بنفسها والثقة بالآخرين... ومن أصعب ما مر بها .. ضرورة تعلمها لكيفية إلغاء البداية السيئة التي استهلت حياتهما ... لكي تبدأ من جديد ... وهي في هذا الصدد لم تكن لديها أدنى فكرة عن استغلال نقطة البدء ...

وربما لو أدركت أن الحقيقة كلها تكمن في شيء واحد ... وهو أنها تعني الكثير بالنسبة له ... وأن وجودها في حياته ... يحظى بمكانة كبيرة ومهمة ... فما عليها إلا التقدم و التوغل في حياته هذه حيث كان دائب الانتظار لهذه الخطوة بكل بساطة ... ولكن هل بإمكانها فعلاً أن تتقدم بهذه الخطوة ؟

أن تكون زوجته ... فهذا شيء .. وأن تكون أما لأطفاله ... فهذا شيء مختلف تماماً....

فما كان منها إلا أن تصاعدت أوهامها ... فإذا استمرت الأحوال على ما حدث بالفعل.... فلابد أنها ستحمل في وقت قريب ... وهذا التوقع في حد ذاته كان منبعاً لفزعها ...

فحملها لطفل لم يكن بالتحديد الفكر الذي يؤرقها بقدر ما كان ينقصها التعمق في الالتزام و الشعور بالثقة في " جزافيه " ... فقد كانت مشدودة إليه... وكان يحرك فيها كل الكوامن ومع ذلك لم تكن في أعماقها تستطيع أن

تجبر نفسها على الثقة فيه لهذا الحد ... ربما لأنها لم تعرفه بعد حق المعرفة ... بل وبصراحة تامة ... ربما أيضاً لم تكن تعرف نفسها حق المعرفة ...

ولكي تحمل أطفاله ... فهذه خطوة تحتاج إلى الكثير من الثقة ... و القليل من الارتباك الذي كانت تواجهه في الوقت الحالي ... بل الأقل بكثير من ذلك الارتباك الراهن ...

واليوم الذي يدخل فيه الطفل طرفا في حياتهما ... لابد أن تزداد فيه ارتباطاً بـ" جزافيه " بل و أن تستبعد كل فرصة للهرب ... ولم تستطع نسيان تحذيره البشع الذي أملاه عليها في" لندن "منذ بضعة أسابيع وهو :أن المحاكم الإيطالية سوف تؤكد تجريدك من كل شيء ... حتى من أطفالك ... وقد تجدين نفسك محرومة من الاجتماع بهم على انفراد ...فهل تقبلين هذا الشرط ؟

ولم تكن ترغب أن تجد نفسها متورطة في الحمل إذ إنها لم تع حقيقة مشاعرها حتى الآن ... لذلك فقد فضلت اتخاذ الاحتياطات اللازمة إلى أن ينجلي الوضع أمامها، كما أنها لم تجد لديها الشجاعة الكافية كي تفتح الموضوع مع " جزافيه " ... على الأقل في الوقت الراهن ... إذ لابد أن يكون هذا انتهاكاً صريحاً للاتفاق المبرم بينهما منذ البداية ، هذا إلى جانب رد الفعل الشخصي له من ناحية الجرح الذي قد يؤلمه و الغضب الذي قد يشتد به ... ولكنها على النقيض من ذلك فهي ليست من نوع النساء اللاتي يمكنهن اتخاذ قرارات مثل هذه في سرية تامة وبعيدة عن مصارحته بها...

فماذا تفعل إذن ؟ أصبح هذا الموضوع ينهش في عقلها ... واحتل الجانب الأكبر من تفكيرها .

وذات صباح ... استيقظت " رومي " والنعاس مازال يغالبها لتجد غرفتها مضاءة بأشعة الشمس الذهبية ...

وكان " جزافيه " قد استيقظ قبلها .. فنظرت إليه بعينين ملؤهما النعاس

بينما أخذ هو يداعب أنفها بخصلة من شعرها الأسود الداكن ... ثم تململت بكسل ولم ينفرج فمها إلا على نصف ابتسامة .. فبادرها بصوته الأجش قائلا:

– كم تبدين لذيذة ... أردت أن أوقظك عدة مرات ولكني تراجعت حتى لاأضيع على نفسي مشهدك الجميل وأنت مسترسلة في السبات ، فتمتمت قائلة :

– لايمكن أن تكون منمقاً لهذا الحد ...

فأجابها مؤكداً :

– بل إنني بالفعل منمق جداً ... ولا أجد من يناسبني أكثر منك ... ثم قبلها قبلة طويلة ملؤها الرغبة وهو يهمس في أذنها :

– ليس لدي ما أفعله صباح اليوم ... فأنا خالٍ ...

فاتسع فمها بابتسامة كاملة وهي تقول :

– أهذا صحيح !! وماهي اقتراحاتك لتمضية هذا الصباح ؟

فعلق بسؤال مصحوب برفع أحد حاجبيه :

– هل تعنين فيما بعد ؟

فقهقهت " رومي " قائلة :

– نعم !!

– أعتقد أنه بإمكاننا ركوب الخيل .

فتعجبت قائلة :

– ياله من شيء رائع ... فقد مضت عدة أسابيع منذ آخر مرة ركبت حصاني "دودو" ولكم أفتقده بشدة !!

وبتمتمة خافتة ... جذبها إلى صدره ليبثها غرامه بقبلة دافئة ويحتضنها وكأن هذه اللحظات هي المثلى كي يصبغها بمشاعره ... وأخذ يهمس باسمها مع كل لمسة من شفاهه على وجهها وعنقها إلى أن تحول الاسم إلى غزل وهو يقول :

– آه ! حبيبتي ... لشد ماأنك جميلة ... وقد توج جمالك برقبة هشة تجعلني

أخشى عليك من التفتت بين أصابعي ...

فهمست له بذات المعنى :

– لست بهذه النعومة ... ولست هشة كما تتصور .. ولاتخش أن تهشمني إذا كنت حريصاً علي ....

ومرة أخرى غابا في قبلة عميقة وتودد بالغ أفصحت عن كل ما تختزنه مشاعرهما إلى أن بدأت تتحسس طريقها إلى المستقبل ...

هل يمكن أن تستيقظ كل صباح على مثل هذه الصورة .. ؟ وهل يمكن أن يدوم حبه لها بهذه العواطف الجياشة للبقية الباقية من عمرها ؟ – إنها لم تكن تتخيل إمكان حدوث كل هذا ... لم تتخيل أن يشتعل الحب في قلبيهما وبمثل هذا التبادل .... ولم تأخذ في اعتبارها يوم أبرمت معه صفقة الزواج ... أن تتحول إلى غرام تخطت حدوده كل قواعد الالتزام ... وكان هو يتعمد إثارتها كي يسمعها تقول وبكل صراحة :

– نعم !! إنني أحبك ... إنني أرغبك .. فأنت زوجي ...

فأجابها وكأنه يفرض عليها الإجابة ..

– نعم !! فقد وجد كل منا الآخر ياحبيبتي ...

كانت كلماته هذه مثل ملامسته لأوتار الحقيقة المتعمقة في داخلها ...

وأيقنت أنه كان من الصعب تصديق إمكان لفظه لمشاعرها .. لقد كان رائعاً... بل إنه أروع رجل التقت به في حياتها ... ولم تكن سنوات عمرها القليلة إلا طريقاً مهدته كي تنعم بهذا اللقاء ثم الزواج من هذا الرجل ... ومنذ تلك اللحظة رأت أنه يقودها إلى مستقبل ذي آفاق جديدة بل ومناطق لم يتسنّ لها رؤيتها من قبل ...

ثم أفاقت من تخيلاتها على كلماته وهو يقول بكل هدوء :

– حبيبتي ! إنك لاتدرين كم أتوق لتكوين أسرة معك

www.elromancia.com

أجفلت "رومي" لدى سماعها لهذه الجملة ... وإذ به يلمح رد فعلها .. فجذبها نحوه بشدة وهو يقول :

– لماذا امتعض وجهك هكذا ؟ هل قلت شيئاً أغضبك ؟

فحاولت أن تبدو عادية ... ولكنها لم تستطع استغفاله ... إذ قالت :

– بالتأكيد كلا !! ... إنني فقط .....

– فقط ماذا ؟

– لقد ارتبكت قليلا فحسب ... عندما سمعتك تتحدث عن تكوين أسرة ...

فسألها بسرعة خاطفة :

– ألا تريدين أطفالاً ؟

– إن شرح مشاعري ... ليس بالسهولة التي تتصورها ... فقد لاتفهمني !!

فتحسس شفاهها بأطراف أصابعه وهو يقول :

– بل إنني أفهم جيداً ما تعانينه من عدم الاستقرار و الأمان ... ولكنك خُلقتِ للأمومة يا "رومي" ... وهذا هو ماأريده أكثر من أي شيء آخر في الوجود ...

فأجابته بصوت متقطع :

– هل هذه فقط هي مكانتي بالنسبة لك ؟ مجرد آلة تفريخ ؟ أو بمعنى آخر ... أي شيء يمكنه أن يحمل لك أطفالاً وفي أقرب وقت ممكن ...

فنكس حاجبيه ... متمشياً مع هذه اللهجة وذلك التعبير ... وبادرها قائلا :

– "رومي" !! ماذا أصابك بحق السماء ؟

– اعتقدت أنك تريدني فعلا !! ولشخصي فقط !!

ثم جلست ... وأزاحت خصلات الشعر التي تهدلت على وجهها ... وشعرت في قلبها بحرارة الألم وقد احتلت مكان عذوبة الرغبة التي كانت تتأجج في أعماقها منذ لحظات... أما الآن ... وقد بادر هو بفتح الموضوع ... فما عليها إلا مواجهة الواقع وإخباره بالحقيقة التي كانت تملأ عليها تفكيرها ... ولكنه سارع بتأكيد مشاعره نحوها قائلا:

– بل إنني حقاً أريدك أنتِ ... أريدك بكل ما أوتيت من رغبة ... بل وبكل ما يحمل لك قلبي من مشاعر ... أريدك بالرغبة التي تفوق كل الرغبات في أي رجل أمام امرأته...

فأومأت قائلة :

– ولكنك لاتنقطع عن التفكير في ورثتك ... وقد قلتها تواً ... إنها أهم شيء لديك في الوجود ...

– لاداعي للسخافة ... إنني لا أتصور أن تتحدثي معي بهذه الصورة بعد كل ماكان بيننا ...

فاستدارت لترمقه بعينيها الداكنتين ، من وراء كتفها ، وهي تقول :

– إنني فقط لا أتعجل الأمومة ... آه ! نعم ! لقد تذكرت أنني أقسمت في "لندن" على أن أنجب لك طفلين ... ولكنني لست على استعداد بعد لهذه المهمة يا "جزافييه" .. ودعني على الأقل أحظى ببعض الثقة في نفسي ... بل في كلينا ...

فنكس حاجبيه في تجهم وهو يقول :

– وهذا يعني أنك ترفضين أن تتورطي في التزامك معي إلى مثل هذا الحد!!

فاحتضنت نفسها بشدة كي تواجهه باعتراضها قائلة :

– ليس باستطاعتي الحيلولة دون هذا الشعور ... ولكن كل ما أطلبه منك هو إمهالي بعض الوقت ... فكيف يتسنى لي تقبل الحمل من رجل يكاد يكون غريبا علي ... إن الفكرة في حد ذاتها ... مخيفة ومقلقة ... أرجوك حاول أن تفهمني يا "جزافييه" ...

فلمعت عيناه وهو يسألها :

– هل تطلبين إذاً مايدور بذهني ؟

فاحمرت وجنتاها .. ربما خجلاً ... وهي تقول :

– حسنا !! في الواقع إنني لا أريد التوقف عن معاشرتك ... وأنت تعلم ذلك

www.elromancia.com

أكثر مني... ولكن ... ربما كان من الأفضل اتخاذ الاحتياطات اللازمة ...

وساد بينهما صمت ... تبعته همسة مثل الشريط المسجل إذا وصل لنهايته..ثم نهض "جزافييه" من الفراش وسار في صمت إلى الحمام ... فقد بدت على ملامح وجهه معالم القسوة وكأنه قناع من البرونز ...

وما كان منها إلا أن عضت على شفتيها ... ولعنت نفسها لاندفاعها بمثل هذه الصورة...فهي تعلم أن " جزافييه " رجل محنك ... بل وإنه صقلي صميم ... وموقفها هذا منه قد لايغتفر ... فقد جرحته جرحاً غائرا ... ولكن !! لارجعة فيما قالته ... فقد كانت تعني كل كلمة ... وحينئذ ... تمتمت في أعماقها قائلة:

- ياإلهي ... كيف يمكن لهذا الرجل أن يجمع بين الإحساس المرهف و المحبة السامية في آن واحد وفي لحظة ما ... ثم ينقلب في لحظة تالية إلى اللامبالاة و اللاشعور ...

وبعد أن أخذ كل منهما حمامه ... جلست هي تمشط شعرها وهي تحملق في فراغ صامت ... فجاء " جزافييه " وجلس بجانبها على الفراش ... وكانت تتوقع أن ترى الغضب على وجهه ... ولكنه لم يبد إلا بنوع من الجدية ...

- أجيبيني بصراحة ... هل تؤمنين بالمخاطرة ؟

فرمقته بفضول وهي تقول :

- بل لقد غامرت وخاطرت طوال حياتي !!

فأجابها قائلا :

- أما أنا ... فلم أفعل ذلك ... إنني رجل يعطي الأفضلية لكل ما هو مؤكد...

وبدا وجهه للحظة شديد العبوس .. ثم هز كتفيه باستخفاف وكأنه يبدد تلك الشكوك ... حيث استطرد قائلا :

ولكنني سوف أخوض المغامرة معك الآن يا " رومي " ... كما أريدك أن تعلمي شيئاً...

- وماذا تريدني أن أعلم ؟

- حول الظروف التي أحاطت بزواجنا ... وخاصة فيما يتعلق بالظروف المادية فقد كان هناك كثير من الأخطاء ... ومنذ البداية ...

فجلست وكانت تحتضن الملاءة بين ركبتيها حيث قالت :

- إنني لاأفهم !! وفيم يكمن الخطأ ؟.. لقد طلبت من والدي نصيباً في الشركة... فقاطعها بحدة قائلا :

- إنني لم أطلب شيئاً ... وعليك أن تفهمي هذا من الآن فصاعدا ....

فتساءلت :

- وماذا عن النقود ؟

- لقد عرضت استعدادي لإنقاذ الشركة كأمر طبيعي ... وكيف يتسنى لي أن أطلب الزواج منك وأترك أسرتك للضياع ؟

ثم هز رأسه تعجباً واستطرد :

- لم تكن الفكرة مقنعة .. فعرضت قرضاً بنصف مليون جنيه ... تسدد على خمس سنوات وبدون فوائد ... ولم أطلب مطلقاً أي حصة من الشركة يا "رومي" وإنما والدك هو الذي أبدى هذا الاقتراح ..فشهقت في دهشة وهي تقول :

- بابا !!

فأخذ يتفحصها من بين عينيه المكتئبين ... ثم قال :

- بالتأكيد !! ولكنني لم أتصور أنك اعتقدت أنني أريد أن أقبض الثمن ... مقابل الزواج منك ... وقد أفصحت عن ذلك بكل صراحة ... لقد كانت فكرة والدك ... وحاولت أن أرفضها ... ولكنه أصر عليها ... فقد بدا و كأنه لايستطيع تقبل النقود إلا إذا أعطاني شيئاً في المقابل ... على الرغم من محاولة تأكيدي له ... أنها لم تكن هذه هي الحال على الإطلاق ... ولكن يبدو أنه -كما قلت أنت- رجل تقليدي .. ذو أفكار تقليدية تحيد عن اللياقة ...

وكانت ترقبه باتساع عينيها وبقلبها الخفاق ... حيث قالت :

- وما الذي ترمي إليه الآن ؟

www.elromancia.com

– لقد وافقت في نهاية الأمر على أن أحصل على بعض الحقوق في مصانع " فورلاري للنبيذ " ولكنني لم أفعل ذلك إلا حفاظاً على كرامة والدك .. ولكي أعمل على ربط أواصر الأسرتين ... وإنني بكل تأكيد لم يكن في نيتي سحب أي مبالغ من الشركة أيضاً ... وقد تصورت أن تكون هذه الحصة ملكاً لكِ ... حصة مقابل الزواج تعود إليك ... أكثر مما تعود إلي ... والتي مع مرور الزمن ... وفي الوقت المناسب يمكن أن تمنحك درجة كبيرة من الاستقلال المادي ...

ففغرت فاها بعدم تصديق وهي تترنح في السؤال :

– هل هذه هي فعلاً الحقيقة ؟

فدعاها بهدوء قائلا :

– يمكنك التحقق من خلال والدك ... وعندما جاء الإصرار من جهتك أنت ... أن أتنازل عن أي مطالبات تتعلق بالشركة ... فلم تشكل فرقاً بالنسبة لي ... إذ إن والدك .. أخطر بكل بساطة أنه يوافق على التدبير الأصلي الذي كنت قد عرضته ... وقد شرحت له أن الرفض لهذه الفقرة قد جاء منك .. ثم أفهمته أنه لامجال لإتمام أي شيء دون موافقتك ... إذن ... سوف يتولى والدك إعادة النقود بعد عودة المصنع لرونقه وانتعاشه ... وليس لأنه كان يشكل جانباً من الأهمية بالنسبة لي ... والواقع أن كل مافي الأمر ... كان وسوف يظل متعلقاً بك أنت ...

فشعرت " رومي " أن جسدها أخذ يسخن و يبرد في آن واحد ... فرفعت يدها إلى جبينها محاولة إيقاف الخفقان الذي أصابها فجأة ...

فسألها " جزافييه " و قد بدا عليه القلق :

– ماذا بك ... هل أنت بخير ؟

فاعترفت وهي تشعر بدوار :

– لست أدري ... ولقد ضاعت الكلمات من على لساني ...

فأجابها بجفاء :

– وهذه علامة على بعض التغيير ...

حاولت " رومي " أن تستجمع شتاتها وهي تشعر أن العالم قد انسحب من تحت قدميها حيث قالت :

– لماذا ؟ لماذا لم تخبرني بكل هذا من قبل ؟

فابتسم ابتسامة غامضة وساخرة وهو يقول :

– كنت أمل ألا أضطر إلى هذا ... فقد أبرمنا – أنا ووالدك – اتفاقاً مشتركاً بيننا .. ألا نطلعك على أي شيء من هذا القبيل ...

– ولماذا ؟

فأجابها " جزافييه " :

– لعدة أسباب مختلفة ... ولكنها جاءت كلها بالنتيجة الواحدة المرجوة ... التي جعلتك تصبحين زوجتي ...

– وماذا تعني بذلك ؟

– عندما تقابلنا ذلك الصباح في " أثينيوم " ... اتضح لي فوراً أنني لن أحصل على شيء إذا تقدمت لخطبتك بالأسلوب التقليدي ... فقد كان عداؤك لي مبالغاً فيه ... بل يكاد يبدو في صورة توحش ... وقد أنذرتني أسرتك بمدى المرارة التي خرجت بها من تجربة " بول مورتيمر " ... ولكنهم لم ينبهوني إلى شعورك العدواني نحوي .. ولقد اعتقدت في بادئ الأمر أنك أتيت لتبلغيني برفضك ...

وأخذت " رومي " ترقب وجهه بصمت ملؤه التوتر ... بينما سكت هو برهة كأنه يحاول أن يستجمع أفكاره : ثم استرسل قائلا :

– ولكن أهم ما في الموضوع ... والذي كان واضحاً على وجهك ... هو أنك كنت واقعة تحت تأثير ضغوط رهيبة من الموضوع بصفة عامة ...

ثم هز كتفيه واسترسل :

– بالتأكيد ... كل تلك الضغوط كانت من نسيج خيالك .. ولكني أدركت أنني إذا استطعت رفع هذه الضغوط عن كاهلك ... فسوف أفقد الأمل كلية في جعلك زوجتي... فلم تكن هذه الضغوط سوى الممر الوحيد المناصر لي في موقف خاسر كهذا !!

فقالت وهي تلهث :

– لذلك ... فقد كذبت علي !!

وبطريقته القديمة الصارمة .. صحح كلامها قائلا :

– بل لقد كذبت أنت على نفسك ... ولم أفعل شيئاً سوى أن وقفت مستعداً لسماع سلسلة من الأسباب المختلفة المؤدية لزواجك مني ...

وشعرت أنها فعلاً تمر بدوار عنيف حين قالت بصوت متقطع :

– إنني لا أصدق كل هذا !! إذن لم يكن الموضوع يتعدى كونه قرضاً ... وقد جعلتني أشعر طول الوقت أنك اشتريتني ...

ثم تصاعدت نوبة الدوار حتى كادت تتأرجح على قدميها وهي تقول :

– إذن أنت تعني ... تعني ... أنني لم أكن مضطرة إلى الزواج منك البتة !!

فأجابها " جزافيه " وقد ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة :

– أما هذا الموضوع ... فهو مختلف تماماً ... إذ إن ضرورة زواجك مني ... لم يكن فيها مجال للشك على الإطلاق ... أو على الأقل بالنسبة لي ...

فبكت وهي تقول :

– ولكني ... ولكني وافقت على الزواج منك ... كي أنقذ والدي !!

فعارضها بلطف قائلا :

– إنني لا أصدق هذا ... كونك تحبين والدك ... هذا أمر مفروغ منه ... ولكن مثل هذه الأشياء ... استحالة أن تتم هكذا ... فالزواج يعني أكثر بكثير من عدة ملايين ... ولا يتواجد أي نوع من الإكراه كي يحتال على شغاف قلبك ... لقد قبلت الزواج مني ... لأنك أنت أردت ذلك ...

– إذن أنت مجنون لو كان هذا هو اعتقادك !!

وتحولت حدقتا عينيها إلى زرقة داكنة جداً ... واعتمل الاضطراب في أعماقها حتى كادت ألا تحتويه ... ثم بدأت الانفعالات المتضاربة من عدم التصديق إلى الخيانة ... تفقدها السيطرة على كتمانها ... ولم تشعر إلا وهي تقول :

– كيف يمكن لوالدي أن يفعل كل هذا بي ؟

فأجابها " جزافيه " :

– إن والدك يحبك من أعماق قلبه ... لقد كان على حافة الإفلاس ويكاد يواجه دماراً محققاً ... ولم يكن يفكر في شيء سوى أن يوفر لك مستقبلاً آمناً قبل وقوع الكارثة ... و أما أنت !! فقد كنت متلهفة لتقديم أي مساعدة ... أليس كذلك؟

فانفجرت فيه غاضبة وهي تقول :

– إذن فقد وانتك الفرصة الذهبية لكي تكذب !!

فأومأ سريعاً بوجهه :

– لأنني كنت أريدك ... ولو لم أفعل ذلك ... لكنت فقدتك إلى الأبد ...

– وماذا عني أنا ؟ ألم يكن لي رأي في الموضوع ؟ وهل اعتبرتني .. مجرد صفقة أخرى ضمن أحد اتفاقاتك ؟

وكانت تلهث في محاولة التنفس كما لو كانت الحجرة مغلقة بإحكام وأنها تكاد تختنق ... وإذ بـ " جزافيه " يفقد صبره ... مما جعل وجهه يبدو حاسماً حين قال :

– كلا يا "رومي" .. إنني أحاول أن أوضح الأمور بعكس ما افترضته أنت... فأنت الوحيدة التي دأبت على الكلام عن الصفقات .. وقد تسلطت هذه الفكرة عليك حتى أن ثبتت ضمن مفهومك للزواج ... و أعتقد أن هذه الحالة التي توصل إليها عقلك ضارة للغاية ... ولذلك فأنت لاتستطيعين أن تثقي بي ...

ولاتريدين أن تنجبي مني أطفالا ...

– وهل لهذا السبب ... طرحت علي كل ذلك ؟

فأجابها بسرعة :

– بل لأن زواجنا واقع حي يا " رومي " ... وليس صفقة أو تدبيراً ... إنه زواج بكل ما يحتويه من حب ... وهل البدء في تأسيس أسرة لايشكل جزءا من عقد مبرم ... إنها النتيجة الطبيعية لكوننا زوجاً و زوجة ... فبالله عليك ... توقفي عن التفكير بصيغة الاتفاقات و التدابير ... توقفي عن رؤيتي بمنظور رجل لاقلب له ويمكنه التلاعب بك ...

– بل أنت فعلاً المحرك الرئيسي لكل هذا !!

قالت ذلك وكأنها تتشاحن معه .. وقد تأجج غضبها ... ولكن توقفت دموعها .. ولم يتبق سوى هدف واحد ... وهو تحديد وحشي لإنهاء الموقف ... إذ قالت

لقد انتهى كل شيء يا " جزافييه " ... كما تغيرت الأوضاع بينك وبيني تغيراً جذرياً ... فتحول فمه إلى ماينم عن القسوة وهو يقول :

– أنت مخطئة ... فلم يتغير أي شيء بيننا ...

– إن زواجنا لايعني شيئاً الآن .

فأجابها " جزافييه " بتهكم :

– بل إن زواجنا يحمل كل المعاني التي كان يعنيها قبل معرفتك لأي شيء من كل هذا ... لا أكثر ولا أقل ...

وكانت ضحكة صدرت عنها و كأنها نوبة من التشنج حيث قالت :

– إنني متأكدة من أنك سوف تسوي وضعك مع ضميرك ... أما أنا ... فلا أستطيع ذلك ... لقد كذبت علي ... ولن أغفر لك هذا مدى حياتي ...

وكان يرقبها بعيون غاشية وهو يقول بهدوء :

– لقد فهمت !! كان ينبغي أن أحتفظ بالحقيقة لنفسي فقط ...

فوافقته قائلة :

– نعم !! كان ينبغي عليك ذلك ... وإنني عائدة إلى " لندن " يا " جزافييه " ... و أعتقد أن ترتيبات الطلاق لن تشكل أية صعوبة ...

ثم ضغطت على كلماتها وهي تقول :

– إن زواجنا قام على أساس كاذب من البداية إلى النهاية ...

فعارضها بسرعة :

– إنك قطعاً مخطئة ...

– كلا !! و إنني لعائدة يا " جزافييه " !!

– إلى أين ؟؟

– إلى " لندن " بكل تأكيد ... إلى أسرتي ...

فأطبق " جزافييه " فمه على ابتسامة ساخرة ولكن برفق ... إذ قال :

– مسكينه يا " رومي " .. إنك تتشبثين بأوهام شاذة ... ومن ذا الذي سوف يأخذك ...؟ والدك ؟ شقيقك ؟ ... وهل تتصورين حقيقة أن والدك يقبل إعادتك وهو يعلم أنك هجرتني ؟ بل وهو يعلم أيضاً أن مكانك الحقيقي هو هنا؟

أما من جهة شقيقك ... فقد عرفني بالرجل القليل الاحتمال ... ولست أرى أي أمل في هذا الاتجاه ... ولن تشعر أسرتك كلها إلا بالخجل والعار إذا فكرت فعلا في العودة الآن ...

– أيها الوغد !!

وكان بروده قد وصل إلى الذروة فأصبح مثل لوح من الثلج ... إذ استرسل قائلاً :

– إنني أشعر بالأسف لأنك تناولت الموضوع بهذه الطريقة ... لقد كانت فكرتي مخالفة تماماً .. إذ اعتقدت أنه قد يكون دافعاً لتغيير شعورك من جهتي... بل ومن جهة إنجاب الأطفال .. ولكن شيئاً لم يتغير.. سواء بالنسبة لك..أولي أنا... أو حتى لأسرتك في لندن ... ولن يتقبلوك إذا تركتني وعدت

www.elromancia.com

إليهم ... وسوف يعلون عليك ما أكرره لك الآن : إن مكانك مع زوجك ... أي معي .. أنا ... فهذه الطقوس التي خضناها ... ليس من السهل كسر قواعدها ... وبدأ صوته يبدو أكثر خشونة ..

– لقد كانت تعني أكثر من مجرد بضع كلمات أو توقيع على صفحة .. إنك زوجتي ... ولا شيء قد حدث ليغير هذا الوضع ...

أصغت إليه " رومي " في صمت يشوبه التوتر ثم قالت بصورة قاسية :

–بالتأكيد ... فقد حدث شيء يغير الوضع كله ... وقد كان بيننا إتفاق ...

فأجابها بقلب متحجر :

– لم ينطبع هذا الاتفاق إلا في رأسك أنت وحدك ... ثم إنك قبلت الزواج مني... والآن ... نحن زوجان ...

– إنها صورة مزيفة لهذا الزواج ... وسوف أحصل على الطلاق ...

– على أي أساس ؟ عدم اكتمال العلاقة الزوجية ؟ قد ينجح ادعاؤك لو أمكنك إثبات عذريتك ... وعلى ما أعتقد ليس بإمكانك إثباتها وهي ليست سهلة في مثل حالتنا ... وإذا تهيأ لك أن تهجريني ... فبكل تأكيد ستزداد الأمور تعقيداً بالنسبة لكِ ... وزيادة في التأكيد إذا أزمعت العودة إلى "لندن" ... فلن أبدي أي تعاون إذا شرعت في إجراءات الطلاق ... ولن يكون أمامك سوى الجلوس في مكتب المحامي لمدة خمس سنوات من الآن ... ولن تنعمي بأي حرية، إذ إنك سوف تواجهين الفضيحة والعار... وباستطاعتي أن أؤكد و أكرر لك ... لا والدك ولا شقيقك يتقبل عودتك إليهم .. بل سوف توصد الأبواب أمامك ... وإذ ذاك ... لن تجدي طريقاً إلا الوحدة الموحشة ...

هذا الحديث البارد المتحجر ... جعلها تلهث وهي تقول :

– عليك اللعنة !! أنت لاتعرف والدي ... ولا أسمح لك أن تتجرأ وتتكلم عنه بهذه الصورة ...

فعارضها " جزافييه " وهو متمسك ببروده .. قائلا :

– بل أنت التي لاتعرفين والدك ... وإلا ما تحدثت بهذا الأسلوب الأرعن ... إن والدك من "صقلية" أصلا ... فهو إذن رجل يعتز بشرفه ... ثم إنك حطمت قلبه بعلاقتك مع " بول مورتيمر " .. فضحكت بحرارة وهي تجيب :

– وهل لهذا السبب تأمر معك ليبيعني ؟ مثل الجواري في سوق الرقيق ؟

– إذا كان هذا ما تسميه مؤامرة .. فلقد تمت بدافع من حب عميق لك يا "رومي".

– وإذا كان والدي فعلاً يحبني فلن يستطيع أبداً أن يخذلني .. أبداً .

فضاقت عينا " جزافييه " وهو يقول :

– وماذا عن ذلك الموضوع البسيط المتعلق بالخمسمائة ألف جنيه ؟

ولا تنسي يا " رومي " أنه ضمن سلطاتي أن أطالب باسترداد هذا المبلغ أي وقت أشاء ... وهذا لايعني سوى نهاية مصانع "فورلاري" إلى الأبد... إذ سوف يلحق بها دمار شامل تام ...

فهمست رومي وقد شحب وجهها كأنما سمعت انفجاراً رهيباً ...

– لا !! لن تفعل هذا !!

فصدرت عنه إشارة لاتعني سوى الازدراء حيث قال :

– وإذا كانت فكرة وجودك هنا كرهينة ... وقد أمالت رأسك بمثل ما حدث ... فلن تكون هناك أي مشكلة لتحويلها إلى حقيقة واقعة ...

فهزت رأسها بتعجب وهي تكاد تبدو مخدرة ... هل بعد كل العواطف الدافئة والتقارب الذي ربط بينهما ... يمكنها أن تتصور حديثه بهذا الأسلوب ... لقد طعنها طعنة قاتلة في قلبها وروحها ...

وعادت عيناه تتفحصان عضلات عنقها و كتفيها التي كادت تتيبس من شدة التوتر والغضب ... ولكنه تراجع عن قسوته وعادت بعض التعبيرات اللطيفة تبدو على وجهه وهو يقول :

– لو كنت مكانك ياحبيبتي ... لفكرت ألف مرة ... قبل أن أقدم على حجز

www.elromancia.com

تذكرة إلى لندن ... إنني لا أريد أن أتحدث معك بهذا الأسلوب يا "رومي" ... بل إنني أريدك هنا ... معي ... وإلى جانبي ... وعلى أي حال ... فبرغم ما اطلعت عليه الآن ... فلن أسمح لكِ حتى بمجرد التفكير في إلغاء زواجنا ... لن يحدث هذا مطلقاً ...

ثم حاول أن يلاطفها بلمس وجنيتيها بنوع من الدفء ... ولكنها هبت فيه كالحيوان الضاري .. ودفعت بيده عنها وهي تقول :

- لاتلمسني ... ولن أسمح لك بأن تدنو مني ...

ثم حملقت في وجهه الصارم المتوتر وهي تتمتم :

- إنني أكرهك ... وسوف أظل أكرهك !!

وأخذ كل منهما يحدق في الآخر وقد تثبتت نظرتهما في ذات الاتجاه ، إذ ساد بينهما صمت كئيب ... وكان التوتر قد تصاعد إلى حيث بدا و كأنه تيار كهربي في أسلاك للضغط العالي ...

ولم يكسر هذا الصمت الرهيب إلا " جزافييه " عندما قال بصوت منزعج :

- إنني أريد أن أكون زوجاً لك ... ولكنك تجبرينني على أن أبدو كعدوك ...

فزمجرت قائلة :

- وهل هذا هو مايدهشك ... بعد الطريقة التي عاملتني بها ؟

فقال بهدوء ولكن صوته كان ينم عن التوحش !

- ثم ماذا لواعترضت أنا على الطريقة التي تعامليني بها ؟ وماذا لو أنني مللت برودك.. وغطرستك .. ووقاحتك ... وماذا لو نفد صبري في انتظار خضوعك كي تبدني التصرف مثل زوجة ...

فقذفته بنفس الأسلوب قائلة :

- إذن !! ماعليك إلا أن تخرجني من هذا المنزل ... وافعل مايليق بكرامة الزوج الصقلي ... أرسلني ثانية إلى" لندن "حتى مع لعناتك ... ثم ابدأ مع "إيفا " مرة أخرى.... فهي لاتتمنى أكثر من هذا ...

وبدت أسنانه تومض مع ابتسامة شرسه مثل شراسة النمر .. إذ أجاب :

- كلا !! بل هنا مكانك !! وهنا سوف تبقين !!

وبدأت أنفاسها تتلاحق وهي تشعر أنها لم تكره شيئاً مثلما كرهته .. ثم هبت قائلة :

- سوف تندم على ذلك ... وسوف أحول حياتك إلى جحيم ...

فنكس حاجبيه ولمعت عيناه بنذير من سوء وهو يقول :

- لأنك تظنين أنك تجبرينني على أن أتركك ترحلين ..لقد أخطأت تقدير الأمور، إذ إنني لست بهذه الغفلة !!

فهبت فيه قائلة :

- لن أدعك تقترب مني بعد ذلك ... لقد كسرت قواعد الصفقة التي أبرمت لصالحك منذ البداية ... والآن ... أنا أيضاً سوف أكسر قواعدي ... وعليك أن تستبعد كل فكرة عن تكوين أسرة ... فلن يكون لي طفل منك أبداً ... كما أريد أن تكون لي غرفة نوم خاصة ... هل تسمعني ؟

- نعم إنني أسمعك !!

ثم اختفت العاطفة والانفعال من عينيه ومن فمه .. وحلت مكانهما الصلابة والعزم، فتجمدت عيناه ووقعت كلماته عليها وقع السياط إذ قال :

- سوف انفصل عنك يا "رومي " ... فقد طفح الكيل ... ولم يتبق من مشاعري سوى عدم الاهتمام واللامبالاة .. وسوف أعطي تعليماتي إلى الخدم كي ينقلوا أشيائي إلى غرفة نوم أخرى اليوم ... وربما يسعدك هذا التصرف على الأقل ، فانتزعت نفسها بعيداً عنه ... ودفنت وجهها في الوسائد ... بينما وقف هو لارتداء ملابسه في صمت مبهم ...

وبمجرد أن استدار وخرج من الغرفة ... التقطت التليفون وأدارت القرص لتطلب رقماً في" انجلترا "...

كان الصوت الذي أجابها على الهاتف هو صوت " لورا " زوجة شقيقها التي

www.elromancia.com

قالت :

– إن والدك و "تيو" قد ذهبا إلى المدينة للاجتماع بالحارس القضائي ... وقد كانا يعملان ليلاً ونهاراً حتى يتمكنا من جعل الشركة تقف على قدميها مرة أخرى... وهي الآن قد بدأت في سداد الديون ..ماذا بك يا "رومي" ... يبدو أنك مضطربة ... هل حدث شيء؟

ولم تستطع "رومي" كتمان جرحها وإحساسها بالخيانة ... فاندفعت تسرد كل ماعرفته من "جزافييه" تواً ... وكأنه حساب عسير ...

وبعد مضي خمس دقائق ... قاطعها صوت "لورا" وهي تناديها :

– "رومي" ... "رومي" ..

وكانت "رومي" تتحدث بانفعال بالغ ... ثم توقفت لتلتقط أنفاسها ... وقد اعتصرها المجهود الذي بذلته في الإفضاء بمشاعرها على الهاتف وفجأة تعجبت قائلة :

– ماذا ؟

– إنني أعلم كل هذا !!

– إذن فقد كنت طرفاً في الموضوع أنت أيضاً ...

ثم مسحت جفونها المبتلة واسترسلت :

– وكيف استطعتم جميعاً أن تفعلوا هذا بي ؟

فحاولت "لورا" تهدئتها قائلة :

– إنك قطعاً مضطربة الآن ... وكل ما تحتاجين إليه هو بعض الوقت لتعتادي هذه الفكرة ... وحينئذ ... سوف تدركين كم ستكون سعادتك ...

– سعيدة !! هنا !! لن يحدث هذا على الإطلاق ....

أوه يا "لورا" وهل تعتقدين أنني أمتنع عن الحضور على أول طائرة إذا كان ذلك بإمكاني؟

فأجابتها "لورا" دون أن تعي أنها تردد ماسبق وقاله "جزافييه" ...

– إياك وأن تفعلي هذا ... سوف تلحقين بوالدك العار والخجل ..وياليتك تعلمين كم يتمنى من قلبه أن يكلل زواجك هذا بالنجاح ...

فتساءلت "رومي" بتعجب :

– ينجح !! ومن أين له بهذا النجاح !! ليس هناك أي شيء يدفعه للنجاح ... إن هذا المنزل خالٍ من أي عواطف أو حب ...

فأجابت "لورا" :

– إذن عليك أنت بدفع عجلة الحب ... فأنت لاتعلمين شيئاً عما تريدين التخلص منه .

فأجابت بحرارة :

– بل أعتقد أنني أعلم تماماً ... فقد بدأت بالتخلص من نفسي ..ولم يتبق أي شيء ذي معنى في حياتي ...

– ماهذا الهراء ... إن لديك حياة حافلة يجب أن تستمتعي بها ...

فحدقت "رومي" في قرص التليفون وكأنها غابت في فراغ لايملؤه سوى ضربات قلبها التي اشتدت مما تملكها من غيظ ... فقالت :

– بل حياتي كلها ... ليس الآن ... ولن يكون مستقبلاً ...

فبادرتها "لورا" قائلة :

– إن "جزافييه" رجل ممتاز ورائع ... ولكن إذا لم تتعلمي كيف تتقربين منه... فقد تفقدينه إلى الأبد ...

فاتكأت "رومي" على الوسادة وهي تقول :

– ليت لي مثل هذا الحظ ...إنه لن يدعني أرحل ... وقد أكد ذلك بعدظهر اليوم. – وهل تعتقدين أنه متمسك ببقائك لمجرد الاستمتاع بوجودك ؟

وكان صوت "لورا" ينم عن بعض السخرية ... حيث استرسلت :

– إنه رجل متحذلق ... بل هو ناضج وجاد وله عقلية غير عادية ... أما أنت ... فإنك تتكلمين مثل مراهقة صغيرة مشوشة الأفكار ...

www.elromancia.com

فأجابتها " رومي " بأسلوب لاذع وكأن حزنها قد انفجر غضباً :

– وأنت تتكلمين من منطق عاطفي وغبي ... فقد جذبك أنت أيضاً...أليس كذلك ؟ وليكن لديك علم بأن هذه ليست قصة عاطفية يا "لورا" ... كي تقرئي النهاية السعيدة على صفحتها الأخيرة ... بل إنها صورة مزيفة ... مهزلة ... والأصح أنها فخ وقعت فيه ولن أتمكن من الخلاص منه ... وليست هناك أي فرصة لهذا الزواج ...

فردت " لورا " بحدة غير متوقعة :

– بل نعم لديه كل الفرص يا " رومي " !! إنني أعي تماماً أن هناك زيجات لم تنجح ... وعلى الأقل لدي خبرة أكثر منك ...

وشعرت " رومي " بنوع من الخجل وهي تقول :

– لم أكن أعني ذلك .

فأجابتها زوجة شقيقها باختصار :

– لقد تنبهت لملاحظتك ... وأعلم تماماً أنني و " تيو " .. لانكون الثنائي المؤهل للسعادة... فقد تزوجنا لأسباب .. بدت معقولة ومناسبة حينذاك .. منها أسباب عائلية وأخرى متعلقة بالعمل ...على أي حال .... فالأسباب مازالت جيدة و إنما الزواج في حد ذاته ... ليس بذات الجودة ... وربما لو كنت أنجبت أطفالاً .. لتغيرت الأوضاع ... ولكن للأسف ... حتى الآن ... لم أنجب ..

فأجابت " رومي " بهدوء :

– لم أكن أعلم .

– في الواقع لو كنا أنجبنا طفلاً واحداً منذ عدة سنوات ... ربما كان له الفضل في تقربنا من بعض ... ولكن يبدو أن الوقت قد فات .. إنني لا أرغب في إنجاب طفل من زواج قائم على غير حب ولو أمكنني إنجابه بالفعل ... وقد يكون ذلك مستحيلاً ... إذن... فأنت تتمتعين بميزة أكثر مني ... إذ باستطاعتك الإنجاب ... أما أنا .. فقد يكون مُحالاً ...

فجلست " رومي " وأجابت بلطف :

– أوه !! يا "لورا" ... إنني آسفة لسماع هذا ....

فأجابتها " لورا " وقد اتسمت نبراتها باللطف :

– إنني لا أقول لك هذا لأشعرك بالأسف ... وتأكدي أنني أعلم تماماً ما أتكلم عنه ... أنت تقولين إن " جزافييه " يحتقرك ... بالعكس ... إنه يحبك ويهتم بك، وإذا كنت لاترين ذلك ... فأنت عمياء ...لقد أراد الزواج منك منذ عدة سنوات... ومن الواضح أنك شغلت تفكيره طوال هذه الفترة ... ومهما كانت الأخطاء التي اعترضتكما ... وبدون تدخل مني ... فأنا أقول الحقيقة .. إن " جزافييه " يتمتع برجولة متسعة الأفق كي تسمح لك بالوقت الكافي حتى تتبيني مشاعرك.. فلا تكوني حمقاء يا " رومي"... ولا تلقي بهذه الفرصة الرائعة في عرض الطريق ... وإذا منحته الفرصة فتأكدي أنه سيجعل زواجك هذا مثالا .. لايمكن لامرأة مثلي إلا أن تتخيله في الأحلام ... هل تعلمين كم من النساء يحلمن بـ " جزافييه " ؟ وهل تعلمين كم منهن تتمنى لو أتيحت أمامها الفرصة لأن تتبادل معك لتحظى بقربه ؟

إنه ولا شك من أوسم الرجال و أكثرهم جاذبية ورجولة ... ولن يتسنى لك أن تجدي رجلاً آخر مثله في حياتك كلها ...إن كل ما يملكه هو الكبرياء ... وله كل الحق في ذلك... وإذا حاولت أن تحولي احترامه لك إلى ازدراء ... فسوف تفقدينه إلى الأبد ... فأجابت " رومي " وقد كلت تعباً :

– أوه ! يا " لورا " ... إنك لاتفهمين ... ولن تفهمي أبداً ...

فقالت " لورا " بثبات :

– أنا لن أقول لوالدك عن هذه المكالمة ... وعليك أن تصبري عدة أيام حتى تهدأ أعصابك ... فلابد أن تكون أفكارك مشوشة بعد شجار كبير كهذا ... وإذا أردت أن تتكلمي لتزيحي عن قلبك الهموم... فاطلبيني... وسأكون دائما هنا ...

صمتت " رومي " لحظة ... ثم تنهدت وهي بصدد إنهاء المكالمة حيث قالت :

– أشكرك على إصغائك لي ... وعلى كل حال ... أنا أعلم أنك لاتعنين سوى كل الخير...

وأغلقت الخط ... بينما استمرت في جلستها وهي تحدق في لاشيء ... لم يكن هناك ماتقوله ... فقد خدِعت ... ووقعت في فخ ... بل إنها خُذلت في زواجها ، ولم يخذلها سوى أسرتها و أيضاً " جزافييه " ... وعلى وجه الخصوص فأكثر ما يؤلمها هو الشعور بأن والدها قد تآمر لوضعها في هذا المأزق ... ولم يكن من العسير عليها أن تفهم لماذا فعل ذلك ... فإن نظرته الرجعية و المتأصلة فيه كرجل من أصل صقلي... اعتبر فضيحتها مع " بول " و كأنها صاعقة وقعت عليه ... ومن الواضح أنه شعر بواجب فوري أن يعمل على تزويجها من شخص محترم ذي مكانة في أقرب وقت ممكن ... ولم يكن هناك أفضل من" جزافييه"... فهو الاختيار الأمثل ...

وماذا عن ذلك العمل الخسيس المتعلق بالماديات والنقود ... إنه لم يكن سوى مسألة اعتراضية ... مثل الغمام إذ يحجب الهدف الحقيقي ... ألا وهو زواجها من "جزافييه" ... وفي غمرة هذا التفكير ... شعرت وكأن الدنيا قد أظلمت في عينيها..لتفتح طاقة كبيرة في قلبها فيه الجوانب الكامنة والتي اختبأت منذ عدة أسابيع ... إن عرض حصة من الشركة لم يأت إلا من والدها ... بالتأكيد، ومن عساه أن يكون غيره ؟ فمهما كانت صفات " جزافييه " فإنه قطعاً ليس من الرجال الذين يستخدمون النقود كمادة لابتزاز والدها ... ولم يكن باستطاعته عمل شيء كهذا... تماما مثلما لا يقبل أن يغش أو يسرق ...

ولقد تعجلت هذا الزواج وكلها ثقة أنه لن يكون لها أو لأسرتها خلاص إلا به .. يالها من حمقاء ... عاطفية ... وكيف كان يبدو لها ... هل هو نوع من الأعمال العظيمة ... أم أنه شيء لاتستطيع نزعه إذا ما احتك بجلدها ... وشعرت كأن عقدة من الأسى والمرارة قد تصلبت في حلقها .. فأخذتها الحسرة على ذاتها... وشرعت تصرخ في أعماقها ... وتغرق عينيها في بحر من

العبرات ، ولم تتوصل إلا لنتيجة واحدة ... ألا وهي : لن تتصل مرة ثانية ببيت أسرتها ... لقد أوقعت نفسها في شباك ... التفت هي بها ... ولم يعاونها أحد ... وهكذا، فما عليها الآن إلا أن تواجه هذا الواقع ... أيضاً دون معاونة ... بل باعتمادها على نفسها فقط ... فلم يكن هناك من تستطيع أن تلقي عليه بهذا العبء ... إن الحياة تسير دائماً إلى الأمام ... ولارجعة فيها إلى الوراء ... وحتى لو أنها أخطأت في منعطف ... أو وجدت نفسها تبحر في الظلام ... فمهما اتسعت عيناها ... فلابد أن تواصل الإبحار ... وإلا غرقت ...

الفصل الثامن

واشتد فصل الشتاء ...

ولم تلحظ " رومي " ذلك ... إذ إنها التحفت بالأسى و أغلقت نفسها على عالم مملوء بالمرارة ... ولم تأبه لما يدور حولها من تغيير في فصول السنة ... ولم يكن الشتاء هنا مثلما هو في انجلترا ... حيث الأشجار الخالية من الخضرة والتي اكتست ببياض الجليد .. واهتزت بعنف للرياح الثلجية ... وإنما تمثل الشتاء هنا في طبيعة منحسرة ... فتحولت خضرة الريف الزاهية ... إلى لون بني سيطر بالكامل على أرجائه في كافة المزارع ... ورغم صفاء السماء وزرقتها الدائمة ... إلا أن البرودة القارسة قد عمت جو الريف وبددت فيه كل معالم الدفء ، خاصة و أن التلال المحيطة بهذا الوادي قد ترصعت وامتلأت بحبات الجليد التي أضفت عليها بياضاً ناصعاً ... ولم تكن برودة الشتاء في الخارج فقط ... بل عمت أرجاء المنزل برودة قارسة ولكن من نوع آخر ... فطوال الأسبوع المنصرم .. ظل وجه " جزافييه " بارداً مثل جبال الجرانيت المحيطة بالمنزل ...

ولم ينفرج حاجباه الداكنان للتخلص من لمحة العبوس التي لازمتهما والتي تنم عن مدى التركيز في هذه العقلية الجبارة ... ولا أدل على ذلك أكثر من فمه المطبق المحكم الإغلاق و كأنه يمضغ بعض التعبيرات التي يحجم عن لفظها .. أما الكآبة التي كست نظرة عينيه الرماديتين ... فقد كانت الشيء الوحيد الذي لازم رؤيتها له ... ليلاً ونهاراً ... يوماً بعد يوم ... وطوال أسبوع كامل لم يتسم إلا بفراغ مميت ... وكأنها لا ترى إلا وجها برونزياً مقنعاً لاتظهر منه إلا سمات اللامبالاة وعدم الاكتراث ... وإذا جمعتهما مائدة الطعام .. كانت تجلس هي في الجهة المقابلة لزوجها ... ولا تتبادل معه سوى بعض الرسميات المهذبة ... وإذا حدث أن انضم إليهما بعض الضيوف ... حرص هو على معاملتها باللباقة والمجاملة .. ليس كزوجة .. وإنما كشخص ضمن هؤلاء الضيوف ... فلم تكن تسود معاملته لها أي بوادر لعدم الرقة أو التحمس ... أو تنم عن عداء أو

دفء...

وبمجرد أن ينفردا مرة أخرى ... كان يعود إلى التجاهل و اللامبالاة .. وكأنها ليست موجودة على الإطلاق ... رافضاً بذل أي مجهود لانتزاعها من الصمت... أو حتى التفوه بكلمة أو بتعليق يتهم به قصورها ... ويبدو أنها بادلته تلك المشاعر .. فلم تكترث هي أيضاً بأي شيء يتعلق به ... ولم تأبه له على الإطلاق... ربما لاعتقادها الراسخ أنه قد استسلم نهائياً لهذا الوضع ... ولم لا؟ ... فقد تملكها إحساس رهيب بوقوعها في فخ ... لم تحتمله في بادئ الأمر عندما أخبرها " جزافييه " بكل الحقائق .. إذ شعرت أنه قد تخطى كل الحدود... ولم يكن ما هو أسوأ من ذلك ... إلا الاستسلام الذي فرض عليها أيضاً فيما بعد ...

ولم تعاود " رومي " الاتصال بمنزل أسرتها ... فقد وجدت أن التحدث مع "لورا" أو أي فرد آخر من الأسرة بخصوص " جزافييه " لن يجدي في إيجاد حل لهذا الوضع ... والسبب بكل بساطة أنهم لايفهمون حقيقة الوضع بينها وبينه ... ولكي يفهموه ... ربما كان ينبغي أن يكون أحدهم موجوداً معها في "أثينيوم" صباح ذلك اليوم ... أو يكون قد تفرس في وجهه ليلة زفافهما ...

ولم يكن هناك داع إذن ... لشرح هذه الأوضاع ...

ومع مرور الأيام ... أيقنت أنها لم تكن بالفعل تريدهم أن يفهموا كيف تجري الأمور بينها وبين " جزافييه " ... وقطعا ... لم ترد أن يعلم والدها بالذات حتى لايشعر بالخطأ الفادح الذي وقع فيه ... أما " تيو " فقد عرفته غليظ القلب وأنانيا للغاية ... وكان أكثر مايعنيه هو الشركة وإن سادته بعض المخاوف حول توافقها مع " جزافييه " ... على العكس من والدها ... الذى لم يفعل أي شيء إلا بدافع حبه لها ... ثم إنها صرحت بالكثير ولا ينبغى عليها أن تعترف لـ"لورا" بأكثر مما قالته ...

وقد استقرت المرارة في داخلها ... مثلما يستقر العصفور في عشه المنحوت في جذع شجرة ... وشعرت وكأن كتلة من الاستياء القارس قد أغلقت قلبها واستقرت فيه بصفة دائمة ... أما " جزافييه " فعلى الأقل لديه أعمال

ينجزها... ولكم كانت تحسده !! إذ استطاع أن يغرق نفسه في العمل كل صباح ومعظم الأمسيات ... خاصة في دورات الشراء و البيع للدواجن والمواشي و الدواب ثم في تصنيع النبيذ من الكروم وتعبئته لهذا العام ... وإعداد مايمكن إعداده للعام المقبل .

وبينما هو مشغول في أعماله ... كان عليها أن تواجه مهمة صعبة في إيجاد وسيلة ... أي وسيلة للتسلية ....

ولم يكن هناك نقص بالطبع في التعامل مع النساء ... فقد تعرفت بالفعل على الكثير من زوجات وبنات أصدقاء " جزافييه " ... ولكنها لم تستطع اعتبار إحداهن صديقة حقيقية ... وإنما دأب الكثير منهن على قتل ساعات الفراغ والعمل على تسليتها ... ويبدو أن أكثرهن يتمتعن بثراء فاحش .. إذ اتضح ذلك من العطور الغالية وحفيف الملابس الأنيقة ... وترددهن على المحال التي لا تبيع إلابأسعار باهظة .. وكانت لهن خبرة كبيرة في كيفية إنفاق النقود وذلك على عكس ما كانت " رومي " تفعله ... ولكن ذلك لم يشعرها بالاحتياج إلى مهارة في اختيار ما يحلو لها ...

ولم تستطع كذلك مشاركتهن في الامتثال والانبهار أمام الفضيات الإيطالية، والحرائر والجلود المعطرة ... أو الملابس باهظة الأثمان ... فإن الكميات المهولة من المشتريات مثل العلب المصنوعة من الفضة ... والفساتين الرائعة .. وحقائب اليد التي تأخذ بالألباب ... فقد قمن بشرائها في جولة واحدة بعد ظهر أحد الأيام من أسواق " باليرمو " ... وكان هذا درساً قاسياً في معنى التبذير...

وقد سمعتهن أكثر من مرة يُمنها باتهام صريح

- إنك من النوع المقتصد جداً ... أما " جزافييه " فهو رجل غاية في الكرم...

وسألتها إحداهن :

- ماذا ترين في هذا القرط ... ألا يعجبك ... إنه سيكون رائعاً عليك ياعزيزتي... ولكن " رومي " رفضت القرط الرائع الذي حمل بطاقة بالسعر ظهر عليها عدد من الأرقام يفوق عدد أرقام الهاتف ... رغم أن "جزافييه" كان قد

أعطاها دفتراً للشيكات في غلاف أنيق من جلد " ليزار " ... ومن الواضح أن الدفتر لايشمل أي تحفظات ... ولكنها لم تكن في مزاج يسمح لها بمثل هذا الإنفاق التبذيرى في أشياء فارغة ... واكتفت بالاستمتاع بمرافقة الأخريات اللائي يجدن متعة غريبة في اقتناء الملابس والجواهر ، أما هي فكان انشراحها قليلاً لهذه الماديات ... فالحياة .. ليست كلها مشتريات ... ومقتنيات...

وقد كان عقلها مشغولا إلى أبعد الحدود بتفكيرها في " جزافييه " .. وكذلك هو... فلم يكن لديه نقص في الأصدقاء ... لم يتوقف جرس التليفون عن الرنين في المنزل .. اتصالات من "باريس" أو من "فرانكفورت" أو من "نيويورك" ...إلى آخره .

ولم تستطع أن تعلم إذا كانت هذه المكالمات ... للعمل أم للصداقة ... إذ إن "جزافييه" كان ينخرط في التحدث بالفرنسية أو الألمانية ولم يكن في مقدورها تتبع أحاديثه .. إذ كانت في بعض الأحيان تتطرق إلى الكلام عن الدولار أو المارك ... وأحياناً أخرى عن صداقة متبادلة ... من خلال بعض المكالمات ... كانت تسمع ضحكات " جزافييه " العالية .. وبصوته الأجش ... وتعلم في قلبها أنه ولابد يتحدث إلى امرأة ... وفي مثل هذه الحالات ... كان أشد ما يعذبها هو الشك ... لمجرد التفكير فيما إذا كانت " إيفا " هي المتحدثة معه... أو واحدة غيرها

وفجأة يعود لذاكرتها يوم قالت له صراحة :

– إنني لن أعترض على احتفاظك بعشيقة ... أو بأي عدد من العشيقات إذا شئت ... وكيفما يحلو لك ...

وفي الظروف التي كان يتغيب فيها عن المنزل ... وغالبا لم تكن تزيد على يوم أو يومين ... كانت في هذه الفترة على الأخص .. تشعر بالإحباط وكأنها منبوذة... وكانت تعلم أن الأسفار المتكررة تشكل جانباً كبيراً ومهماً في أعماله..ومع ذلك فلم تقو على إبعاد شبح التعاسة الذي يخيم على مخيلتها ويجعلها لاتهدأ ... فإذا وانتها فكرة تواجده مع امرأة أخرى .. وشعرت بفظاعة

الموقف... كانت تحاول استبعاد هذه الفكرة ... التي لاتلبث أن تعود في الحال لتلاحقها باستمرار ...

كما عاودت النوم في غرفة النوم القرمزية وهي تشعر أنه لايريدها ولن يسامحها... وكذلك ... استمر " جزافييه " في الامتناع عن النوم في نفس الغرفة حتى أنها في بعض الليالي كانت تظل مستيقظة لساعات طوال ، إذ لم تكن في حاجة إلى النوم ولاحتى الشعور بالنعاس ... وكان عليها أن تعترف بافتقادها له مهما كلفها هذا الاعتراف من مذلة ...

فقد تركت علاقتهما التي تبلورت في بادئ الأمر ... أثراً كبيراً في تفكيرها، إذ لمست آنذاك مدى استجابتها له سواء شاءت أو لم تشأ ...

ونمت هذه العاطفة في أغوارها حتى غمرتها بسعادة غامرة ... وأبت إلا التوغل في قلبها حتى كادت تحرقه ... فلم تجد أمامها سوى البكاء على الأطلال والذكريات إذا ما لاحقتها هذه الأفكار .. وجعلت من وجودها فراغاً مملاً ..

ثم جاءت الاحتفالات بأعياد الميلاد ورأس السنة ... ولم تبد معها أي بوادر عن التصالح ... رغم تبادلهما للهدايا القيمة ... التي لم تكن معنوياً تساوي بنسا واحداً من لحظة دفء يمنحها أحدهما للآخر ... وفي ليلة رأس السنة أقاما حفلاً كبيراً رائعاً استمر طوال الليل حتى الفجر ... فرقصت ... وضحكت ... ولعبت دور " البارونسا " المتألقة ببراعة تامة ... ولكن شعرت "رومي" في داخلها ... أن قلبها لم يعد يتحمل .. بل إنه يحذرها بقسوة .. مما توصلت إليه في حياتها من فراغ ... وبخروج آخر المدعوين ... ذهبت هي و"جزافييه" ...كل في طريق ... إلى حياته المنفصلة ... ومع بداية شهر يناير... أخبرها "جزافييه" بمولد مُهرين في مزارعه ...

ودعاها لرؤيتهما ... فأثار ذلك بعض الاهتمام الفاتر ... إذ ذهبت معه إلى ساحة (الإسطبل) وكانت كمن اتشح بنقاب متجلد ... كما كانت هذه هي المرة الأولى التي يفعلان فيها شيئا خارج نطاق الاجتماعات ومنذ فترة طويلة ... وكان المهران يرقدان في مظلة بالإسطبل ... حيث ينعمان بدفء عظيم نتيجة

لاحتراق كمية كبيرة من الأخشاب التي وضعت في الفرن خصيصاً لتدفئة الإسطبل في هذا الوقت من السنة ...

ولم تستطع " رومي " مقاومة ظرف هذه المخلوقات ... التي دخلت في قلبها مباشرة .وكان أحد المهرين يرضع من ثدي أمه ... أما الآخر فقد جاء إلى "رومي" وهو يتعثر في مشيته .. بخليط من الصداقة والاستعداد الخجول للاندفاع ...

وحاولت أن تلمس هذا المخلوق الصغير بينما شعرت باختناق في عنقها ... فلو كانت على علاقة طيبة مع " جزافييه " ... لربما أصبحت في شهور الحمل... وتضاربت هذه الفكرة تارة بالألم و أخرى بالعذوبة في ذات الوقت ... فلم يكن من السهل شرح أو استبيان مشاعرها ...

ما أجمل هذين المهرين :

همست بهذه الجملة وهي تمرر يدها بدفء على غطاء المهر .. بينما أدارت أمه عينيها الواثقتين وبكل هدوء إلى " رومي " ...

فأومأ " جزافييه " وهو يقول :

– سيكونان من أحسن الجياد ... فالأب عظيم ورائع ... وكلا الأمين من فصائل ممتازة ... هل ترغبين في تسميتهما ؟

وكان " جزافييه " يلبس (چاكيت) ثقيلاً من فرو الخراف ... ذا ياقة عالية ... أبرزت وجهه الداكن وبدت عليه بلياقة تامة ...

وأجابت " رومي " عن سؤاله قائلة :

– علي أن أفكر ... فإنني لست متمكنة في موضوع اختيار الأسماء...

فكان رده سريعاً :

– لديك مطلق الحرية والوقت للتفكير في هذا ... فإنهما ملك لك !!

– لي أنا ؟

فابتسم ابتسامة خفيفة وهو يجيب :

– نعم ... وابتداء من هذه اللحظة ... وعندما يكبران ...فسوف يمكنك سرج لجامهما بنفسك ... إذ بهذه الطريقة سيكونان ملكك بصفة دائمة ...

غابت حينئذ الكلمات على لسان " رومي " بينما أخذت تداعب المُهر من فمه... ثم تيقظت لتقول شيئا وكان صوتها معتصراً :

– أنت في غاية الكرم ...

ثم شعرت وكأنها لم تتخلص من روح السخرية حيث أضافت :

– كثير من الرجال لايقدمون مثل هذه الهدايا بدون قيد ولاشرط ..

فردد كلماتها قائلاً :

– بدون قيد ولاشرط !! ماالذي يجعلك تظنين أنه بدون قيد ولاشرط ؟

– حسنا !! لأنه من المستحيل أن يكون لهذه تخطيط مسبق .

فسار إلى نهاية الإسطبل حيث هناك مكتب صغير ... ثم عاد إليها حاملاً سجلاً ثقيلاً ذا غلاف أسود من الجلد ... ثم فتحه على صفحة محددة وأعطاه بصمت لها ...

فاعتدلت " رومي " لدى حملها للمجلد الثقيل ونظرت إلى العناوين ... وكانت هذه الصفحة تحمل تاريخاً في إبريل من العام المنصرم ... ومدون بها أيضاً وجود "فرسين " مع ملاحظة من الطبيب البيطري بأن كلتا الفرسين تحمل جنيناً...

وقد لفت نظرها بعض الحروف التي ظهرت في خانة " المالك " ... إذ كانت "ر...ج...ف" .. وهي حروف اسمها ولقبها بالكامل ...

فنظرت إليه بتعجب وهي تقول :

– إنني لاأفهم شيئاً !!

فأجابها بلطف :

– تم التخطيط على أن يكون لكِ ... حتى وإن حدث لأحدهما شيء ... فقد أردت أن يولد المهران خصيصاً لكِ ...

فاتسعت عيناها وهي تقول :

– هل تم التخطيط على أن يكونا لي .. منذ تسعة أشهر مضت ؟

فهز " جزافييه " كتفيه وهو يقول :

– لقد أخبرتك من قبل ... كان لدي تخطيط متقن ومسبق ... تغفيل مني ...

www.elromancia.com

ثم تناول منها المجلد الكبير وهو يستكمل :

– على أي الحالات فهما الآن ملكك أنت ... ولك أن تسعدي بهما ...

فأمتلأت عيناها بالدموع وهي تهمس قائلة :

– أوه يا " جزافييه " إنهما قطعاً في منتهي الروعة ... ولم يحدث في حياتي كلها مثل هذا الذي حدث الآن ... لست أدري ماذا أقول ... فكلمة " الشكر هي كلمة واهية وضئيلة بالنسبة لهدية مثل هذه ... ولكنها هي كل ما أستطيع التفوه به ... شكراً ....

لمعت عيناه الرمادتيان للحظة .. ثم أومأ بدون ابتسامة وهو يقول :

– إنني سعيد لأنهما أعجباك ...

وصعقت " رومي " من شدة الانفعال حتي أنها لم تستطع أن تلفظ أي كلمة أخرى ... ولكنها أحاطت بذراعها عنق المهر النحيل ... وضغطت بوجهها على جلده ذي الرائحة الزكية ... فكل الهدايا التي قدمها لها ... لم تكن إحداها تلمس شغاف قلبها مثل هذه الهدية .. فقد كان أحياناً يفعل أشياء تقطع أنفاسها وتجعلها تلهث .. وقد انقلبت كل تصوراتها عنه رأساً على عقب....

فالكرم إلى هذا الحد..لا يكاد يصدق ... ومع ذلك فهو يمثل جزءا جوهريا في طبيعة " جزافييه " ... تماماً مثل قسوته ورفضه تركها أن ترحل ... كان أيضاً جزءا من ذات الطبيعة ، فقد أثار فيها بلبلة أكثر من أي شخص آخر عرفته... واندمجت إلى حد كبير مع المهرين إلى أن اضطر " جزافييه " أن يلفت نظرها إلى الأمين اللتين لم تهدأ لهما عين أثناء وجودهما ... فتمتم يذكرها :

– إن لديك وقتا كافيا فيما بعد كي تتعرفي عليهما ... وأما بالنسبة لليوم ... فمن الأفضل أن تتركيهما مع الفرسين ... ويمكنك أن تأتي في خلال يومين لتشاهديهما مرة أخرى ...

وبعد مضي ساعة ... خرجا من الإسطبل .. وكانت الشمس قد بدأت تسطع في السماء ... أما الكلاب الصغيرة فكانت ممنوعة من دخول الإسطبل ... وإذ بها . تحييهما وملؤها سعادة كما لو أنها مدركة لعدم رغبتها في العودة إلى المنزل ...

فاستدار " جزافييه " نحوها وهو يقول :

– إن الجو ليس بارداً فلنتمش ... هل توافقين على التريض في المزارع قبل عودتنا إلى المنزل ؟

فأومأت بالموافقة ... وأخذت الكلاب تقفز تواقة إلى السير في إثرهما .وتنبح فرحة لفكرة السير ...

كانت الرياح خفيفة وفي طريقها إلى السكون .. وسارت " رومي " على بعد خطوة من " جزافييه " كي تجعله يرشدها إلى الطريق من خلال الصخور حيث الطريق المؤدي إلى الغابات وكانت أوراق السنديان قد تحولت إلى اللون البني ولكنها لاتزال متمسكة بالفروع ... ولن تتساقط هذه الأوراق إلا بعد ظهور الوريقات الجديدة مع بداية الربيع حيث تدفعها إلى السقوط ... وبينما هي موجودة الآن كانت تسمح لبعض أشعة الشمس أن تتخللها وتضفي ببريقها على المروج التي امتلأت بزهور الشتاء ... المتعددة الأشكال و الألوان و الأسماء ... التي كانت " رومي " لاتعلم شيئاً عن معظمها ...

وكانت " رومي " قد حشرت نفسها داخل سترتها و كأنما هي تحرص على ألا تحترق من شدة انفعال عواطفها ... يالله العار ... إنه لشيء مؤسف ... فقد أدركت تواً أنه طالما ظل يفكر فيها بمثل ذلك الحنان الفياض ... طيلة الأشهر الماضية ... كما كان يخطط لإهدائها هي بصفة خاصة ... مثل هذه الهدية!! وكم أنفق من مال ... ومن خيال كي يحقق لها هذا ... ويسلبها كل لبها !!

فمثل هذه اللمسات الرقيقة النابعة من طبيعته ... لايمكن إلا أن تجعلها تشعر بمنتهى البؤس والحقارة ... بل وتجعلها تتساءل عما إذا كانت حقاً فهمته ... أو مثلما اتهمها مرة " جزافييه " حين وصف قلبها بأنه قد أوصد بأقفال ضاعت مفاتيحها إلى الأبد ...

إنه لشيء فظيع أن تفكر في عواطفها التي أخذت تنمو بطريقة ملتوية وعقيم... إن الزمن يمضي بها ... وحياتها تضيع سُدى ... فمن منطلق هذا التفكير الذي أصاب عواطفها وقلبها بشعور مؤلم وحاد ... فقد قررت الخروج من هذا المأزق ... بكل مايمكن من البساطة ... فإما هذا ... أو تواجه مالا

تحمد عقباه ... وأهم تلك العواقب ربما يكون فقدانها لزوجها ... هذا إذا لم تكن قد فقدته بالفعل ... فكل شيء يتوقف عليها هي ... إذا رغبت في استمرار ونجاح هذا الزواج ... فما عليها إلا أن تتقن دورها في هذه اللعبة ... وهذا لايعني سوى الخضوع لرغباته ... وبدون شك ... الرضوخ أيضاً لمعاشرته كزوج ... وحمل أطفاله عندما يأذن الرب بذلك ... باختصار ينبغي أن يكون شعارها هو : الحب و الاحترام والطاعة ... وإذا أصبحت الزوجة الخاضعة المستسلمة ... فهذا هو منتهى مراده ... ثم ماذا لو قررت أن تجري مصالحة مع نفسها ... على أساس هذا الاستسلام المشروط ... فهل يكون إنجازها للخطوة الأولى بهذا التردد ؟ وهل تكون مرفوضة ؟ وماذا لووجدت أن تلك الأبواب الحديدية ارتطمت وأغلقت في وجهها ؟ إنها لن تحتمل أن ينبذها "جزافييه" مرة أخرى ... على الأقل في الوقت الحاضر ...

وفي غمرة هذا التنازع في أفكارها ... وجدت عيني " جزافييه " ترمقانها ... ثم بادرها بالسؤال :

– فيم تفكرين ؟

– إنني أفكر فيك أنت ... وفيما تفعله ... إنني لاأفهمك يا "جزافييه" ... إنك تختلف عن أي شخص قابلته في حياتي !!

فعلق قائلا :

– كان ينبغي ألا أتمنى ذلك !!

فاستدارت إليه وبدت شفتاها الورديتان باهتتين وحافيتين مثل أوراق الورد إذا تندت بالندى ... ثم قالت :

– لم أكن أعلم ... ولم أتصور أنك كنت تخطط هذه الأشياء .

فذكرها بصراحة تامة :

– كنت تعلمين أنني أرغب في الزواج منك منذ عامين ... فلماذا تفاجئين بإعدادي للخطط اللازمة لإسعادك وتسليتك ؟

– قد أكون أخطأت التقدير ... ولكنني سعيدة أنك مازلت مهتماً بي بمافيه الكفاية ... لتعمل على تنفيذ كل نواياك الأصلية !!

فأجابها ببرود وهو يردد كلمتها :

– مهتماً بك ؟ ولمن غيرك كنت أعطي هذين المُهرين ؟ لقد خططتهما من أجلك... ولا أرى سبباً واحداً لئلا يكونا ملكك ...

– لقد كان لطفاً منك ... وأردت فقط أن تعرف أنني .... أنني أقدر لطفك هذا كل التقدير ...

فهز كتفيه بخفة وهو يقول :

– وهل هذه هي المرة الأولى التي تشعرين فيها بأنني لطيف معك ؟

فأجابته " رومي " :

– هناك أنواع شتى من اللطف !! فأنت لطيف جداً في بعض الأحوال وقاس جداً في أحوال أخرى ...

فرفع حاجبه باستنكار وهو يقول :

– حقيقة هذا !! إذن أعطني مثالاً عن كيفية قسوتي معك !!

فبادرته بالتذكير وقد شحب وجهها :

– أنت ... أنت قلت لي إنك لاتشعر بشيء نحوي سوى اللامبالاة !!

كما أخبرتني بأنك انفصلت عني !! وهذا في حد ذاته منتهى القسوة منك ... وبهذا ... فقد كانت تكسر كل القواعد المكتوبة ..وتنقض كل الاتفاقات المبرمة شفهياً ... والتي سادت بالبرود والصمت وجودهما معاً خلال الأسابيع الماضية... وكان " جزافييه " يرقبها بذات الابتسامة ... وبنفس القناع ... قناع الوسامة الذي كان يزيد من حنقها فسألته :

– هل تجد متعة وتسلية في هذا النقاش ؟

فأجابها بجفاء :

– إنه ينم عن بعض السخرية ... وحسبما أتذكر ... فأظن أنك أنت التي وجدتني غير مقبول كزوج ... فهل اكتشفت مرة أخرى ... أنك أصبحت الزوجة الصغيرة المحبة .. لانشيء ... إلا لمجرد أنني أهديتك الحصانين ؟

– إنني لم أصبح أي شيء ... وإنما أردت أن أشرح لك فقط كيف كان رد فعلي في ذلك اليوم ...

www.elromancia.com

ولم تكن بحاجة لمزيد من الشرح عن ذلك اليوم ... فكلاهما فطن إلى مايقوله كل منهما ... ثم استرسلت قائلة :

– لقد وقعت الحقيقة عليّ وقع الصاعقة يا " جزافييه " ... و إنني سعيدة أن أخبرتني الآن .. لقد كنت في منتهى السذاجة تجاه الوضع ككل !! وقد شعرت بالراحة بعد أن انقشع أحد الكوابيس المؤرقة ...

على كل حال ... إنه شعور فظيع كنت أتحمله كلما خطر لي أنني مشتراة ... بل ودفع ثمن لي ... والآن فقد أيقنت أن الوضع لم يكن كذلك وأنني أخطأت في حكمي عليك بخصوص حصة الشركة ...

ثم أمالت رأسها قليلاً كمن تعترف بذنب ... واستطردت قائلة :

– لقد كان كرماً منك أن تقرض والدي هذه النقود ... بل إنه أكثر من الكرم... لقد أثبت أنك فعلاً الصديق الحميم والوفي للأسرة !!

فاستدار " جزافييه " ليصفر للكلاب كي تأتي ... ثم تقابلت عيناه مع عينيها المضطربتين حيث سألها بعينيه:

– هل هناك في جعبتك شيء آخر ؟

وكان يؤلمها ببروده ... ولكنها استرسلت قائلة :

– لقد شعرت بالخيانة يا " جزافييه " ... وأرجو أن تتمكن من فهم ذلك !!

إذ إنني أحسست أنك خدعتني بطريقة رهيبة ... كما لو أنني قد حُكم علي بالسجن المؤبد لشيء فظيع لم أفعله ولم أذنب فيه ...

– هذه فعلاً خُطبة رائعة ... وماذا بعد ؟

قال هذا وهو في مواجهتها ... وقد ضاقت عيناه ...

فأجابته بصوت خفيض :

– مازلت أشعر أن كلينا قد أقحم في هذا الموضوع لأسباب خطأ .. وربما أكون ثائرة أكثر من اللازم ... ولكن دافعي إلى هذا ... هو أنني كنت أتخيل بعض الأشياء في الرجل الذي أزمع أن أتزوجه ... وربما أيضاً في الوسيلة التي أختار بها شريكا لحياتي ...

ثم رفعت عينيها لتلتقي بعينيه وهي تسترسل قائلة :

– لقد وقع عليك الاختيار لتكون زوجاً لي ... فكان هذا بصورة آلية ... إذ إننا لم نتزوج لأن كلا منا أحب الآخر ... ولكن لأنها كانت مجرد رغبة متعلقة بمسائل مالية فقط ... لذلك ... فهي لم تحمل العواطف الكافية لهذا الزواج ...

فأجابها .. وكأنه يحرف ما تقول :

– ربما لم تكن كذلك من جانبك أنت فقط ... والآن ... هل لديك نقطة أخرى لتثار يا " رومي " ؟

فاحتضنت نفسها وهي تجيب :

– النقطة هي فقط ... أننا لم نتبادل سوى بعض المزاح منذ فترة طويلة من قبل عيد الميلاد ... فلم يبتسم أحدنا للآخر ... وانفصلنا لينام كل منا في غرفة مستقلة بمفرده ... فهل بعد كل هذا يتسنى لك أن تشعر بأي شيء ... أو أنك مازلت تحمل شعور اللامبالاة ؟

وأخذت تخفض صوتها حتى كاد يصير همساً ... ولم تجرؤ أن تنظر إلى وجهه... فأخذ يضحك يقهقه بصورة تنم عن بعض السخرية حين قال :

– لقد فهمت !! فهذا هو الكبرياء المعتاد في الأنثى !! ويبدو أنك تحترقين شوقاً لتقفي على مدى افتقادي لك بعد هذا الانقطاع الطويل !!

فأجابته وقد تغير لونها :

– لم يكن هذا هو ما أعنيه !!

فاسترسلت نظراته تتفحص وجهها بإمعان ... حين علق قائلاً :

– لم يكن كذلك ؟ على العكس ... لقد كان بالفعل هو ما تعنينه ... و الإجابة تكمن في مدى اشتياقي إليك والذي يتزايد لحظة بعد أخرى ، وكانت نبرات صوته الأجش تثير في بدنها رعدة ... وكأنما تدق على أوتار قلبها وتغمرها بسعادة بالغة ... ثم ابتسم ابتسامته الساحرة وهو يقول :

– إنني أتمنى لو أضمك إلى قلبي في هذه اللحظة ... بين أحضان الطبيعة .. لأبثك غراماً متأججاً في قلبي ... ولن أتراجع لو أنني تأكدت من رغبتك في المتعة والسعادة ...

فأجابته وهي ترتعد ... و أنفاسها لاتكاد تتلاحق وبدت عيناها باردتين برودة

www.elromancia.com

الرياح :

– ولكن ليست لدي ... ليست لدي أي رغبة في المتعة كما تقول ...

– إذن أنت تتعمدين سبابي !!

فأجابته :

– وأنت أيضاً !! إذ إنني لن أسمح لك بمعاشرتي إلا بعد التأكد من عدم إمكان وقوعي في الحمل ... فهل توافق على هذا ؟

استدارت بعيداً ... فلم تكن هناك فائدة من الكلام ... ولم يكن هناك مجال للتصالح ... وقد طال الحديث بينهما ...

فجذبها من ذراعها .. وقال بحدة :

– تعالي ... لقد اشتد البرد ... ولاداعي لبقائنا هنا لنتنازع هذا العذاب ...

فسحبت نفسها من ذراعه ... واستدارا ليعودا إلى السيارة ...

وكان الجرح عميقاً حتى أنه استنزف قلبها وأغرق عينيها في دموع الغضب التي لم تنهمر إلا بضغط جفونها كمداً وغيظاً ... فلم يكن يأبه بها ... لقد حطمت كل المشاعر الطيبة التي يكنها لها ... ولم تحتمل هي تلك المشاعر التي اعترضتها من إحباط وعجز ...

أظلمت الدنيا من حولها ... إذ شعرت بوحدة رهيبة ... فقد تمزقت كل أواصر المحبة بينهما وهي لاتستطيع شيئاً حيال ذلك ... لاشيء البتة ... بينما كانت تظن أن اليوم سوف يزيل الفوارق التي تفصلهما حتى تعود إلى " جزافييه " مع بداية جديدة ... وحتى هذه الفرصة ... فقد ضاعت من يدها ...

فهل يواتيها القدر بفرصة أخرى وتخبره ؟

وخلال الأيام التالية ... وجد المُهران مكاناً خاصاً للاندراج في داخل قلبها... إذ إنها في الوقت الراهن كانت تفضل صحبتهما عن صحبة أي شخص آخر... وكان بقاؤها معهما يجنبها ثرثرة صديقاتها ... والاندماج في الحياة الاجتماعية ...

وكانت كلما استطاعت أن تجد الوقت والفرصة لتذهب إلى الإسطبل ... لاتتوانى... حتى تظل مع المهرين ... ترقبهما بلا ملل في هذه المرحلة من

النمو... وبسرعة خارقة للطبيعة ... تحولا من الخمول والركود إلى محاولة السير المتعثر ... ثم إلى مخلوقات تطفر مرحاً ... قادرة على القفز و الرقص و كأن سمو نسلهما قد بدأ يثبت أصالته ... وكان أسعد أوقاتها عندما تطعمهما السكر والجزر في محاولة منها لاجتذابهما إلى علاقات مع الآدميين ... إذ كان الخجل من هؤلاء لايزال متمكنا منهما ...

وأخيراً ... رأت أن تطلق عليهما اسمي : " فلوريو " و " إيبوني " ... ورغم أنهما اسمان كبيران عليهما ... إلا أنهما سيكبران سريعاً ويناسبهما هذان الاسمان..

وكذلك عملت على توطيد صداقتها بالطبيب البيطري ... وهو رجل في أواخر العقد الخامس من العمر ... وكان دائما رهن اشارتها إذا طلبته لأي كشف أو استشارة ...

وكان دائما يتعجلها بقوله :

– يمكنك أن تضربيهما قدر ما تشائين ... المهم أن يكون برفق وهدوء ... إن هذا في صالحهما كي يتعودا على الطاعة ... وبإمكانك أيضاً أن تقوديهما إذا شئت ...

– ألا ترى أن قيادتهما مازالت مبكرة ؟؟

– كلا ... خاصة أنك إنسانة حساسة جداً ... وما عليك إلا أن تكوني دائماً قريبة وملازمة للفرسين الأمين ... ثم يمكنك الاعتماد على شخص آخر ليعاونك على سرجهما ... بينما تحاولين أنت ملاطفتهما ... وبدأت بالفعل سرج المهرين... الواحد بعد الآخر ... ثم شرعت في قيادتهما حول الإسطبل بالفناء الخارجي له ... وأخذت تدربهما على السماح لها بالتأكد من سلامة حوافرهما... وأصبحت عملية تدريبهما وتعليمهما الثقة بها ... تؤدي إلى تصالح بطيء وشيء من التراضي لنفسها ... لقتل الفراغ والفتور الذي أصاب حياتها...

لم يعلق " جزافييه " على اهتماماتها الجديدة ... ولكنها استنبطت أنه كان سعيداً لأن هديته كانت تعني شيئاً كبيراً بالنسبة لها ... أوعلى الأقل فقد

وجدت شيئاً تشغل به وقتها وعقلها ...

وكانت تقول له :

– " فلوريو " هو المفضل لي ...

– لماذا ؟

– لأنه أصعب في ترويضه من الآخر ... لاأنكر أن " إيبوني " ظريف ولكن "فلوريو" فيه مسحة من شيطان ... إنه لايفعل أبداً ما تريده منه ... ويحتاج إلى اهتمام أكثر ...

فعلق بجفاء :

– إذن ... أنت تشعرين بانجذاب تجاهه ...

وكان انجذابها لهذا المهر بالذات هو الذي جعلها تعرف في الحال إذا كان "فلوريو" يعاني أي شيء ...

وعندما ذهبت لأول مرة ... ذلك الصباح ... إلى الإسطبل ... فقد كان هذا المهر الكستنائي هو الأنشط والذي لايهدأ ... وهو ذاته الذي رفض أن تلمسه... واعتقدت يومها أن نفوره يرجع إلى اتساخه من العرق .. وبعد أن راقبته لفترة قصيرة ... وجدت أنه قد هدأ قليلاً ولكنها استمرت في الشعور بالقلق معه ...

تناولت طعام الغداء بمفردها ، إذ إن " جزاڤييه " كان في رحلة عمل إلى "روما" لمدة يومين ... ولن يعود إلا مساء غد ... وكان المنزل بدون وجوده يبدو غريباً وخاوياً ... وكانت تتوق للتحدث معه عن المهر ... ففكرت أن تطلبه في "روما".. ولكنها استبعدت الفكرة خوفاً من أن يزجرها ... وبعد الغداء ... عادت إلى الإسطبل لتلقي نظرة أخرى على " فلوريو " ... فشعرت بقلبها يسقط في قدميها .. فالمهر قد ابتل من شدة العرق ... والأسوأ من ذلك أن الألم كان واضحاً عليه ... فهو يقبع محاولاً أن يعض على بطنه .. وخطر على تفكيرها أن كلمة " مغص " هي نذير سوء بالنسبة للمهر ... فجرت إلى مكتب الطبيب البيطري في الحال ... الذي نصحها هاتفيا :

– حاولي أن تجعليه يمشي ... حتى لو تعمد الرفس ... وسوف أحضر إليه بأقصى سرعة ...

كانت رومي مفعمة بالتوتر والقلق ... بينما كافحت كثيراً لتخرج " فلوريو " من الإسطبل ... فقد كان يرفس .. ويتلوى .. وكانت قوته غير عادية بالنسبة لحيوان صغير كهذا ... وكانت الحرارة تشع من جلده ... وكان متقطعاً ... ولم يرعبها شيء أكثر من منظر عينيه اللتين أخذتا تدوران في رأسه بصورة مرعبة... وأسرع أحد السياس إلى نجدتها قائلا :

– دعيني آخذه ياسنيورة ... فربما يسبب لك ضرراً ...

– إنني على ما يرام .. شكراً ..

وكانت قد حصلت بالفعل على ركلتين من ذلك الحيوان المتألم ... ولكنها كانت متأكدة أن "فلوريو" لن يثق بأحد مثلما يثق بها هي ... وظلت تارة تلاطفه ... وأخرى تجره كي يمشي ... محاولة أن تجنبه السقوط رغم أن حوافره حافية حتى الآن ... وكان لايزال يهز رأسه إلى أعلى وإلى أسفل ... ويتصرف كأن شيئا يهاجم حوافره الحافية ...

ياليت " جزاڤييه " كان هنا الآن !! إن غيابه في هذا الوقت بالذات ... كان أكثر ماألم بها من سوء حظ ..إذ إنها لم تشعر في أي وقت مضى ... أنها بحاجة ماسة إلى قوته وهدوئه أكثر من احتياجها له الآن ... وأخذت تلهث وهي تشد اللجام ... كلما تراجع " فلوريو " إلى الوراء محاولا جذب رأسه إلى أسفل... إذ كان المهر في حالة ألم شديد لاتسمح له بإطاعة أحد ... ويبدو أنه كان يريد الرقاد على الأرض كي يتلوى من الألم الذي غدا لايحتمل ...

وجثت "رومي" على ركبتيها وأخذت تصرخ ... عندما وجدت "فلوريو" راقداً على الأرض ويتلوى بجسده النحيل ... حتى بدت ضلوعه من تحت الغطاء المبلل... واغرورقت عيناها بالدموع ... وإذ ذاك شعرت باحتياجها إلى القوة ... فأمرت الرجل الذي كان بجانبها في صرخة قائلة :

– ساعدني كي أوقفه ثانية على أرجله ... يجب أن يظل ماشيا إلى أن يأتي الطبيب ...

وسارعت يدا المساعد تعاونانها على رفع المهر ... وانضم إليها في قيادته جيئة وذهاباً حول الفناء ... وجاء داخل الإسطبل صوت الفرس الأم (أم

فلوريو) وهي تصهل وتركل بحوافرها الحواجز الخشبية حتى كادت تحطمها... أما في الخارج ... فقد استمرا في جعل المهر يلف ويدور مراراً وتكراراً ... إلى أن بدأت السماء تمطر بخفة ...

وفي المساء جلست " رومي " في ممر الفناء ... وكانت مرهقة ومنهكة القوى... فأغلقت عينيها ... وشعرت بذراعيها يؤلمانها ... ولكنه كان ألما لايقارن بذلك الذي أصاب ساقيها نتيجة لركل المهر لهما ... وكانت إحدى ساقي بنطلونها الجينز متسخة وملطخة بالدماء ... ولم تشعر أنها كانت مبتلة تماماً من مياه المطر المثلجة والتي كانت تنهمر بغزارة... فقد كانت بداخلها شبه مخدرة ...

ولم تشعر إلا بيد تربت عليها في هلع وتوقظها قائلة : - " سنيورة !! "

وكان الخدم قد التفوا حولها مذعورين ... وإذ كانت " كونشتا " أكثرهم إحساساً بسيدتها ... فقد أسرعت لتأتي لها بكوب من عصير "المارسالا" الذي... ما إن ارتشفت أول رشفة منه حتى تصاعدت إلى أفكارها كثير من الذكريات وظلت هذه الذكريات تتعمق في خيالها استعادة ليوم جلست في ذات الممر.. منذ بضعة أشهر ... حيث شربت " المارسالا " .. لأول مرة ليلة زفافها... ولم تنس أنها كانت ... في ذلك اليوم أيضاً ... تعاني الإرهاق وآلاماً كثيرة... نفس حالة اليأس التي تعتريها الآن ...

وكان "فلوريو" يصارع سكرات الموت ... إذ إن أعراض المغص كانت إيجابية ومميتة في حالة هذا المُهر الصغير ... وكان الطبيب قد أمضى معه بضع ساعات ... ولكن يبدو أن المُهر كان يعاني مراحل الإرهاق الأخيرة ... فلم يكن يقوى على المشي من شدة الإعياء ... وإذ بدأت أنفاسه تتلاحق وتسرع... حتى جعلت لسانه يتدلى خارج فمه ... لم تستطع "رومي" تحمل هذا الوضع ...

إذ إنمراقبته وهو يحتضر كانت تماماً مثل مراقبتها لسعادتها وآمالها الشخصية وهي تتحطم ... كما لو أن المُهر أصبح رمزاً لكل ما يحدث للوعد الذي انهار بهذه الصورة الدرامية ...

وشعرت أنها بحاجة ماسة للتحدث مع " جزافييه " ... فأشارت لأحد الخدم كي يعاونها على الوقوف ... إذ إن ساقيها قد تيبستا ... ثم سارت إلى غرفة

المكتب ... وتذكرت أنها ربما قد تعرفت على الأشخاص الذين يستضيفون "جزافييه" عندهم في روما ... إذ إنهم نفس الأشخاص الذين كانوا ضيوفاً على " لوكا " في أعياد الميلاد ... هذا إلى جانب اعتياد " جزافييه " على البقاء معهم لدى زيارته للعاصمة ... وما إن وجدت رقم الهاتف حتى أدارت القرص لتطلبهم ...

أجابتها سيدة بصوت ملؤه الدهشة وهي تقول :

- جزافييه ؟ ليس هنا يا "رومي" ... وما الذي جعلك تظنينه أنه في روما ؟

فأجابتها وقد اختلط عليها الأمر :

- لقد قال إنه مسافر للعمل ... لذلك اعتقدت أنه قد يكون موجوداً معكم ...

فأتاها الرد على النحو التالي :

- لقد أنهينا كافة الأعمال في فترة عيد الميلاد ... ولم يتبق حالياً أي شيء للمناقشة ... قد يكون بالفعل موجوداً في روما الآن ولكنه بالتأكيد ليس في ضيافتنا ... هل ترغبين أن أطلب أسرة " سكالابرينس " لأعرف إذا كان هناك أم لا ؟

- كلا !! لاداعي !! فسوف أفعل هذا بنفسي ... وشكراً على أي حال ...

شكرت السيدة ... وأغلقت الخط ... وشعرت أن نوبة من الغباء قد انتابتها ... إذن ... " جزافييه " لم يكن في استضافة " سكالابرينس " أيضاً فهو بالفعل لم يتفوه أمامهم بأي شيء ينم عن ذهابه إلى روما ... وأخذت ضربات قلبها تتلاحق بشدة لدى إغلاقها الخط مرة ثانية ...

وطرأت على بالها فكرة ... يمكن من خلالها معرفة تفاصيل سفر "جزافييه" بالطائرة ... سواء أكان إلى روما ... أم غيرها ...

وأجرت تلك المكالمة المختصرة إلى شركة طيران " أليتاليا " ... حيث اكتشفت أنه لم يسافر إطلاقاً على أي رحلة من رحلات الشركة إلى روما ... ولم يكن هناك أيضاً أي حجز للعودة من هناك ...

فظلت جالسة في غرفة المكتب ... تحملق في اتجاه واحد ... بعينين لاتريان شيئا... وكانت الشكوك تساورها من كل جانب ..... فيا لسخرية القدر لو أن

هذه الشكوك قد تحولت إلى واقع ... بينما " فلوريو " أيضاً يرقد في الإسطبل وهو في النزع الأخير ...

فسارت إلى صالة الاستقبال ... وقابلت رئيس الخدم الذي طلبت منه بصيغة أمر ثابته :

– إنني أريد أن أتحدث إلى السائق ... هل لك أن تناديه من فضلك ؟

– في التو واللحظة ياسنيورة

وانتظرت في مكانها واقفة .. متصلبة ... مثل لوحة خشبية ... وبعد بضع دقائق حضر السائق مسرعاً .. بدون زيه الرسمي ...

– سنيورة !! ... هل السنيورة تريد السيارة ؟

فأجابت " رومي " باختصار :

– كلا !! بل إنني أريد أن أعرف أين اصطحبت زوجي منذ يومين ؟

فبدت على وجهه علامات الدهشة ... ثم الارتباك ... حين أجاب :

– إلى المطار ياسنيورة .. ليأخذ الطائرة المسافرة إلى روما ...

– أنت تكذب !!

– لا ياسنيورة ... والله شاهد على ما أقول .

فنظرت إليه " رومي " وكأن الشرر يتطاير من عينيها ثم قالت :

– لاتكذب علي يا " جسوالدو " ... إنني لست غبية ... إنك لم تصحبه إلى المطار ... وهو لم يسافر على الرحلة المسافرة إلى روما .

وبدت وقد تشابك شعرها ... وتحول وجهها إلى لون باهت ... مما جعل الرجل يذعر ويجبن أمام غضبها وهي تقول :

– والآن ... عليك أن تقول بصراحة ... أين اصطحبته ؟

فأجابها " جسوالدو " وهو يبلع ريقه :

– اصطحبته إلى السنيورة !! السنيورة الأخرى .

فانفجرت غاضبة وبعصبية شديدة قالت له :

– عماذا تتكلم بحق السماء !!

فحاول أن يبتسم وهو يجيب :

– اصطحبت السيد إلى ڤيلا السنيورة " إيڤا " في " ليباري "

فشعرت بدوار لدى سماعها هذا :

– إلى " إيڤا " ... وهل تركته هناك ؟

– نعم ياسنيورة .

– وسوف تعود لتأتي به من هناك أيضاً ؟

فانفرج حاجبا " جسوالدو " وهو يقول :

– غداً بعد الظهر ... على محطة السكة الحديد في "ليباري" ... فهذه هي أوامره يا " بارونسا " ... ولم يكن يرغب أن تعرفي هذا ...

فهمست " رومي " ..

– اخرج من هنا ...

وصعدت السلم وهي معصوبة العينين ... كأنما تحاول استبعاد الصورة التي سيطرت على مخيلتها وعقلها ... فبينما هي هنا ... وحدها ... وكلها ثقة في " جزافييه " .. كان هو مع " إيڤا " ... ثلاثة أيام إقامة بالڤيلا الصفراء في "ليباري" ... بين أحضان امرأة لم ترفضه لمصالحها الخاصة ... ولم يتوان هو عن استمرار رغبته فيها !!

لقد رفضت أن تعاشره ... لابأس ... فلن يشعر بأي نقص في النساء اللائى يمكنهن أن يأخذن مكانها ... وباستطاعته إثبات ذلك في أي وقت ... ولكن اختياره لـ " إيڤا " بالذات كان فعلاً في منتهى القسوة ... مما جعل " رومي " تشعر بدوار وغثيان ... إلى أن تخطت أفكارها كل الحدود ... فكلما أطلقت لتفكيرها العنان ... لمست أن الوضع معقول ...

فقد تراكم كل شيء في وقت واحد ... وربما تكون زيارته لـ " إيڤا " ... ليست قراراً من وحي الساعة ... بل من الواضح أنه كان مبيتا النية على عدم التخلي

www.elromancia.com

عنها أو عن علاقته بها إلى الأبد ... وهو أيضاً شيء يبدو معقولا .. فقد كانا زوجين سعيدين ومحبين ... ولا ينقصهما إلا الأطفال ... فهذا الزواج الأول قد ألغي بصورة قانونية ولكنه في الواقع استمر كعلاقة آثمة بينهما ... ثم جاءت الزوجة الثانية ... من جلد مختلف ... لاتحمل أي عواطف لزوجها ... فلم تكن إلا عاملاً لتوطيد علاقة هذه المرأة بزوجها ...

ووجدت نفسها تضغط على أسنانها كمداً وغيظاً لدى تورطها في أفكار صورت لها أسوأ الأوضاع ... فسرت في بدنها رعدة لم تواتها حتى في ذورة الشتاء القارس ...

إذن ... " روما فورلاري " قد أحضرت من موطنها إلى هنا ... لمجرد أن تكون عبوة لحمل أطفال ... ليصبحوا فيما بعد ورثة شرعيين لسلالة الباورن الأرستقراطية ...

فذلك الزواج الأول ظل حياً في مضمونه ... وإن كان ظاهرياً قد ألغي بالطلاق.... وبالقطع لم يجد " جزافييه " مشقة في رفض زوجته الثانية لمعاشرته ...

وباستخدام رافعة المال ... أمكنه الاحتفاظ بهذه الزوجة هنا ... انتظاراً لاستسلامها ... وفي هذه الأثناء ... لايبدد وقته هباء ... إذ بإمكانه التمتع بحياته مع المرأة التي ظل يفضلها على كل نساء العالم ...

فأخذت " رومي " تتصيد بعض النقود من درجها ... وكان تفكيرها قد توقف عند نقطة محددة بعد أن تبينت مدى الجروح التي أصابها بها " جزافييه " .. فقد قررت ألا تمضي ليلة أخرى في هذا المنزل ... فسوف تذهب إلى المطار في " كاتانيا " .... وإن لم تكن هناك رحلة إلى لندن هذه الليلة ... فسوف تمضيها في فندق ... لتستقل أول طائرة متاحة صباح الغد ...

كانت تبكي بكاءً مريراً ... بينما خلعت ملابسها المتسخة واستبدلتها ببنطلون جينز نظيف .. وجاكيت ... محاولة أن تضفي بعض اللمسات التنظيمية

لانعكاس صورتها في المرآة .. التي أعادت إليها نظرة محدقة ... خاصة على الشعر المشعث ... والنظرة الذاهلة .. والوجنات التي غرقت في بحر من الدموع...

إلى هنا ... وانتهى الموضوع ... فالكارثة التي حلت بها من جراء هذا الزواج قد أتت إلى نهايتها الآن ... لن ترى " جزافييه " بعد ذلك أبداً ... ألقت بعض الثياب اللازمة .. في حقيبة اليد التي تستعملها في أثناء الليل ... وأجبرت نفسها على إيقاف البكاء ... ثم نزلت السلم ... حيث وقف أحد الخدم في انتظارها وهو مذعور ... فسألها :

– سنيورة : هل تريدين بعض العشاء الآن ؟

– لن أبقى للعشاء ... إنني راحلة ... بعيداً ..

– سنيورة !!

وأضافت " رومي " بينما هي تستدير تجاه الباب :

– عندما يعود سيدك ... قل له ...

ثم سكتت ... وكأن فراغاً ساد تفكيرها ... وهزت كتفيها بصورة مؤلمة ... وأكملت:

– لاتقل له شيئاً !!

– سنيورة !!

وكانت " رومي " قد خرجت بالفعل .. وهي تحمل في يدها مفاتيح السيارة "الرانج روفر" ... وصعدت إلى السيارة العالية .. ثم أدارت محركها .. وساقت مسرعة بعيداً عن المنزل .

وكان المطر ينهمر بشدة حتى غمر الزجاج الأمامي للسيارة ... وعجزت المساحات عن تخفيف هذا السيل الجارف ... وإذ كان الطريق مملوءا بالحصى... فقد أخذ يتطاير بين عجلات السيارة .. وكانت هي تسوق بسرعة فائقة ... ومن شدة حزنها ... بدا الطريق بدون معالم ويهدف أعمى ...

www.elromancia.com

كيف استطاع أن يفعل بها هذا ؟ ... كيف ...؟

وما هي الجريمة التي ارتكبتها لتستحق هذه المعاملة ....؟

وماذا فعلت له ... أو كيف أساءت إليه ... حتى يبرر هذه الخيانة ...؟

لقد أحبته من أعماق قلبها ... نعم ! أحبته كثيراً ... ولا داعي للإنكار بعد الآن... فقد أصبح " جزافييه " هو كل دنياها بل كل كيانها ... لقد عاشت الأشهر الماضية من خلاله هو فقط ... وانتابها حزن مفاجئ ... إذ أيقنت أنها لن تستطيع أن تحب أي رجل آخر مثلما أحبت " جزافييه " ... وإذا أوحت لنفسها بأنها تكرهه ... فلم يكن إلا ستاراً تخفي وراءه حقيقة مشاعرها ... واعتقدت أنها فهمت كل شيء عنه ... ولم يتبق بعد ما تجهله ... بل إنها هي و"جزافييه " لاتجمعهما أي صفة مشتركة ... إذن .. كيف تعلمت أن تفهم كل شيء ... هل لمجرد حل العقد لإطلاق عواطفها الكامنة في دخائلها ؟ ... إنها في بعض الأحيان كانت تجهل حتى وجود تلك العواطف إلى أن أوقعتها وأذلتها حتى جعلتها تزحف على وجهها ...

وكانت في طريقها إلى " كاتانيا " حين تراءت لها تلك الأحداث الأخيرة ... وأكثر ما اعتصر قلبها ألماً كان تفكيرها في " فلوريو " ....

إذ إنها في غمرة تخيلاتها لـ " جزافييه " و " إيفا " ... وما سببته لها هذه التصورات من آلام مبرحة ... قد نسيت تماماً كل مايتعلق بالمهر الصغير ... ومن يعلم ؟ ربما يكون قد مات الآن !! ... ولكنها كانت تتمزق في أعماقها ... وتشعر أنها لاتستطيع الرحيل حتى لو كانت متأكدة من مصيره المحتوم ... لقد أحبته هو الآخر ... ربما بالطريقة التي تتراءى لها ... وتعرف أيضاً أنها مدينة له بهذا الحب ...

ودون أن تسترسل أكثر في التفكير ... وجدت نفسها تشد فرامل السيارة ... وتخرج عن الطريق لتدير " الرانج روفر " عائدة أدراجها إلى " لوكا " ...

ولم تتيقظ لترقب الطريق وترى تلك الشاحنة الكبيرة في مواجهتها مثل

الوحش الضاري ... وفي توهج أضوائها المبهرة ... استقرت تلك الأضواء في عينيها لتحجب عنها كل الرؤية ... فتعميها عن كل شيء ... إلا من الرعب الذي اعتراها لدى شعورها بالندم ... إذ تكون هذه ... الطريقة التي سوف تنتهي بها !!

(الكلاكس) المخيف للشاحنة الذي حاول أن يوقظها من غفلتها ... إلى أن وقع ذلك التصادم المروع الذي رفع السيارة " الرانج روفر " كما ترفع الريشة في الهواء... و ألقى بها لترتطم على الأرض ... على بعد كبير وسط جحيم من الجلبة والضجيج من أصوات الارتطام وغيرها ...

ولم تشعر إلا بظلام دامس يسود كل شيء حولها ... وكان أكثر ما أظلم هو كل أحاسيسها ... فقد راحت في غيبوبة يعلم الله إن كانت ستفيق منها أو.....

الفصل التاسع

ليلة ليلاء .... لم يظهر لها نهار ... تلك التي أمضتها قيد التخدير ...إذ كان يعمها وينتشر في كل ذرة من جسدها حتى باتت لا تشعر إلا بمزيج من أحلام... وضجيج آت من بعيد ...

ولم تفق إلا لتجد نفسها بالمستشفى .... وإذ ذاك بدأت تتذكر آخر لحظات وعيها بعد الحادث ... حيث تم اصطحابها إلى هنا ...

وتلك الأضواء المتوهجة التي لازمتها في الطريق ... ثم وهي راقدة على سرير متحرك ينقلها خلال ممر طويل إلى حجرة تكتظ بوجوه غريبة أحاطت بها من كل جانب ... وتلك الرائحة المألوفة للمستحضرات الطبية ... وأنوية التخدير التي زكمت أنفها ... ولم تكن إلا نذيرسوء ....

إذن !! فالمدهش فعلا ... أنها لم تمت ....

وإذ استردت بعض وعيها ... أيقنت أنها في عنبر صغير ... حيث امتد إلى ذراعها خرطوم رفيع ليحقنها بتنقيط مستمر .. بدواء سائل يبدو أنه قاتل للآلام..

إذ إنها لم تشعر فعلا بأي منها ....

لم تشعر بأي آلام جسمانية ... ولكن ... دارت في أعماق عقلها ... ذكرى واضحة لكل ما حدث ....

وعندما أفاقت " رومي " للمرة الثانية ... كانت قد استردت وعيها بالكامل ... فوجدت الستائر نصف مسدلة ... وعم الحجرة الصغيرة بعض الضوء المنبعث من الشمس المشرقة ... وكأنه بعد ظهر يوم من أيام الصيف ... وتنسمت رائحة أزهار البنفسج ... التي ماإن وقع نظر " رومي " عليها حتى أيقنت من الذي وضعها ... فأدارت رأسها على الوسادة لتقابل عيني " جزافييه " الرماديتين... كان جالساً بجانبها ... يرقبها ... ومرة أخرى غمرها شعور غريب و مؤكد أنه كان ينتظرها .. ليس فقط لبضع ساعات .... وإنما لسنوات طوال ... قام من فوق مقعده ... وأخذ كوبا من الماء ... ورفعه إلى شفتيها ... كان الجفاف الذي

شعرت به في فمها يجعلها تبتلع رشفة الماء لتصل إلى جوفها قبل أن يبتل فمها .... ولكنها عملت على ترطيب لسانها على الأقل ... حتى استطاعت أن تهمس قائلة :

– ماذا عن السائق الآخر ؟

– لم يصب حتى بخدش !!

– شكرا للسماء !!

– إن كابينة القيادة التي جلس فيها ... كانت من العلو بحيث تنقذه من أي إصابة جسدية ... وإنما إصابته بالذعر كانت شديدة للغاية ...

أغمضت " رومي " عينيها مرة أخرى ... وكأنها شعرت بارتياح كبير وتنفست الصعداء ...

– لقد كان الخطأ مني أنا !!

– اشربي مزيدا من الماء ... فقد يكون جسدك أيضا أصيب بشيء من الجفاف... ثم رفع بيده القوية الثابتة ... رأسها إلى الأمام ومد كوب الماء الذي أخذت تتجرعه بألم شديد ... وكان ابتلاع الماء يؤكد لها أن حلقها كان ملتهبا وحساسا ... ثم أخذ الألم يتزايد بصورة مرعبة في أحد جنبيها ...

فتحت عينيها بخمول وكسل ... وكانت ذراعها اليسرى مع ذات الكتف...قد غلفت تماما بالأربطة ولم يظهر من آخرها سوى أطراف الأصابع ... التي تكسرت معظم أظفارها ... فحاولت " رومي " أن تحرك هذه الأصابع ذات اللون الوردي الباهت ... فاستجابت وتحركت طاعة لها ... غير أن المجهود الذي بذلته ... جعلها تلهث من شدة الألم ...

ثم رفعت يدها اليمنى وهي ترتعد ... كي تمسح وجهها ... وأيقنت أن حادثا آخر قد وقع ... " فلوريو " !

فوضع " جزافييه " الكوب ثم قال :

– مثلك تماما ... فقد بعثت فيه الحياة ... وهو يلعب ويقفز خارج الإسطبل وكأن شيئا لم يحدث له ...

فوجهت إليه نظرة مباشرة وكانت هذه هي المرة الأولى التي تنظر إليه بهذه

الطريقة ...فلمحت خطوطا عريضة وعميقة تدل على مدى الإرهاق الذي كان يعانيه ... وبدت لحيته داكنة السواد نظراً لكثافة جذور الشعر النابتة فيها ... بينما كانت عيناه صافيتين وباردتين مثل برود الأثاث المعدني في هذا المستشفى... ولكن بدت نبرات صوته هادئة وهو يقول :

– ألا يهمك أن تعرفي مدى الضرر الذي تعرضت له ؟

– يمكنك أن تخبرني إذا شئت !!

– هناك كسر في عظمة العضد ... وكسران في عظام الكعبرة ... واحتمال كسر في الفخذ ... هذا إلى جانب عدة رضوض ...

ثم أطبق على عضلات فمه ... فتعقدت وهو يقول :

– لقد صنع الرب معجزة فيك ... أما الرانج روفر ... فقد تحولت إلى كتلة من الحديد ليس بها فراغ يتسع لقطة صغيرة ... فما بالك بشخص آدمي في داخلها ... لقد سحقتها الناقلة فوق الطريق ... فالتوى فمها بابتسامة مريرة .. وأدارت رأسها على الوسادة وهي تقول :

– بل أنا التي سحقت ... لماذا أنت هنا يا " جزافييه " ؟

وهل تعتقد أنني حقا أرغب في رؤيتك هذه اللحظة ؟

فصمت لبرهة قصيرة ... ثم استأنف كلامه ... ولكن بصوت أعمق وأكثر خشونة:

– إنني أدرك تماما ماكتشفته الليلة الماضية يا " رومي " ... كما أنني أعرف كل ما دار بخيالك ...

– هل تعني ما تخيلته عنك أنت ؟

وشعرت أن وجوده مؤلم أكثر من ألم ذراعها المكسور ... حين استطردت :

– أرجوك يا " جزافييه " ... اتركني وحدي ... واجعل لديك بعض الاحترام لرغباتي ولو لمرة واحدة في حياتي ... وامض من هنا ...

فأجابها بلطف :

– لابد أن الأمور قد اختلطت عليك ...

فهبت فيه بحدة ضارية وهي تقول :

– لا ! ليس بعد الآن !! لقد اختلطت علي الأمور أيام اعتقدت أن لديك ذرة من المشاعر الإنسانية الرقيقة ... أما الآن ... فإنني أرى كل شيء بوضوح تام ... نعم بمنتهى الوضوح ... ثم حاولت أن تجلس على الفراش ... ولكن آلامها كانت مبرحة ...

فحملقت فيه وهي تقول :

– أريد أن أعرف منك شيئا واحدا .... كم من رحلات العمل هذه ... كانت زيارات لـ "إيفا" العزيزة ؟

وهل دأبت على خداعي منذ البداية ... أم أنك قررت العودة إليها بعد انفصالنا الجسدي ... فوضع يده بنعومة بالغة على شفتيها وكأنه يمنعها من التفوه بهذه الكلمات ثم استطرد قائلا :

– كفاك هذيانا يا "رومي" ... لقد مضى وقت طويل ... طويل .. منذ انطوت علاقتنا أنا و "إيفا" على شيء ... لايوجد الآن إلا صداقة بيني وبينها ...

فسألته وهي تعني سخرية لاذعة :

– وماذا فعلت طوال ثلاثة أيام إقامة كاملة في الڤيلا الخاصة بها ؟ هل كنت تلعب معها ... لعبة ودية في مباراة بريدج ؟

فأجاب بهدوء :

– لم أكن عند "إيفا" ... بل كنت في روما !!

فداهمته بازدراء وهي تغوص مرة أخرى في الوسائد :

– يالها من كذبة غشيمة ... هل تعتقد أن الحادث قد أرداني غبية ؟

فشع وهج من عينيه إلى عينيها وهو يقول :

– هذه هي الحقيقة !! نعم .. لقد طلبت إلى "جسوالدو" أن يصحبني إلى "ليباري" ... فقد أرادت "إيفا" أن تراني .. ولكنني لم أمكث معها سوى بضع ساعات ... ثم تركتها وذهبت إلى روما ... هناك شيء لاتعلمينه بعد يا "رومي" ... فمنذ أن تم الطلاق و أنا تربطني بها صلة إدارة الأعمال المالية ... فهي زوجتي الأولى .. ولم يكن لديها أية فكرة عن التعاملات المالية...

ثم سكت برهة وعلايستكمل بجفاء :

– لا أظن أن شيئا كهذا قد مر عليك دون انتباه ... إن "إيفا" ليست بالذكاء الذي يجعلها عبقرية في تفكيرها ...

فأجابت "رومي" بحرارة :

– ولكن لديها العقل الكافي لتقف دائما على ماتريد ...

– ليس بالكفاية التي تجعلها تحمل مسؤولية أموالها ... وليس باستطاعتي أيضا تجاهل هذه المسؤولية يا "رومي" .. إنها غالبا ما تعيش على الفطرة ولا تتحمل مراعاة أعمالها المادية ... إن ثراءها من حقها ... لقد كانت أسرتها في ألمانيا هي التي تدير أعمالها ... ومنذ أن توفي والدها ... وجدت لزاما علي أن أدير استثماراتها ... وقد استمر هذا لسنوات عديدة إلى أن جاءت لتراني وذلك في اليوم الذي قابلتها فيه في "لوكا" ... ولم يكن اللقاء إلا لمناقشة بعض الأعمال المتعلقة بعقاراتها .

تملك "رومي" ضجر من حديثه ... فأدارت وجهها بعيدا وكأنها لاتصدق مايقول ثم علقت قائلة :

– إنه لتكريس مؤثر من جانبك !!

والآن ... أريد أن أختلي بنفسي يا "جزافييه" .

فقال بخشونة :

– اصغي إلي يا "رومي" ... إنني لا أقول غير الحقيقة ... لقد ذهبت إلى "ليباري" وفعلا رأيتها لسبب خاص جدا !!

فرددت وراءه بحرارة :

– نعم : خاص جدا !!

– إن الهدف من زيارتي هو تسليم محاسبها الجديد كافة المستندات والمعلومات التي تتعلق بأملاكها ... فعندما تزوجتك ... أيقنت أنني لايمكن أن أستمر في القيام بدور المستشار المالي لـ "إيفا" .. وهذا الوضع لم يكن يتعارض مع وضعنا كزوجين مطلقين ... إذ لم يكن فيه مايسيء لأحدنا ... أما الآن وقد تزوجت بامرأة أخرى ... فقد أصبح حتميا وضع نهاية لهذا العمل ...

فعقبت قائلة :

www.elromancia.com

– إن أخلاقك وفلسفتك تستحقان التقدير ...

فاسترسل " جزافييه " في حديثه ... وقد تجاهل سخريتها :

– أخبرتها أن تعين محاسبا متخصصا من الآن فصاعدا ... فقد استدعى ذلك الأمر أكثر من شهرين كي تتحرك ... ولكنها أخيرا تعاقدت مع شركة عالمية لها شهرتها في " باليرمو " ... والسبب الذي جعلني أذهب إلى الڤيلا .. منذ يومين أنه كان لمقابلة الرجل الجديد لتسليمه كافة المستندات والوثائق التي كنت أحفظها في الخزانة الموجودة بمنزلها ... ولإعطائه حافظة المستندات التي دونت فيها كافة الاستثمارات بالنيابة عن " إيڤا " ...

ثم أضاف :

– لم تكن لديها أدنى فكرة عن أماكن وجود أموالها الخاصة ... إلى حد أنها تجهل القيمة الفعلية لهذه الأموال ... إنها من نوع النساء اللائي اعتمدن طيلة حياتهن على الرجال في إدارة أعمالهن ...

جعلت " رومي " تحدق فيه بكل صمت ... ولكن علامات التوتر بدت واضحة على وجهها حين قالت :

– إنها بالفعل قصة معقدة للغاية .

مال " جزافييه " أمامها ... وقد أكد حاجباه الداكنان ... بريق عينيه الرماديتين حين قال :

– غالبا ماتكون الحقيقة معقدة ... دعيني أصرح لك بشيء يا " رومي " إنني في الواقع لا أشعر بميل لصداقتي مع " إيڤا " ... لقد جرحتني بقسوة ... ولم أعد أحمل لها أي احترام منذ زمن طويل ... ولكن طرأت على بالي فكرة التظاهر بالعواطف الواضحة لزوجتي الأولى ... إذ ربما يعمل هذا على إثارة غيرتك ... تجهمت " رومي " وهي تقول :

–بلاشك لقد حركت في كل الغيرة ...

– أعلم ذلك ... لقد كانت فكرة حمقاء ... وفور إدراكي .. كم سيكون جرحك بالغا بهذه الحماقة ... فقد تراجعت وقررت ألا أعيد التجربة مرة أخرى ... ولكنني إذ أخذت في الاعتبار الحالة التي كانت عليها علاقتنا في هذا الوقت...

فقد أثرت عدم التصريح لك بأمر تلك الزيارة الأخيرة خاصة وأنني كنت أزمع مقابلة " إيڤا " ... أو حتى لأنني سوف أمضي هذه الأيام في متابعة ومراعاة مصالح " إيڤا " المادية ... لذلك ... وجدت أن الأسهل ألا أطلعك على حقيقة هذا العمل ...

فقالت " رومي " وهي ترتعد :

– وهل تكون " السهولة " دائما – في نظرك – بأن تكذب علي ؟

لقد حدث ذلك منذ البداية ... أليس كذلك ؟

فأجابها بصوت هادىء :

–" نعم بل كان من السهل أن أطلعك على الحقيقة ... منذ البداية ... كان أسهل وأفضل ... لن أكذب عليك أبدا بعد الآن يا " رومي " ... لن أكذب على أي شخص أو على أي شيء ...

ومن خلال الصمت الذي خيم عليهما بعد هذا الحديث ... تسللت بعض الأصوات الآتية من بعيد والمعتادة في المستشفيات ... لتدخل من خلال الباب نصف المفتوح... ثم تلتها إحدى الممرضات التي اختلست هي الأخرى نظرة على الحجرة ... فوجدت " رومي " مستيقظة ... وذهبت لاستدعاء الطبيب ... وكانت " رومي " تشعر بألام في ذراعيها ... وفي جنبها ... وفي فخذها ... ومع كل هذا لم تستطع أن ترفع نظرها عن " جزافييه " ... فاحتمال الألم كان أهون عليها من احتمال فكرة الخطأ الذي وقعت فيه وحطمها ...

فسألته بصوت متمايل ... بين التحدي والاعتذار :

– ثم .... ماذا فعلت في الباقي من الأيام الثلاثة ؟

فأجابها بهدوء :

– استقللت القطار السريع من " ليبارى " إلى " روما " ... في إحدى عربات النوم ... إنني أحب قطار الليل ... فهو أقل إرهاقا من الطيران ... ومع صباح اليوم التالي .. كنت في " روما " ... وقد نزلت بفندق " إمبريال " قرب حدائق "بورجيز" وهو أحد الفنادق المفضلة بالنسبة لي في العالم ... ثم تحسس جيبه وهو يقول :

– إنني أحتفظ بالفاتورة إذا كنت تريدين رؤيتها !!

فأجابت بحدة :

– أعطني إياها !!

وأعطاها قطعة الورق ... وبينما هي تفضها بطريقة عشوائية وباليد الواحدة السليمة ... وأخذت تتفحصها ... استطرد هو في الحديث بنفس الصوت الهادئ قائلا :

– كانت لدي مقابلات مع العديد من الأشخاص الذين كان ينبغي أن أراهم... وكان يجب أن أتصل بكِ هاتفياً ولو مرة على الأقل ... ولكنني لم أكن في حالة معنوية تسمح لي بذلك ... والآن إنني نادم بمرارة على ذلك ...

ولا أنكر ... أن هذا الموقف كان واحداً ضمن آلاف المواقف التي تراجعت فيها عن إبداء أي عاطفة ... ولو صغيرة ... إذ كانت قد وفرت علينا الكثير من العذاب ... ولكن ... كنت أشعر بالغضب نحوك ...

– استمر ...

– لم يبق إلا القليل ... فقد أنهيت أعمالي ... ثم تناولت طعام الغداء مع صديق قديم من أيام الدراسة ... ثم استعددت للعودة إلى "صقلية" ... وكنت قد طلبت من " جسوالدو " أن يقابلني في محطة " ليباري " ... ولم يكن اختياري لها .. بكل بساطة .. إلا لأنها أقرب محطة إلى "لوكا" ...

وكانت فاتورة الفندق ... عبارة عن مستند لايقبل الطعن فيه ... فقد مكث ليلتين... دونتا بكل وضوح ... ثم طلب قهوة قبل مغادرة الفندق في الليلة الأخيرة ... كما ظهر على الفاتورة موعد مغادرته الفندق ... الساعة العاشرة... فرفعت عينيها لتنظر إليه ... وكانت قد بدأت تغرق في بحر من الدموع ... وبدأت ملامح وجهه الوسيم تتقلص لدى استعادة الذكرى ... وهو يقول:

– لقد اتصلوا بي هاتفيا الليلة الماضية ليخبروني بما حدث ... وكل ما كان يعلمه الخدم هو أن حادثا مروعا قد وقع ... وتم نقلك إلى المستشفى وأنك كنت

غارقة في الدماء وفي غيبوبة تامة ...

وأخذت أول رحلة طيران على طائرة خاصة كي أعود إلى "صقلية" ... ولم أتمكن من معرفة حقيقة ماحدث حتى الساعات الأولى من صباح اليوم عندما وصلت إلى المستشفى ...

فعلقت بصوت يكاد يكون مسموعا :

– وهل كنت قلقا بشأني ؟

فتحولت تعبيراته إلى شيء من عدم التصديق وهو يقول :

– قلقا ؟ إنك مازلت لاتفهمين !! أليس كذلك !! لقدكنت مذعورا يا " رومي"... لن أنسى مدى حياتي هذه الليلة ... بل ستظل الليلة الماضية صورة مطبوعة في خيالي ... وأعدك بذلك !!

ولم تكن في احتياج إلى شيء أكثر من أن تنظر إلى وجهه ... لتعرف أنه فعلا يقول لها الحقيقة ... فقد تعذب هو الآخر ... وكانت علامات الضغط والتوتر واضحة وكأنها مكتوبة على جبينه ... وتركت آثارا تنم عن عاطفة... عاطفة حقيقية ... بل عاطفة ترتكز أساسا عليها ... نعم !! لقد كان يعنيه أمرها ... يعنيه بعمق وصدق أكثر بكثير مما كانت تتصور ...

فانهمرت العبرات الساخنة ... تحرق وجنتيها وهي تقول :

– أوه يا " جزاقييه " !! لقد أقحمت كل شيء حولي في ورطة كبيرة !!

وإذ رآها في ذلك الحزن العميق ... تحولت تعبيرات وجهه إلى شيء من الملاطفة إذ أخذ يهدئها بحنان فياض ...

وبينما هي تجفف وجنتيها ... قالت بنبرات يائسة :

– لابد أنك تكرهني .

فأجابها بصوت دافئ :

– لا !! إنني لا أكرهك يا "رومي" ... إن هذا لجنون ...

– إذن ! فأنت تتساءل إذا كانت حياتنا الزوجية سوف تحظى باستقرار

طبيعي...

فردد قائلا :

– "طبيعي" !! إذا كنت أرغب في زواج طبيعي ... كنت تزوجت امرأة أخرى.

فقالت بحزن :

– كان يجب أن تفعل ذلك ؟ ولماذا وقع علي اختيارك ؟ لو لم تخبرني كنت جنبت نفسك المشاكل والتعاسة التي حلت بك منذ أن تزوجنا .

فابتسم بطريقة ملتوية وهو يجيب :

– صدقي أو لا تصدقي ... إن الموضوع يستحق متاعبه ... لم أستطع أن أقع في غرام إنسانة عادية ... إنسانة لاتقدر الأعماق ولا حتى الأطوال ... ثم حملق في عينيها واسترسل :

– تزوجت لأنني أردت أن يكون لزواجي طابع خاص يا "رومي" ، وذلك لأنك ذات طابع خاص دون أي امرأة أخرى عرفتها ... ولم تستطع أن تتكتم السؤال الذي بدر على لسانها :

– وماذا عن "إيڤا" ؟ ألم تقع في غرامها ؟

فكانت ابتسامته كبصيص من ضوء الشمس ، ثم سألها وهو يعبث برقة في شعرها :

–ما هذا ؟ هل هو نوع من عدم الأمان؟ ألا تصدقين ماكنت أقوله لك توا ...

فأضافت بلمسة من إحساس مرير :

– بل تخيلت أنك كنت تستمتع بوقتك معها أكثر من متعتك معي ... ومن الواضح أنك مازلت تهتم بها ... إذن... فقد أحببتها ...

فصمت للحظة ... وكأنه يبحث عن الكلمات التي تدور بخلده ... وأخيرا تفوه بها قائلا:

– إذا كنت تبغين الحقيقة ... فقد ظننت يوما أنني أحبها ... وإذا كنت تتذكرين هذا ... فإنني قد كنت في الخامسة والعشرين من عمري حين

تزوجتها... فكم مضى من وقت ... منذ ذلك الحين ... أو بمعني أصح... فكم من الأعوام مرت على ذلك ... ثم ... لم نكن نهتم بأي شيء ... فكل منا كان صغير السن ولم يكن شيء يطرأ على بالنا ... سوى المتعة والمرح ... ولم تكن علاقتي مع "إيڤا" إلا نوعا من طيش الشباب ... ولا أعتقد أنني أظلمها إذا قلت أيضا إنها كانت علاقة غير ناضجة ...

فسألته بجفاء ... وهي تنظر إلى الوسائد ...

– هل تعني بأقوالك هذه ... أن تهدئ من غيرتي ؟

– هذه هي فعلا الحقيقة ...إذ لم يكن سوى زواج سطحي بين شابين طائشين.. ... وكما ترين ... فقد كبرنا معاً ... وكان من المتوقع أن نتزوج .... ثم اكتشفنا الخطأ الذي وقع فيه كل منا .... وكانت هذه الحقيقة بمثابة صدمة لكلينا ... فلم نكن متناسبين يا "رومي" ... سواء في الحياة العامة أو في العشرة الزوجية ...

ثم تجهم قليلا وأردف :

– إنها "إيڤا" هي التي طلبت حريتها ... إذ كانت في ذلك الوقت قد وقعت في إثم علاقة أخرى ... أو علاقتين ... ورغم علمي – على الأقل في داخل قلبي – بأن الزواج يجب أن يشمل المزيد عما كان لدينا أنا و "إيڤا" ..إلا أنني حافظت على عهدي حتى النهاية ... وإذا كنت أبدو أمامك الآن كشخص فاسق ... فتذكري ... ويعلم الله ... أنني لم أخُن زوجتي يوماً...

وهنا ... تطرق إليها بنظرة جادة :

– وإذا كنت تظنين أن الطلاق كان سهلاً ... أو أنني أخذته باستخفاف ... فإنك ولابد مخطئة في هذا التفكير ... إذ كانت فترة عصيبة للغاية ولكنها أفادتني بدرجة كبيرة ... إذ حولتني من طيش الشباب إلى النضج الكامل .. ثم رفع يدها السليمة إلى شفتيه – دون أن تتوقع ذلك – وقبل راحتها ... بشفتيه الدافئتين ... بينما أخذت هي تتلمس فمه الذي يشع رجولة ... ثم استطرد قائلا ... وهو يحتضن عينيها بنظراته :

– لقد مرت خمسة أعوام على الطلاق ... وبلاشك ... فقد أصبحت رجلا

www.elromancia.com

ناضجا ... وازدادت بصيرتي وتعقلي .. واكتسبت الثقة بالنفس و الحكمة..
وهذا قطعا يتمثل بنفس القدر بالنسبة لمشاعري تجاهك .... فهي تختلف اختلافا بينا .... مثل أي سلعة ... فالأصلي منها ... لايقارن بالتقليد....

فلم تملك سوى أن تحملق فيه .. وكأنه قد نومها مغناطيسيا ... ثم همست قائلة :

– هل باستطاعتي أن أصدقك ؟

فابتسم وهو يجيب :

– إذا أردت ذلك !! أما عن شكوكك من أن " إيفا " مازالت تتوق لي ... فليست بعيدة عن الواقع ... إن "إيفا " فعلا مولعة بي ... ولكن بطريقتها السطحية ... فهي لاتعترف بالرومانسية في مشاعرها ..

وهذا ماأحاول تاكيده لك ... إلى جانب حقيقة أخرى ... وهي أن " إيفا " تجر في أذيالها ... زمرة من المعجبين بها... والمتقدمين لطلب يدها في "ليباري" .. ومن بينهم منتج سينمائي أمريكي ... يجعلني أبدو بجانبه مثل فقير معدم ... لابأس ... سوف تتمتع بحياتها وتسعد نفسها على مدى عام أو عامين... ثم تلتقط من بين هؤلاء الزوج المقبل لتستقر معه في الحياة على مذهب المتعة المفرطة ...

– أوه يا " جزافييه " !! أنا آسفة جداً ... آسفة على السيارة ... وآسفة على كل شيء ...

وهنا دخلت الممرضة ومعها طبيبان ... فقطعوا عليهما الحديث ... فوقف "جزافييه " ... وربت على وجنتها وهو يقول :

– أظن أن علي أن أغادر الغرفة ....

لفت أصابعها بين أصابعه ... وتوسلت إليه بإلحاح شديد ...

– أرجوك : لاتذهب بعيدا ... متى أراك ؟

فجز على فكيه بضجر وهو يقول :

– حالما يسمحون لي بذلك !! على أي الحالات فأنا محتاج إلى حمام ساخن وأن أحلق ذقني ... ثم أتناول وجبة طعام ... ويمكنني القيام بكل هذا في نفس

المبنى بالدور السفلي ... فلن أكون بعيدا ... أعدك بهذا...

وما فعله الأطباء بذراعها المكسور كان مؤلما بصورة مميتة .... ولكنها لم تأبه كثيرا للألم الذي أصابها، إذ غمرها إحساس بأن أعماقها قد شفيت وبدأت السعادة تأخذ مكانها في هذا القلب المعذب ... وأكثر ما أسعدها ذلك الشعور الأناني الذي جعلها تدرك أن زوجها يختصها هي فقط بكل الحب ... ومن خلال الكابوس المزعج والإظلام الذي ساد هذا القلب الصغير ... تألقت جوهرة تشع ببريق الأمل والحب والسعادة وخرجت من أغوار قلبها لتطفو وتغمر كل كيانها وتجعلها تعيش هذه اللحظات من البهجة والسعادة حتى أنها لم تشعر بمأساتها الجسمانية التي خرجت منها بكسور عديدة ورضوض أكثر ، وآلام مبرحة ... تضاءلت كلها أمام قلبها الذي تفتح على السعادة لأول مرة ... وقد لاحظ الأطباء مدى انشراحها ... فأطلقوا عليها ... أسعد حالة في عنبر العظام والكسور ... رقم ١٢ ...

وفي خلال يومين آخرين ... سمحوا لها بالنزول من الفراش والحركة القليلة بمعاونة العصا من ناحية .. و " جزافييه " من الناحية الأخرى ... فصحبها خلال ممر نظيف ... إلى الشرفة التي ينتهي بها ... وكانت تطل على فناء واسع حيث تصاعدت منه أشجار النخيل ... التي أخذ سعفها يحدث حفيفا لدى تمايلها مع النسيم ومرت أشعة الشمس الذهبية بينها وبين شجرة أخرى كبيرة كانت قد بدأت تطرح ثمار فاكهتها ...

ونظرت " رومي " إلى وجه زوجها الوسيم ... وكان هو الآخر يمعن في النظر إليها ...

ثم قالت :

– أعرف أنني قلت لك أشياء كثيرة ... بل هي بشعة ... ومنذ أن تفوهت بها... وأنا أشعر بحرارة الندم ... فقد عاملتك وكأنك وحش ضار ثم أجفلت .. لدى تذكرها لموقفها الشخصي منه واستطردت :

– لقد تصرفت بطريقة لا أبغي من ورائها أي غفران .

فأجابها " جزافييه " بهدوء ... وكانت عيناه تسعيان وراء الحقيقة التي ربما

www.elromancia.com

اختبأت في عينيها :

- ولكنك لم تتفوهي إلا بما استقر في اعتقادك !!

فأجابته وهي تهز رأسها بثبات وحزم :

- لا !! إنني لم أصدق حتى نصف ماقلته لك ... وأما الذي أرجو أن تصدق فعلا .. فهو أنني لم أكن بكامل وعيي عندما قلت بعض الأشياء ... وربما يشفع لي هذا كي تغفر لي ...

فقال بابتسامة غامضة :

- ليس من الصعب إطلاقاً أن أسامحك ..لكنني أيضاً قد اقترفت أخطاء لاتغتفر ... مثل قسوتي الفظة معك في بادئ الأمر ... ومثل إطلاق العنان للغضب كي ينال من حبي لك وحناني عليك ... ولم يحدث كل هذا إلا في نفس الوقت الذي ينبغي علي فيه أن أكون أكثر تفهما لكل الأوضاع ... إنني أعترف أيضاً بأنني كنت في منتهى الغباء ... وأكثر ما يحرق قلبي هو تصوري أنني كنت على وشك أن أفقدك ...

وشعرت " رومي" بقلبها ينبض ... إذ شعرت بهذا التعبير يتغلغل في أعماقه ... فسألته بلطف :

إ ذن !! أعتقد أنك لاتريد أن تفقدني بعد الآن !! أليس كذلك ؟

فهز رأسه ... وقد اعتلت شفتيه نصف ابتسامة وهو يقول :

- كلا يا "رومي" !! إنني لا أريد أن أضيع ثانية واحدة من عمري بعيدا عنك... ولا أنكر ... أنني عندما سمعتك تنوهين عن تركك لي ... أو طلب الطلاق... تصورت أنني لن أستطيع أن أمنع نفسي من ضربك أو جلدك لو أمكن ... بل والأكثر من ذلك ... شعرت أنه لو اقتضى الأمر أن أسجنك في البرج ... فلن أتورع عن تنفيذ ذلك ...

فضحكت بصوت متقطع وهي تقول :

- إنني أشعر بالإطراء !!

- وما أنا إلا رجل !! فأنا لست قديسا ... والذي يؤلمني هوأنك لم تشعري إطلاقاً بمدى حبي واهتمامي بك ...

ثم استطرد وقد بدأت نبرات صوته تبدو أكثر خشونة :

- عليك أيضا أن تدركي أنه عندما وقع الطلاق بيني وبين " إيفا" ... لم أكن قد نضجت بما فيه الكفاية حتى أتأثر بهذا الحدث ... ولكن عندما بدأت الأمور تتعقد وتسوء بيني وبينك ... شعرت بجرح غائر ... أعمق وأسوأ بكثير عما كان مع " إيفا" ... أسوأ !! . لأن مشاعري نحوك كانت تختلف ... كانت عميقة ومتأججة حيث فتحت طاقة كبرى لجرح غائر ... أسوأ ... لأنني شعرت و كأننا نتعثر مع صعود أولى درجات سلم ... لم يوصلنا بعد إلى كل مايمكننا اكتشافه أو إنجازه ونحن ننعم معا بحياة زوجية آمنة .. فقد أيقنت منذ الوهلة الأولى .. أن زواجي بك سوف يأتي لنا بسعادة أكبر وبإنجازات أكثر ... غير ما كان عليه زواجي من "إيفا"... وإذ ذاك ... أشعر بكل هذه الآمال تتبدد بل وتتعرض لخطر الدمار ...

ثم تقطب جبينه وانقبضت عضلات وجهه وهو يسترسل قائلا :

- كم شعرت بالمرارة والغضب يسيطر على كل حواسي ... حتى تملكتني رغبة قوية عارمة لإبقائك معي حتى لو اضطرني ذلك إلى سجنك بالقوة مقابل عدم فقداني لحبك ...

وجاء صوتها يائسا ... وكلامها ممطوطاً وهي تقول :

- آه !! لو أنني أيقنت كل هذا !!

- وكيف يتأتى لكِ أن تعرفي ... إنني لم أطلعك أبدا على أي حقيقة ... وربما بدأ الخطأ مني أنا ... إذ انتظرت طويلا ... لعنة الله على كرامتي ... فهي التي تصدت في الطريق ... لم أستطع تحمل مجرد فكرة رفضك لي ...

أو أن تبدو منك ضحكة زائفة أمام وجهي ...

ثم نظر إليها بإمعان وهو يستطرد :

- يبدو أننا استغرقنا وقتا طويلا كي نفصح عن خبايا هذه المشاعر ... أليس كذلك ؟

فهمست قائلة :

- بلى !! ولكنني في منتهى السعادة إذ أفصحنا أخيرا عن كوامن قلبينا !!

www.elromancia.com

ولست أرى مخرجا لكل مامضى بنا يا " جزافييه " ... إنني الآن أنظر للمستقبل بأهمية أكبر وبأمل جديد أراه يمتد إلى مالانهاية !! ألا توافقني على هذا؟

فجذبها نحوه بحنان بالغ وهو يقول :

- بلى !! إن مستقبلنا هو أهم شيء الآن يا " رومي " ... ولا أرى أي شيء أكثر أهمية منه !!

وبعد مضي ثلاثة أيام ... سمحت لها إدارة المستشفى بالمغادرة ... بعد تحذير الأطباء بعدم الضغط على ذراعها المكسور لمدة شهر على الأقل ...

فخرجت مع " جزافييه " وبعد مغادرة مبنى المستشفى ... تريضا قليلا في حدائقها التي كستها الزهور وظللتها أشجار النخيل الفارعة ...

ثم تعجلها بالخروج ... بينما وقف برهة واستدار لينظر من وراء كتفه على مبنى المستشفى وهو يقول :

- هيا بنا !! إنني أكره المستشفيات ...

- وأنا أيضاً !! ولكنني لاأستطيع أن أمنع شعوري عن عشق هذا المستشفى بالذات ...

فأخذ بذراعها وهو يبتسم ... وقادها إلى حيث كانت السيارة " الداملر " في الانتظار ... ثم قال :

- إن البحر على بعد كيلو واحد من هنا ... فما رأيك إذا تمشينا قليلا على الشاطئ ... ثم نتناول غداء فاخرا ... نعود بعده في رحلة هادئة بطيئة بالسيارة ... إلى منزلنا ...

فوافقت بتلهف شديد قائلة :

- إن هذا ليكون رائعاً !!

وكان "جزافييه " في غاية التألق اليوم ... فبدت وسامته أكثر من خيالية ... وكانت سترته الجميلة المصنوعة من جلد الجمل ... قد أبرزت نظرات الداكنة التي بدت متألقة وعلى درجة عالية من الكمال ... ومثله .. مثل معظم الرجال الإيطاليين ... فقد كان " جزافييه " يتمتع بحس جمالي في ارتداء ملابسه جعله

يبدو أنيقاً لدرجة لاتقاوم ... سواء ارتدى ملابسا عادية أو ارتدى زيا رسميا ...

ثم استدار ليرمقها بنظرة خاطفة من تحت حاجبيه الداكنين وهو يقول :

- إنني لا أراك ثرثارة بدرجة كبيرة !!

- لأنني اشعر بسعادة بالغة ... لايقدر الكلام أن يعبر عنها !!

قالت هذا ... وهي تتحسس كتفيه لتربت عليهما ... فهو لم يبد ظاهريا فقط رجلا وسيما ... بل أحست بشعوره الطيب .. ورائحته الزكية وكل ما فيه كان يبعث فيها السعادة والإثارة العاطفية ...

وصلا إلى الشاطئ... وكانت زرقة البحر الداكنة تعكس صفاء السماء التي علت رأسيهما ... وكان من الصعب تصديق أن هذا هو جو انتهاء الشتاء في باقي أنحاء أوربا ...

وأخذا يسيران معا ... مسافة قصيرة ... على الرمال النقية ... في معزل عن الناس ... حتى وصلا إلى شاطئ البحر حيث تلاحقت أمواجه الزرقاء وأخذت تتلاطم برقة ونعومة ... وعلى هذه المياه الهادئة كانت هناك عدة يخوت تنجرف وتتمايل بخفة متحدية الهواء البارد ...

وقفها " جزافييه " ... وأخذ يداعب شعرها المتطاير على وجنتيها ... واحتضن وجهها بين كفيه ... وتلمس نظرتها بعينيه الداكنتين .. ثم قال :

- وكيف حال ذراعك الآن ؟

- ذراعي يبدو وكأنه ذراع جديد !! ولكنني أظن أنك كنت على وشك أن تقبلني... فهل أخطأ إحساسي ؟

فأخذ " جزافييه " يتفحص وجهها بعينيه الرماديتين البراقتين ... وفي لحظات... تقوس فمه ليفسح مجالا لابتسامة ماكرة وهو يقول :

- هل تعلمين بماذا جعلتني أشعر الآن ؟

فمدت " رومي " يدها السليمة .. لتضعها على يده ... وقد احمر وجهها من السعادة وهي تجيب :

- نعم !! لدى فكرة بسيطة !!

www.elromancia.com

– فكرة بسيطة ؟

ولم يقوَ على التحكم في مشاعره ... فقبلها قبلة ... ذابت فيها عواطفه المتأججة... إلى أن سحبت منها أنفاسها ... وكانت شفتاه تؤكدان في صمت كل ما يريده منها ... وأخيراً تفوهت شفتاه لتقولا لها بصوته الأجش :

– إنك تعنين كل شيء بالنسبة لي :

ثم تعانقا عناقا طويلا ... ليشعر كل منهما بدفء العاطفة الجياشة التي تدفقت بحرارة في جسديهما ... وبعد هذا العناق ... تحولت تعبيرات وجهه فجأة إلى شيء من الجدية وهو يقول :

– في أثناء وجودك بالمستشفى .. كان لدي وقت طويل للتفكير في عدة أشياء... نعم ! أشياء كثيرة تشعرني الآن بالندم والمرارة ... وربما يكون أكثر ما يحثني على الندم الآن ... الوسيلة التي اتخذتها في الكذب عليكِ ... فقد كان " مسا " من جنون أن ألجأ إلى مثل هذه الحيلة ... كان ينبغي أن أصرح لكِ بحبي .. وأحاول إقناعك بالحقيقة بدلا من تعرضي لصدك وعدائك ... لقد ظننت أن كل شيء قد يأتي بعد أن تصبحي زوجتي ... وأوحيت لنفسي أنني سوف أتمكن من إطلاعك على الحقيقة فيما بعد ... ولكنني لم أتخيل أن تكون لك عزيمة قوية هكذا ... للتشبث بأوهامك طوال هذه الفترة ...

فأمالت رأسها على صدره ... تلتمس مساندته ... وشعرت بذراعيه القويتين تحيطان بها... ويده تعبث بشعرها ... فتملكها شعور وكأنه مزيج من الألم والمتعة والرغبة و السعادة ...

ثم قال :

– لقد اعتقدت حقا أنني فقدتك عندما اكتشفت الحقيقة في النهاية ... وقد استغرقت وقتا طويلا كي أنسى تلك النظرة التي كانت في عينيك ذلك الصباح...

فارتعدت " رومي " وهي تقول :

– بل كدت أفقد عقلي ذلك الصباح !!

– لم يكن لدي أدنى تصور لما سيكون عليه رد فعلك ... فلم أتوقع أن تعزمي على العودة إلى انجلترا ... وكالمعتاد ... فلم يكن لدي الحصافة لتقدير قوة عواطفك بالقدر الكافي ... ولم أصدق أن أكون أنا متيما بك إلى هذا الحد ... وأنت لاتحملين لي ذرة من المحبة ... وقد جُن جنوني إذ رأيتك تهدرين طاقة جبارة في الكره بينما كنت أشعر أنك تملكين قدرة هائلة للحب ... حينئذ .. وجدت أنني إن لم أقيدك بسلاسل من حديد ... فسوف ترحلين .. و أفقدك إلى الأبد ... لهذا ... اضطررت للكذب مرة أخرى .. كان ينبغي أن أتظاهر بالصلابة والجمود حتى ولو كان قلبي ينزف ويتمزق من أجلك ... ولو أنني أظهرت بعض الضعف ... لكنت قد انزلقت من بين أصابعي .

وانعكست في عينيه نظرة داكنة لما مر به ... ثم استرسل :

– في ذلك الوقت ... كان كل ما تحترمينه هو العنف والقوة ... ولو أنني أظهرت بعض ما أكنه لك من حنان ... ربما كنت أديت بك إلى احتقاري ...

فأجابته وقد أيقنت أنه نفذ ببصيرته إلى أعماقها وفهم شخصيتها :

– أعتقد أنني كنت أفعل ذلك !!

ثم تمتمت :

– أوه !! " جزافييه " ... إنني آسفة للغاية ...

فضحك " جزافييه " وهو يقول :

– لادعي للأسف بعد الآن ... فلم يكن أحدنا مثالا براقا للتفهم ... وكان ينبغي علي أن أمنحك ارتياحا أكثر مما منحتك ... كان ينبغي علي أن أساعدك... وأن أساندك .

ولم تتحمل رؤيته وهو يلوم نفسه هكذا ... فقالت :

– إنك حاولت ... بل حاولت مرارا وتكرارا ... ولكنك فشلت في الاقتراب مني... ربما لأنني أنا لم أدعك تفعل هذا ...

www.elromancia.com

فقال بصوت ساخر :

– لقد أصيب كلانا بلعنة الكرامة ... ربما يرجع هذا إلى الأصالة في دمنا الصقلي ...

ثم دفنت رأسها في صدره وهي تهمس :

– هل لنا أن ننسى كل الماضي ؟ لقد أخطأت في تقديري لك كما أخطأت في التعرف على شخصيتك وخصالك ... حتى في الأسباب التي دفعتك للزواج مني... ولم أكن أحمل سوى اعتقاد راسخ بأنك تريد ورثة للإبقاء على لقب الأسرة ...

فأجابها وكأنه يؤكد ماقالته ولكن بصورة مخففة :

– إنني أريد أسرة ... لقد تعديت الثلاثين من عمري يا " رومي " ولابد في هذه السن ... أن يبدأ الرجل في التفكير في مثل هذه الأمور ... كما إنني لا أريد أن أصبح كهلا في الوقت الذي يبدأ أولادنا وبناتنا في مرحلة النمو ...

أما موضوع الورثة !! وتكرارك لهذا اللفظ ... إنها كلمة بالية ولا تتضمن في معانيها أي عاطفة أو مشاعر دافئة ... إنني أريد أطفالا يا " رومي " ... بل أطفالك أنت !!

فأجابته بهمس :

– وأنا أيضاً ... أريد أطفالك .. في أقرب وقت ممكن ... ولكم أتمنى أن أرى طفلنا بين ذراعيك ...

فحملق فيها وكأنه يراها للمرة الأولى ... ثم قال :

– لم أتخيل أنني سوف أسمعك في يوم ما ... تقولين هذا !!

فأجابته بهدوء :

– " جزافييه " !! لقد تغيرت كثيرا ... وإنني أتساءل أحيانا إذا كنت قد لمست في هذا التغير ... لقد مررت بأوقات عصيبة معي ...ولست أدرى لماذا لم تلقني في البحر ؟ يوم أن تزوجنا ... كنت طفلة ... بل كنت عمياء بائسة وطفلة

مدللة ... وكان كل إحساسي ... أنني مثل حيوان وقع في فخ ...

أما الآن ... فلم أعد تلك الطفلة ... إنني امرأة ... إمرأة ناضجة ... ثم إنني زوجتك ... وتنتابني رغبة جامحة لأن أفعل الصواب .

فابتسم معلقاً :

– ماكل هذا ؟ هل هي التوبة ؟

فأجابت ببساطة :

– كلا !! ولكنني أعتقد أنها تميل أكثر إلى أن تكون إعلانا عن الحب ... ولم يكن رد فعل " جزافييه " إلا سعادة صادقة قد غمرته ... وقبل أن تلتفت إلى ماينوي فعله ... فقد طوقها بذراعيه واحتضنها ليؤرجحها في دائرة سريعة كما الطفلة المدللة ... فبدا من حولهما الشاطئ وقد غمرته أشعة الشمس وانعكست على صفحة الماء لتزيد زرقة البحر جمالا ... ويبدو كل شيء حولهما زاهيا ومرحا ...

ثم أنزلها على الأرض مرة أخرى وهو يقول :

– لم أكن أعلم أن كلمة " الحب " قد دونت في " قاموسك " !!

فقالت بضحكة لاهثة :

– " الحب " ؟ ... أوه ... نعم .. إنها موجودة الآن ... وكل ما أندم عليه هو أنني استغرقت وقتا طويلا كي أعرف معناها ... فاكد لها ... وكانت عيناه تشعان بالسعادة!

– إنك إن لم تبدئي بعد في معرفة معناها ... فسوف تمضين بقية حياتك وأنت تفسرين تفاصيلها ...

ثم ابتسم وقبلها من فمها ... كم هو وسيم .... بل إنه أوسم رجل عرفته أو وقعت عيناها عليه ... وتطلعت في عينيه ... فوجدت عينين دافئتين عميقتين تغمران كيانها بنظراتهما ... وهي تغرق عزيمتها في روحه ....

وكانت أنفاسها قد تبددت وهي تسأله :

www.elromancia.com

– هل سمعتني قبل ذلك ... أقول كم أنك رائع بكل ما في الكلمة من معنى وبما لا يقطعه شك ؟

فذكرها بابتسامة عريضة :

– أعتقد أنه سبق وقلت شيئا بهذا المعنى ... ولكن لابأس من التكرار إذا كنت مصرة ... إن ذلك ليشعرني بالزهو !!

فأجابته بضحكة قوية :

– بل سوف أدخرها إلى أن تعود ...

ولم تعد بينهما أية حواجز ... فقد أدركت " رومي " بثقة مطلقة أنها فعلا قد وجدت الحب ... وجدته بكل المقاييس التي تواجدت في هذا الرجل الداكن الذي اختارها لتكون زوجته ... فقد التقت بالمصير الذي ولدت من أجله .... فالحب... والمزيد من الحب ... وكل الحب ... كانت هي الكلمة الوحيدة التي تشمل في مضمونها كل التوقعات التي تتراءى لها في الأفق ... من أن الحياة ستكون حافلة بالرخاء والإنجازات ... بنفس القدر الذي كانت توقعاته معكوسة ... من أن الحياة ستكون موحشة وجرداء ...

ولم تتنازعها بعد ذلك أية أوهام من قبل " جزافييه " ... إذ إنها توصلت لفهم حقيقته فهما عميقاً ... فهذا الرجل ... هو الوحيد الذي عرفته بمثل هذا الكمال وبكل ما تحويه هذه الكلمة من معان ... وقد أيقنت أن كل ما كانت تتشاحن عليه ويلهب ثورتها طوال الشهور الماضية لم يكن المقصود به هو " جزافييه " ... وإنما كان شخصها هي ... لذلك ... فقد تطلب وثبة داخل أعماقها ...

لتفهم مايعتمل في عقلها الباطن ... وتوقن أن عليها أن تسقط كل المقاييس من عينيها ...

فهذه الحقيقة التي توصلت إليها ... جعلتها تشعر وكأنها قد اكتشفت كنزا نفسيا وجميلا ... فما كان منها إلا أن بادرته بالسؤال :

– منذ متى بدأت تفكر في الزواج مني ؟

فابتسم برقة وهو يجيب :

– منذ زمن طويل جداً !! منذ أيقنت أن تلك الصغيرة ... الجميلة ... المدللة... ذات العينين الزرقاوين الساحرتين ... سوف تكون هي المرأة التي لن أعشق سواها ...

– إذن فقد أعطيتك الفرصة لمطاردة مبهجة ... أليس كذلك ؟

– ولكنني كنت على يقين من أنك ستكونين لي في يوم من الأيام ... ولم تكن المسألة تتطلب أكثر من بعض الصبر ... ومع ذلك ... فقد جعلتني أنتظر مدة طويلة ...

فأخبرته سريعاً ...

– لن تنتظر بعد الآن ... ولكن لابد أن تعلم أن المسألة كلها ترجع إلى الرعب الذي كان يتملكني ...

– إنني لست معك في هذا !! بل أظن أنك قد أحببتني منذ زمن أيضا .... ولكن ربما صغر سنك لم يؤهلك آنذاك لإدراك هذا الحب !!

– تقصد غبائي... وليس صغر سني ... ومع ذلك فأنت على حق ... لقد أحببتك منذ نعومة أظفاري ... ولكن ... شعورا ما دفينا في شخصيتي جعلني أرهبك وأخاف منك ...

أوه يا " جزافييه " !! إنني آسفة أشد الأسف على الأيام التي أمضيتها مع "بول مورتيمر" ....

– لا عليك منها ياحبيبتي ... فإنني أعرف كم تألمتِ بسببه ... ولكن الآلام شيء ضروري في الحياة ... فالمرء لايعرف معنى السعادة إلا إذا ذاق مرارة الألم ... وأظن أن كلينا قد حصل على نصيبه من الألم ومن السعادة ...

ولكن أكثر ما يثير تعجبي هو أننا مررنا ... كل منا على حدة ... بمرحلة الشقاء في ذات الوقت ... وأعتقد أنه لم يبق لنا إلا الشق الآخر ... وهو

السعادة التي تنتظرنا من الآن فصاعدا ياحبيبتي ...

فقالت بهدوء ... وكأنها تأخذ عهداً على نفسها :

– لو أن كل شيء أصبح في قدرتي ... فلن أجعلك تشعر بأي غصة أخرى مدى حياتك ...

– وأنا أيضا ... أقسم على أن أبادلك هذا العهد .

قال ذلك وهو يبتسم ... ثم وقف السيارة فجأة .. وانتحى جانبا من الطريق فتمتمت وهي تمد إليه يدها :

– هل نفد الوقود ؟ ياله من وقت مناسب !!

فابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول :

– اصبرى أيتها المدللة !! أريد أن أريكِ شيئا ... هيا ! انزلي من السيارة فتبعته وقد ملأتها الحيرة ... فالطريق مهجور... ويمر في شريط لولبي خلال المزارع ... فلفت ذراعها حول خصره ... وتابعت حيث أشار بإصبعه ... فاتسعت عيناها لما رأته ... إذ أول ماوقعت عليه كانت شجرة فارعة وسط المزارع وقد زينت بشريط أبيض ... كما لوكان هناك زفاف .. ثم أيقنت أن فروع الشجرة الداكنة قد كستها مئات من الزهور البيضاء كالثلج والتي ظهرت مثل الزبد على مياه البحر ...

فهمست قائلة :

– إنها شجرة لوز ... وقد تفتحت أزهارها .

فأومأ وقال :

– نعم !! إنه الربيع ... جاء محملا بالأمل ...

فأجابته بهدوء :

– لكم أحبك !! فأنت أملي بل كل حياتي !!

وكانت قبلة على الشفاه بث بها هذه الكلمات :

– وأنا أيضاً أحبك ... ولم أتوان عن حبك يوما يا " رومي " ....

لقد أحببتك دوما وسوف أظل أحبك إلى نهاية عمري ...

ثم أيقنت أن وراء هذه الشجرة ... شجرة أخرى مماثلة ... وأخرى ... وأخرى... وكلما تجولت أنظارها في الأفق ... لم تر إلا أرضا مكسوة بالأزهار البيضاء الوردية ... فهذا هو العهد الجديد ... حافل بالأمل ... موعد مع حياة ملؤها السعادة ... فأخيراً قد استقر الحب ... والقلب ...

www.elromancia.com